نظرات شرعية
في
فكر منحرف

[ولتستبين سبيل المجرمين]

إعداد
سليمان بن صالح الخراشي

المجموعة الخامسة

1- عبد الرحمن الشرقاوي	2- محمد أركون
3- سعاد الصباح	4- هشام جعيط
5- فدوى طوقان	6- تركي الحمد

نظرة شرعية في فكر (عبد الرحمن الشرقاوي)

قال الأستاذ محمد خير رمضان يوسف في كتابه (تتمة الأعلام للزركلي) (1/277-279) معرفاً بالشرقاوي: "شاعر، روائي، كاتب مسرحي، مفكر.

ولد في قرية الدلاتون في دلتا مصر عام 1339هـ وأتم دراسته للحقوق في جامعة فؤاد الأول. وتولى بعد قيام ثورة يوليو عدداً من المناصب والمراكز القيادية في مجالات الثقافة والنشر.

وتعتبر روايته "الأرض" التي صدرت عام 1374هـ من أشهر الروايات العربية التي صورت شقاء الفلاح المصري وحبه للأرض وقد ترجمت إلى لغات كثيرة.

وهو كشاعر وكاتب مسرحي عالج في قصائده ومسرحياته الشعرية قضايا سياسية واجتماعية معاصرة، ولو أن بعضها اتخذ الشكل التاريخي، وكذلك مسرحياته المستمدة من التراث الإسلامي.

وهو وإن كان تخصصه في القانون فإنه كان عاشقاً للأدب، ويبدو أنه لقي مقاومة من أسرته لاتجاهه هذا الاتجاه[1].

قلت: أذكر أن رواياته والسير التي كان يكتبها عن الأئمة كانت تثير ضجة وعدم رضى بين علماء المسلمين، لانحيازه إلى الأفكار اليسارية (الاشتراكية).

ويقول رجاء النقاش في حديث عنه: "الشرقاوي كان صاحب فكر يساري، يدعو إلى التغيير ويؤمن به. وكان في الوقت نفسه من أصحاب الأسلوب الواقعي في معالجة المشكلات الدقيقة، ولذلك قرر أن يخوض محاولة، أو مغامرة كبرى للتوفيق بين الفكر اليساري والسلطة...

كان من أعلام المدرسة الأولى في تاريخنا الثقافي والفكري، وهي المدرسة التي تعمل وتحرص على "التفاهم مع السلطة" وخلق الجذور معها، حتى لا يتعرض فكره للقمع المستمر الذي يؤدي به في النهاية إلى عدم القدرة على الإنتاج والإنجاز.

على أنه لم يستطع أن ينجو بنفسه من كل العواصف، رغم جهوده الكبيرة التي بذلها للتوفيق بين الفكر اليساري والسلطة.

فهو لم يصطدم فقط بمشكلة "السلطة" التي حلها بطريقته، وهي التحالف والمهادنة، فقد اصطدم أيضاً بمشكلة أخرى خطيرة، هي مشكلة التوفيق بين الفكر اليساري والتراث العربي والإسلامي،

---

(1) عالم الكتب مج 9 ع 2 (شوال 1408هـ)

وقد جاءته هذه الفكرة منذ وقت مبكر في أواخر الخمسينات، ولا شك في أنه كان يدرك أهمية هذه الفكرة بعمق موهبته وخصوبة شاعريته التي كانت تمتد بجذورها إلى الشعر العربي القديم، بما فيه من خطابة وقوة موسيقية ظاهرة وقدرة على الوصف والاستطراد..

كان يدرك بهذه المواهب كلها أن الفكر اليساري إذا انعزل عن التراث فسوف يبقى فكراً جافاً غريباً ضعيف التأثير، ولم يكن الشرقاوي يطيق لفنه وفكره أن يكون قطعة باردة معروضة في متحف يتفرج عليها الزائرون والسائحون، كان محباً لحرارة الحياة، عاشقاً لرؤية النتائج الفعلية للكلمة والفكرة واضحة جلية أمام عينيه في حياة الناس، وما كان شيء من ذلك يمكن أن تحقق إلا بالدخول القوي في عالم التراث، وأهم ما في هذا التراث هو التاريخ الإسلامي والفكر الإسلامي، وهنا دخل بأفكاره الجديدة إلى التاريخ الإسلامي والفكر الإسلامي، وقدم في السنوات الأخيرة من حياته أعمالاً بارزة في هذا المجال بدأت بكتابه "محمد رسول الحرية"، وتوقفت عند آخر أعماله "الصديق أبو بكر". واستطاع بهذه الأعمال ... أن يصل إلى جماهير واسعة جداً من القراء، وأن يدخل بفكره إلى معظم بيوت العرب والمسلمين.

ولكن محاولته "التوفيقية" بين فكره اليساري والتراث الإسلامي جرت عليه الكثير من المعارك العنيفة التي مات وفي نفسه شيء منها... ولم يستطع أبداً أن يجد لها حلاً نهائياً حاسماً..

لقد ثار عليه الكثيرون .. ولم يتقبلوا منهجه في دراسة الإسلام وتراثه.

وكان من مظاهر هذه المعارك العنيفة أن مسرحيته "الحسين ثائراً وشهيداً"، وهي من جزأين، لم تر النور حتى (الآن) رغم ظهورها منذ حوالي عشرين عاماً، وذلك بسبب اعتراض المحافظين على المسرحية ورفضهم لمنهج الشرقاوي في تصوير التاريخ الإسلامي والتعبير عنه.

وكان من مظاهر هذه المعارك أن كتابه "محمد رسول الحرية" ما زال مصادراً في عدد كبير من بلدان العالمين العربي والإسلامي.

وكان من مظهر هذه المعركة العنيفة، ما دب بينه وبين الشيخ عبد الحليم محمود في السبعينات من خلاف بالغ العنف والحدة.. وكان من ذلك أيضاً ما دب بينه وبين الشيخ محمد الغزالي من خلاف صاخب عندما كان الشرقاوي يكتب دراسته الواسعة عن "علي إمام المتقين".

وهكذا فقد أراد الشرقاوي أن يحقق منهجه في "التوفيق" بين أفكاره اليسارية وبين التراث الإسلامي فخاض معركة بالغة الشراسة، ولم يخرج منها بغير جراح تركت آثارها واضحة على نفسه وقلمه"[1].

وفي آخر حوار معه في مجلة "المصور"، أجراه معه المحاور مصطفى عبد الغني، وضمنه كتابه "الشرقاوي متمرداً"، وبعد أن قرأه الشرقاوي مكتوباً، قال له إنه يفضل نشر الحديث بعد وفاته. والذي فهمته من الحوار أنه كانت له ميول شيوعية، وأفكار اشتراكية، مجسدة في المنهج اليساري. ولكنه كان ينفي انتماءه لأي حزب. ومع ذلك عندما سئل: أين تضع نفسك في خارطة التصنيفات المألوفة: يمين، يسار، تقدمي، ماركسي، وسط... إلى غير ذلك؟

قال: أنا ضد مثل هذه التصنيفات، وأنا موقفي يتحدد في انحيازي للحق والحرية والشعب، ويتحدد أكثر بالانحياز الواضح والصريح إلى هذا المعسكر الأخير.. الشعب.

وإذا أردت التوقف عند التفكير الذي يتخذ سمة دينية فإنني أقول: إن الفكر الحقيقي يجب أن يكون دائماً لتحقيق الهدف الأسمى، وهذا الهدف الأسمى لا يخرج بأية حال عن تكوين (مجتمع فاضل)[2].

وفي الاحتفال بالذكرى الخامسة لرحيله تقرر إنشاء مدرسة وبيت ثقافة باسمة في قريته، وتنظيم مسابقة في القصة والرواية

---

(1) المصور ع 3293 – 1408/3/28هـ ص 37 – 38.
(2) المصدر السابق، العدد نفسه، ص 60.

والشعر والمقال باسمه، كما أطلق اسمه على أحد الشوارع الهامة بمدينة شبين الكوم تخليداً لذكره[1].

ومن أعماله المتنوعة:

-ابن تيمية: الفقيه المعذب- القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1408هـ، 257ص. (مؤلفات عبد الرحمن الشرقاوي؛ 12).

-الأرض. القاهرة: مكتبة غريب، 1404هـ 429ص.

-أئمة الفقه التسعة. ط3. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1407هـ، 2مج. (مؤلفات عبد الرحمن الشرقاوي؛ 15،14)

-الدراسات التاريخية؛ 4):

مج 1: الإمام زيد بن علي زين العابدين، الإمام جعفر الصادق، أبو حنيفة النعمان، مالك بن أنس، الليث بن سعد، الإمام الشافعي.

مج 2: الإمام أحمد بن حنبل.

مج 3: الإمام ابن حزم.

مج 4: العز بن عبد السلام.

-الحسين ثائراً: مسرحية في 13 منظراً. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

-الحسين شهيداً: مسرحية شعرية في 6 مناظر. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

-خامس الخلفاء: عمر بن عبد العزيز القاهرة: مكتبة غريب.

-الشوارع الخلفية. القاهرة: دار الشعب.

-الصديق: أول الخلفاء. القاهرة: مكتبة غريب.

-صلاح الدين: النسر الأحمر. القاهرة: دار المعارف.

---

(1) الأهرام ع 38713 (1413/6/8هـ). وانظر مقال: "عبد الرحمن الشرقاوي يزور السيرة والتاريخ"/ أنور الجندي. المجتمع ع 873 (1408/11/21هـ) ص 36-37.وله ترجمة وقائمة بأعماله في : ببليوجرافيا الرواية في إقليم غرب ووسط الدلتا ص 231، وجيل العمالقة والقمم الشوامخ في ضوء الإسلام ص 203.

-عرابي: زعيم الفلاحين: مسرحية شعرية. القاهرة: مركز الأهرام للترجمة والنشر، 1406هـ، 231ص.
-الفاروق عمر بن الخطاب. القاهرة: مركز الأهرام للترجمة والنشر، 1407هـ، 302ص.
-الفتى مهران: مسرحية شعرية. القاهرة: الدار القومية، 1385هـ
-الفلاح . القاهرة: عالم الكتب .
-قلوب خالية. القاهرة: الدار القومية.
-مأساة جميلة.
-محمد رسول الحرية. القاهرة دار الشعب. ط8 . القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
-وطني عكا". انتهى كلام الأستاذ محمد خير –وفقه الله-. (بتصرف يسير).

قلت: لقد تنبه العلماء لخطورة مسلك الشرقاوي في رواياته وكتبه، ومحاولته إسقاط فكره اليساري على الأحداث الإسلامية، فحذروا منها.

ومن ذلك: ما ذكره الأستاذ أنور الجندي في كتابه (جيل العمالقة والقمم الشوامخ في ضوء الإسلام)(ص 223-252).، حيث قال متحدثاً عن الهجمة على الإسلام: "ولكن الذي يلفت النظر أن تتوالى الأحداث هكذا في مهاجمة الإسلام؛ فيكتب لويس عوض في (المصور) عن مصر العلمانية وعن مصر الفرعونية فيخوض أوحالاً شديد السواد والقتامة ولا يستطيع أن يصل إلى شيء، ثم نجد تلك الصفحات التي وسمت باسم (الإمام علي) في جريدة الأهرام والتي كتبها عبد الرحمن الشرقاوي وكيف جدد خصومته القديمة للإسلام تحت أسلوب براق من الانتماء للإسلام، وغفل عن أن تاريخه لا يزال معروفاً ومذكوراً، وأن كتابه (محمد رسول الحرية) وتقرير الإمام أبو زهره ما يزال بين أيدي الناس، والأمانة التاريخية والمسئولية التاريخية فإن تقرير الأمام أبو زهره أول من حصل عليه الأستاذ محمد نعيم ونشرته الاعتصام 1975.

فإذا تجاوزه قليلاً فرواية (الحسين شهيداً) قد دُمغت أيضاً من جماعة من العلماء، من بينهم الدكتور الطيب النجار بالظلم الشديد للمجتمع الإسلامي، على الذي افترى به طه حسين، على العصر الثاني للهجرة في كتابه (حديث الأربعاء) حين وصفه بأنه عصر شك ومجون وفيه جماعة التابعين والأعلام مثال أبو حنيفة والشافعي وأحمد بن حنبل والحسن البصري، وهو ما ذهب إليه عبد الرحمن الشرقاوي في رواية (الحسين شهيداً) الذي كشف عن أن كاتب الرواية كان حريصاً على تصوير المجتمع الإسلامي بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم بنصف قرن فقط في صورة بشعة، وكأن هذا المجتمع قد تدالى وتهاوى وصار مجتمع عربدة وفجور، ومجتمع شقاق ونفاق، ومجتمع جبن وضعف، ومجتمع خيانة ونكث للعهود! مع أن المجتمع كان لا يزال حافلاً بعدد كبير من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه عدد ضخم من التابعين لهم بإحسان، وقد وسم علماء الأزهر المسرحية بأنها تشهر بجماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم قدوة لنا، وقد ترددت في المسرحية عبارات الاتهام بالكفر والخروج عن الإسلام وعبارات اللعن والتعريض والتشنيع بالحرمان، كما صورت المسرحية العصر الأموي تصويراً يجافي الحقيقة في بعض النواحي فوصفته بأنه عهد الإقطاع والأطماع وجردت الأمويين من كل خير وقدمت القصة شخصيات لم يعيشوا في مرحلتها التاريخية أمثال وحشي بن حرب الذي مات سنة 25 هجرية في خلافة عثمان رضي الله عنه، وهناك نوع من القسوة في الحكم على معاوية مع أنه صحابي ومن كتاب الرسول صلى الله عليه وسلم فقد ذكرت المسرحية أنه عطل أصلاً من القرآن وزيف قاعدة الشورى وأهدر أحكام السنة، وتردد في المسرحية أكثر من مرة التعريض بنظام الجواري حيث تناولت لأشخاص عبارات الاتهام باللهو والتمتع بالجواري على سبيل التعرض والتهكم كما تناثرت في المسرحية عبارات مأخوذة من جو غير إسلامي كقوله (ما جئت لألقي سلاحاً، لأملأ كل بيت بالمحبة، جئت لألقي موعظة الخ.

كتابات الشرقاوي:

فإذا أضفنا هذا التقرير إلى تقرير الشيخ أبو زهره حول كتاب (محمد رسول الحرية) أمكن أن تتكون لنا صورة ذات هدف واضح من كتابات عبد الرحمن الشرقاوي الذي قدم صلاح الدين الأيوبي في قصة (النسر الأحمر) في قالب غير كريم ومجاف لحقائق التاريخ، فهو يجعل منها دعوة مباشرة وصريحة للاستسلام والصلح مع الغرب وطلب السلام الخادع الكاذب، وما كان هكذا صلاح الدين يوماً في حياته ولكنها محاولة لاستغلال النصوص التاريخية لأهواء العصر، ولقد عاش صلاح الدين حتى آخر يوم من حياته مجاهداً مؤمناً يرفع راية الجهاد في سبيل الله، وهكذا تترابط أعمال عبد الرحمن الشرقاوي على طريق واحد وهدف واحد وهو يتابع مخطط طه حسين حول بشرية الرسول صلى الله عليه وسلم، وكان كتابه (محمد رسول الحرية) حلقة رابعة لكتاب (على هامش السيرة) كذلك فقد كان كتابه عن (علي) هو الحلقة الثالثة من كتاب (الفتنة الكبرى) إنها نفس الأفكار والطريقة والغاية التي رسمها الاستشراق لإعادة كتابة التاريخ الإسلامي بمفاهيمه الباطنية والوثنية اعتماداً على مصدر غير مصادر أهل السنة والجماعة، والتوسع في الأساطير والخيال القصصي والاعتماد على كتاب الأغاني ومتابعة خصوم الشيخين أبي بكر وعمر، كل هذا لا يقدم عملاً تاريخياً أو أدبياً له قيمة ذاتية.

إن درجة الوعي الإسلامي اليوم في فهم تيارات التغريب في تحريف التاريخ الإسلامي وتفريغه من طوابعه الحقيقية بوصفه مصدراً من مصادر اليقظة الإسلامية قد أصبحت عالية، ودليل ذلك ما كتب في الرد على لويس عوض وما وصل الصحف من ردود على توفيق الحكيم وعبد الرحمن الشرقاوي، نعتقد أن هذه الأقلام لا تستطيع أن تكسب ثقة قارئ واحد من الذين عرفوا خلفيات هذه التيارات، وليعلم هؤلاء جميعاً أن خطط التخريب والغزو الثقافي قد كشفت تماماً مهما حاولوا تغيير جلودهم ومهما خلطوا أوراقهم، أما الصحف فإن مسئوليتها التاريخية كبيرة وفي إخفاء كلمة الحق في الرد على الباطل خيانة للأمة، وما كانت هكذا تدار المساجلات الفكرية في الماضي حيث يسمح لكل صاحب رأي أن يدلي بأية حتى

تتبلور النتائج وينكشف الرأي الصحيح للجماهير التي تحترم صحفها وتثق بها، أما أن تحجب الآراء كلها ويتبنى الرأي الواحد المصر على جهة نظره فها ما لا يتفق مع أدنى أصول الحوار الصحفي.

إنها محاولة لتحطيم الصحوة والقضاء على الأصالة ولطرح مزيد من الشبهات والشكوك والسموم على الطريق الذي عبده المصلحون .. ليسلك عليه المسلمون إلى إقامة المجتمع الإسلامي الذي رسمه القرآن الكريم .

كتاب (محمد رسول الحرية)

إن المناقشة التي قام بها الشيخ أبو زهرة ركزت على السموم الناقعة في الكتاب، قال:

"لم يسلم الكاتب من الخطأ، أو بالأحرى كان له اتجاه غير إسلامي من البداية، فهو ما درس محمداً صلى الله عليه وسلم على أنه رسول يوحى إليه، بل على أنه رجل عظيم له آراء اجتماعية فسرها الكاتب على هوى ما يريد، مدعياً أنه قصاص أديب يصوغ التاريخ في قالب قصصي فني.

وقد تكون هذه الكتابة مفيدة لقوم يصغرون من شأن محمد صلى الله عليه وسلم، ويهونون من أمره فتزيل عنه ما يتوهمون، وتبين أن له شأناً ومقاماً في تفكيره ومنحاه، وإذا لم تكن الكتابة صادقة من كل الوجوه فهي في ذاتها تصوير حسن في الجملة لغير المسلمين، وفي هذا الحال فقط، لكن يفسدها طمس الحقائق الكبرى أو تجاهلها.

مقام النبي الرسول صلى الله عليه وسلم:

أما نشر هذه الكتابة بين المسلمين الذين يعرفون مقام النبي صلى الله عليه سلم، عند الله، ومقام الرسالة الإلهية التي حملها النبي صلى الله عليه وسلم، والتي هي مصدر علمه، فإنه لا فائدة فيها من جهة، وهي توهين للعقيدة الإسلامية من جهة ثانية، ثم هي غير صادقة من جهة ثالثة.

وإذا برر نشرها بين غير المسلمين لتقريب نفوسهم من مبادئ محمد صلى الله عليه وسلم، فنشرها بين المؤمنين باعث على الفتنة ومنفر للقلوب ومضعف للإيمان.

وإن أول ما يلمحه القارئ من الكتاب بعد استيعابه جملة وتفصيلاً:

أن الكاتب يقطع النبي صلى الله عليه وسلم عن الوحي، فكل ما كان من النبي صلى الله عليه وسلم: من مبادئ وجهاد في سبيل الله إنما هي عنده، لا بوحي من الله تعالى، وهي فيه بمقتضى بشريته لا بمقتضى رسالته.

ولعل العنوان الذي اختاره للكتاب –مع إردافه بعنوان آخر صغير- أراد أن يشير به إلى بشرية النبي صلى الله عليه وسلم مبتوته عن الوحي، وهذا العنوان: قوله تعالى معلماً نبيه صلى الله عليه وسلم "إنما أنا بشر مثلكم" فقد اختار هذه الجملة القرآنية ليعلن أن ما وصل إليه النبي صلى الله عليه وسلم من مبادئ جاهد لأجلها، إنما هو صادر من بشرية كاملة لا عن نبوة.

ولكي يتم له الاستشهاد، اقتطع الجملة اقتطاعاً عما قبلها وما بعدها، فإن هذه الجملة وردت في نصين من نصوص القرآن الكريم أولهما: في آخر سورة الكهف وهو قول الله تعالى: **(قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً)**.

وثانيهما: في سورة فصلت وهو قوله تعالى: **(قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إليّ أنما إلهكم إله واحد فاستقيموا إليه واستغفروه وويل للمشركين)**.

ونرى النص الذي اختاره شعاراً لكتابة مقطوعاً عما قبله وما بعده، فما قبله هو قوله تعالى مخاطباً النبي صلى الله عليه وسلم بقوله "قل" وهو يصرح بخطاب الله تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم، وما بعده هو قوله تعالى "يوحى إليّ"، قد أبعده ولم يأت به لأنه لا يتفق مع غرضه الذي يهدف إليه لأنه يريد نفي الوحي عن الحياة المحمدية.

وإن القارئ ليسير قليلاً في الكتاب، حتى يجد الكاتب ينفي الخطاب السماوي للرسول صلى الله عليه وسلم، فلا يذكر أن جبريل خاطب النبي صلى الله عليه وسلم في العيان، فهو يقول في أول نزول الوحي بالقرآن ما نصه.

ولكن في تلك الليلة من رمضان، أغفى قليلاً ثم نام، فرأى من يعرض عليه كتاباً ويطلب منه أن يقرأ، فقال ما أنا بقارئ، ولكنه ألح عليه أن يقرأ، فسأله ماذا أقرأ فقال له: **(اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق، اقرأ وربك الأكرم، الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم)**: وعندما استيقظ من نومه يحفظ ما سمعه من النوم ويستوضح حلمه فيما بينه وبين نفسه، فإذا به وهو بين اليقظة والنوم كأنه يسمع صوتاً بعيداً يقول له: أنت رسول الله وأنا جبريل؟ (من68،69).

وإن تصوير الوحي في هذا المقام بالحلم في النوم، يخالف ما أجمع عليه المسلمون من أن جبريل عليه السلام كان يخاطب النبي صلى الله عليه وسلم بالعيان لا في المنام.

نعم قبل ذلك الخطاب بقوله –اقرأ- ونزول سورة القلم، كان إرهاص الوحي يجئ إليه فيما يجئ في رؤيا مناميه حتى إنه كان يرى الرؤيا تجئ في الصحو مثل فلق الصبح، كما صرح البخاري، ولكن لم تكن تعتبر خطاباً من السماء، حتى نزول الوحي ومخاطبة جبريل الأمين الذي تردد ذكره في القرآن على أنه رسول الله إلى الذين يصطفيهم من الأنبياء لتبليغ الرسالة الإلهية لأهل الأرض.

وإنه إذ يقطع الرسالة عن الرسول صلى الله عليه وسلم، ويقطع الوحي عنه، ويتجه إلى القرآن فيذكر عباراته أحياناً منسوبة إلى النبي صلى الله عليه وسلم، على أنها من تفكيره، ومن قوله، لا أنها قرآن موحى به وقائله هو الله سبحانه وتعالى، وأن ذلك لمبثوث في الكتاب بكثرة ولنضرب على ذلك بعض الأمثلة.

(1)إنذار عشيرته الأقربين:

ذكر في صفحة 80 ما نصه (رأى محمد أن يجمع أسرته من بني عبد الملطب إلى الإيمان بما جاء به فليس أحب إليه من عشيرته الأقربين) وتراه يذكر ذلك على أنه رأي إرتآه ويغفل الأمر القرآني

الثابت وهو قوله تعالى: **(وأنذر عشيرتك الأقربين، واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين)**، فتراه في هذا الكلام الذي قاله ينسب كل ما يكون بوحي قرآني إلى أنه رأي رآه النبي صلى الله عليه وسلم.

(2)تبت يدا أبي لهب:

وفي هذا المقام اعترض أبو لهب عم النبي صلى الله عليه وسلم، فيذكر الكاتب في ذلك ما نصه: "فاسمع يا أبا لهب اسمع إذن، سمعت الرعد، تباً لك أنت، تبا لك سائر يومك وسائر حياتك (**تبت يدا أبي لهب وتب)** (ص 83) فتراه في هذا ينسب إلى النبي صلى الله عليه وسلم قوله تعالى **(تبت يدا أبي لهب وتب ما أغنى عنه ماله وما كسب، سيصلى ناراً ذات لهب وامرأته حمالة الحطب في جيدها حبل من مسد)**.

وبهذا نرى أنه ينسب هذه السورة إلى النبي صلى الله عليه وسلم، لا إلى الله سبحانه وتعالى. ومثل ذلك جاء في (ص 87) من الكتاب، ففيها ما نصه: تباً لها (أي لامرأة أبي لهب) كما تبت يدا أبي لهب وتبت يدا أبي لهب وتب وامرأته حمالة الحطب.

(3)القتال في الشهر الحرام:

يذكر استنكار المشركين لأمر النبي صلى الله عليه وسلم بأنه قاتل في الأشهر الحرم فيقول في صفحة 183 (إنها لكبيرة أن يقتل عبد الله (أي ابن جحش) أحداً في الشهر الحرام، ولكن الفتنة أكبر من القتل وصد الناس عن البيت العتيق وإخراج أهله منه أكبر).

يذكر هذا الكلام منسوباً إلى النبي صلى الله عليه وسلم على أنه من عنده، مع أنه في القرآن الكريم والله تعالى يقول: **(يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل)**.

(4)أسرى بدر:

استشار النبي صلى الله عليه وسلم بعد غزوة بدر أصحابه في شأن الأسرى، فأشار عمر بقتلهم وأشار أبو بكر بالعفو، وتوسط النبي صلى الله عليه وسلم فاختار أن يفتدوا من أهلهم، وقد بين الله سبحانه لنبيه الحكم في أخذه أسرى، والمعركة دائمة مستمرة، لأنه

لا أسرى إلا بعد أن يعجز العدو عن القتال، وقد نزل في ذلك قوله تعالى: (**ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض، تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم، لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم فيه عذاب عظيم**).

هناك في القضية عمل من النبي صلى الله عليه وسلم ولوم وتوجيه من الله، لكن الكاتب يقول إن النبي صلى الله عليه وسلم بعد تأمل وتدبر قرر خطأ الفداء، وهذا نص كلامه فقد أطلق كثيراً من الأسرى ولم يعد –أي لم يبق- غير القليل، فانقطع يفكر وخرج على أصحابه يقول: إنه أخطأ هو وأبو بكر حين لم يسمعا لنصيحة عمر، فما كان له أن يترك لقريش أسراها لتستعين بهم على حربه مرة أخرى (**ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض**). (ص 204/203).

وبهذا يتبين أنه يرى أن هذا ليس وحياً، ولكنه من تأملات النبي صلى الله عليه وسلم، وأن القرآن من عند محمد لا من عند الله.

(5)إبطال التبني من النبي صلى الله عليه وسلم:

ينسب إبطال التبني إلى النبي صلى الله عليه وسلم، ولا ينسبه إلى الله، مع أن التبني حرم بأمر الله، فقد قال الله تعالى في سورة الأحزاب (**وما جعل أدعياءكم أبناءكم ذلكم قولكم بأفواهكم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل، ادعوهم لآبائهم هو أقسط عن الله، فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين ومواليكم، وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم وكان الله غفوراً رحيماً**).

ويقول سبحانه في نفس السورة: (**ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين**) لكن المؤلف يذكر قصة زيد بن حارثة مع زوجه زينب بنت جحش، وشكواه منها، وقول النبي صلى الله عليه وسلم له: أمسك عليك زوجك، ويبين أن الزوجين أصبحا لا يطيقان الاستمرار، ويذكر إشاعة أن النبي صلى الله عليه وسلم طمع في جمالها، وما كان للنبي أن يتزوج زوجة متبناة لأنه ابنه، ثم يقول:

ولكن محمداً صلى الله عليه وسلم خرج يقول أن المتبني ليس كالابن تماماً فالولد شيء آخر، وأنه إنما تزوج زينب لكي يدركوا هذا، وكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم، فلا حاجة له بجمال زينب، ولديه عائشة وحفصة (ص 216).

فهو في هذا يدعي أن التحريم للتبني من محمد صلى الله عليه وسلم ويدعي أن محمداً تزوج زينب من تلقاء نفسه، مع أنه فعل ذلك بأمر من الله تعالى في قوله من سورة الأحزاب (**وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطراً وكان أمر الله مفعولاً**).

فتراه ينسب التحريم إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وينسب الزواج لرأى إرتآه الرسول عليه الصلاة والسلام مع أنه ثابت بالقرآن، ولكنه ينسب ما جاء بالقرآن دائماً إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

وإنا لنحمد له أنه لم يسر وراء المستشرقين في إدعائهم أخذاً بما جاء في رواية ضعيفة عن بعض التابعين، أن النبي صلى الله عليه وسلم فتن بجمال زينب وكان الطلاق لذلك فله منا التقدير لهذا.

-ذكر –بعد أن قص أخبار موقعة أحد- العبر فيها على أنها من قول محمد صلى الله عليه وسلم، مع أنها من قول الله تعالى، فهو يقول: (وأقبل محمد صلى الله عليه وسلم- على الناس يحدثهم عن محنة أحد ويستخلص العبرة من أخطائهم عسى أن تضيئ التجربة القاسية طريق المستقبل).

وإن العبرة في أحد كانت بقول الله تعالى في آيات كثيرة من سورة آل عمران في مثل قوله تعالى: (**ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر، وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين، إذ تصعدون ولا تلوون على أحد والرسول يدعوكم في أخراكم فأثابكم غماً بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم**

والله خبير بما تعملون) ولكنه دائماً ينسب ما جاء في القرآن إلى النبي صلى الله عليه وسلم، مما يدل على أنه يرى القرآن من قول النبي صلى الله عليه وسلم، ولم يذكر في الصحيح من السنن أن النبي صلى الله عليه وسلم بين العبر في أحد بغير تلاوة القرآن عليهم.

كذلك يذكر الكاتب أن تقسيم أموال بني النضير كان بقول النبي صلى الله عليه وسلم ويقول في ذلك، قال لهم (..إن إخوانكم المهاجرين ليس لهم مال فإن شئتم قسمت أموال بني النضير وأموالكم بينكم جميعاً وإن شئتم أمسكتم أموالكم وقسمت هذه فيهم خاصة).

والحق أنه لا يوجد ذلك التخيير وأن النص القرآني في ذلك صريح يبين هذا، فالله سبحانه وتعالى يقول في سورة الحشر **(للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون، والذين تبؤوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون)**.

ولكنه كمنهاجه ينسب ما جاء في القرآن دائماً إلى رأي النبي صلى الله عليه وسلم! وزاد هنا حالة التخيير التي لا نعلم لها مصدراً تاريخياً (200).

وهكذا نجده يذكر كثيراً من معاني القرآن، وينسبها للنبي صلى الله عليه وسلم فهو يذكر سورة (الكافرون) (**قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون...**، على أنها من كلام النبي صلى الله عليه وسلم (ص108).

وينسب تحريم الخمر على أنه للنبي صلى الله عليه وسلم، ويشير إلى تدرج التحريم في القرآن الكريم، ويترك الآيات المختلفة الدالة على ذلك.

ويذكر قصص القرآن على أنها نتيجة تجارب النبي صلى الله عليه وسلم ويقول في ذلك.. (وقسم محمد لياليه بين زوجاته الثلاث:

سودة وعائشة وحفصة، ولكنه مع ذلك كان يجمعهن عند صاحبة النوبة في الصباح ليعظهن وفي المساء ليسمر معهن، ويقص عليهن ما رآه في رحلاته، وكثيراً من الحكايات والأمثال).

وما كان قصص النبي صلى الله عليه وسلم إلا من القرآن، وما كانت له رحلات في بلاد العرب، بل إنه لم يخرج من الحجاز إلا مرتين إحداهما وهو في الثانية عشرة والثانية وهو في الخامسة والعشرين؛ الأولى مع عمه والثانية في تجارة بمال خديجة رضي الله عنها.

أخطر ما يقدم الكتاب: التشكيك في (القرآن):

هذه أمثلة سقناها وإنها لكثيرة في الكتاب، وهي تدل على أنه يرى –أي الكاتب- أن القرآن من كلام محمد صلى الله عليه وسلم، وفي الحقيقة إنه لم يذكر قط أن الله سبحانه وتعالى منزل القرآن وباعث محمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة، بل إن ذكر الله تعالى يندر في الكتاب بل لا نجد له ذكراً قط **(نسوا الله فأنساهم أنفسهم)**.

ولم يذكر القرآن إلا نادراً، بل إنك تقرأ الصفحات الكثيرة التي تبلغ مائتين أو أكثر فلا تجد ذكراً لكلمة القرآن الكريم، بل لكلمة القرآن قط، وإذا ذكر آية ذكر أنها همهمة نفس النبي صلى الله عليه وسلم، ولنضرب لذلك مثلاً:

لقد ذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم، أذن لبعض الناس بالعودة من حيث خرجوا، وكان ذلك في بعض الغزوات، ثم يقول: فأذن لمن يريد أن يعود إلى بيته أن يعود، فهذا خير من أن يبقى في الصفوف ليشيع الانهزام، ويثبت في الصفوف من يجد في نفسه القدرة على مواجهة الخطر، والرغبة الصادقة في الاستشهاد دفاعاً عما يؤمن به، وهمهم لنفسه وهو يتقدم الصفوف: (**عفا الله عنك لم أذنت لهم)** ولكنه عاد فرأى الخير في تخليص صفوفه من العناصر الخائرة ثم أخذ يتلو عليهم: (**وإذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا، ويستأذن فريق منهم النبي يقولون إن بيوتنا عورة وما هي بعورة إن يريدون إلا فراراً... قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل وإذاً لا تمتعون إلا قليلاً)** (ص 288).

وأكبر علامات التشكيك في آيات الله، أنه يذكر الهمهمة ثم يقرنها بآية على أنها من همهمته ثم يتلو آية أخرى غير ناسبها إلى الله تعالى ولا لأحد فهي بمنطقة من همهمة النبي أيضاً.

ثم يشير إلى نوع من التشكيك لأن الآيتين يبدو بينهما تعارض مع أن الآيتين مختلفتان من حيث موضع قولهما، فآية سورة التوبة **(عفا الله عنك لم أذنت لهم)** كانت في غزوة تبوك.

وقوله تعالى من سورة الأحزاب **(وإذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب)** كانت في غزوة الأحزاب وهو لا يذكر كلمة القرآن على أنه منسوب لله في مقام يومئ بالتشكيك في صدقه.

واقرأ قوله في ص 354 (بالنسبة للمرتدين الذين قتلوا بعض المؤمنين غدراً الذين قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم، يقتلون ولو تعلقوا بأستار الكعبة، وكان منهم رجل عهد إليه محمد صلى الله عليه وسلم، بكتابة القرآن، ولكن الرجل كان يغير في القرآن على هواه، يمليه محمد صلى الله عليه وسلم، (وهو السميع العليم) فيكتب وهو (الخبير الحكيم) ثم يذهب إلى المنافقين في المدينة، ويتندر بما يصنع، ظل يصنع هذا، حتى اكتشف محمد أمره فهرب إلى مكة، ويظل يهزأ بمحمد صلى الله عليه وسلم، وبالقرآن ويؤكد للناس أنه حرف كثيراً من آياته ولم يكشفها محمد صلى الله عليه وسلم بعد).

واقرأ قوله في صفحة 356 (أما الرجل الذي حرف في القرآن الكريم فيعلن توبته ويحرق النسخة المحرفة أمام الجميع)، وإن هذا البيان التاريخي يوهم بل يشير أن القرآن فيه تحريف وتبديل، بدليل أن أحد كتاب الوحي قال ذلك.

تلفيق الأخبار:

والخبر على هذا الوجه غير صحيح، ذلك أن الرجل كان يكتب الوحي أحياناً وليس دائماً، وما كان للنبي صلى الله عليه وسلم كاتب واحد، بل كان يكتب الوحي من يكون بحضرته عند نزوله ممن يحسنون الكتابة، وعندما يملي عليه النبي صلى الله عليه وسلم ما أوحي إليه، يقرأه ويحفظه من يكون بحضرته من الصحابة فما كان الرجل ملازماً له، وما كان الاعتماد على ما يكتب بل على ما يحفظ النبي صلى الله عليه وسلم وحفاظ الصحابة.

وما تكونت في عصر النبي صلى الله عليه سلم نسخة مجموعة جمعاً نهائياً، ولكن كان محفوظاً في صدور كثيرين من الصحابة كأبي بن كعب وزيد بن ثابت، وعلي بن أبي طالب وغيرهم كثير رضي الله عنهم، فلا يقال: إن هناك نسخة كانت محرفة وحرقت، وما جاء ذلك في سياق تاريخي قط وما قاله أحد قط من علماء الإسلام.

وأخيراً فإن الردة التي وقع فيها ذلك الرجل، ما كانت نتيجة طرد النبي صلى الله عليه وسلم له، بل إنه ارتد من تلقاء نفسه ثم أخذ يشيع هذه الأكاذيب، فما كانت حقيقة ولكنها إدعاء منه هو كاذب فيه.

فالنبي صلى الله عليه وسلم، يحفظ ما ينزل عليه، وغيره يحفظ، وما كان من المعقول أن يستمر ذلك التحريف دقيقة واحدة وإنه عند جمع القرآن في مصحف، أي تكوين نسخة كاملة منه، في عهد الشيخين أبي بكر وعمر، وكان يُبحث عن المكتوب غير المجموع، إذ كانت الكتابة في قطع متناثرة عند الصحابة وفي بيوت النبي صلى الله عليه وسلم، فيبين أن المكتوب كما حفظوا، فيثبتونه في المصحف .

توهين لتواتر القرآن:

إن في السياق الذي ذكره الكاتب توهينا لتواتر القرآن، لا يصح أن ينشر بين المؤمنين فضلاً عن أنه في أصله كاذب في ذاته.

ثم إنه ليوهن من شأن النصوص سواء أكانت قرآناً أم أحاديث، عندما يقرر أن الحكم في الإسلام بالقرآن والسنة أو الرأي على أنها متساوية والمسلم مخير بينها إلا أنها مرتبة.

ويقول في ذلك ص 275 (وفي رأي كل منهم ترسخ نصيحة محمد صلى الله عليه وسلم فاحكم بالقرآن أو السنة أو اجتهد برأيك، والأمر شورى بينكم لا تختلفوا ولا تعلوا في الأرض مفسدين)

موقف الكتاب ومؤلفه من النبي صلى الله عليه وسلم :

هذا موقف الكتاب من القرآن ذكرناه مع ضرب الأمثلة من الكتاب، لا نكتب عنه ما لم يكتب بل إننا نستمد البينات من كتابته.

فلنتجه بعد ذلك إلى موقفه من النبي صلى الله عليه وسلم المبعوث من عند الله تعالى، فإن الكلام الذي كتبه عنه غير قائم على أسس صادقة، بل على ما ينافي كل الحقائق التاريخية تماماً.

أولاً: إدعاء خروج النبي صلى الله عليه وسلم إلى اليمن:

ادعى المؤلف أن النبي صلى الله عليه وسلم سافر إلى اليمن مع عمه الزبير بن عبد المطلب فقد جاء في ص 42 ما نصه:

(وها هو ذا محمد يضطر إلى أن يشتغل أخيراً في هذه القوافل، ليعيش مما كان يملك بالدينارين أو الدينار، ويخرج إلى اليمن مع عمه الزبير في رحلة الشتاء).

وهذا القول لم يذكر في الصحاح تاريخ النبي صلى الله عليه وسلم، وقد يذكره المستشرقون من غير سند تاريخي، بل بفرض يفرضونه ليتم لهم ما يبتغون من توهين شأن الدعوة الإسلامية، بإدعاء أن محمد صلى الله عليه وسلم كان رحالة وأن ما جاء به نتيجة تجاربه لا بوحي من ربه.

ثانياً: يسترسل في إدعاء أن محمداً صلى الله عليه وسلم كان رحالة معنياً بما عند الرومان والفرس.

فهو يقول في ص 62 (لم تكن الجزيرة العربية وحدها هي التي تعنيه، فقد طاف بالشمال والجنوب، وعرف كثيراً مما يحدث في بلاد الفرس والروم، وفكر في هذا كله، ففي كل مكان يهدد الإنسان، ويسيطر الغيظ أحياناً حتى لتمتد يد المرأة الحنون إلى قلب خصمها بعد أن يقتل، فتأكل منه القلب وتلعق الدم.

وما زال الملاك الكبار في بلاد الروم يصنعون بالرجال والنساء ما يصنعه المرابون الكبار في مكة، والرؤساء والدهاقين في بلاد الفرس، وهنا وهناك يقضى على الإنسان ما يقضى باسم قوى الخفاء التي لا تقاوم ولا ترد، وهي قوى لا تشبع من دم الضعفاء وتقتات بالهوان).

ولا يهمنا من هذا الكلام إلا ما فيه من إدعاء أن النبي صلى الله عليه وسلم، قد جاب البلاد العربية شمالاً وجنوباً، وأنه كان معنياً بمعرفة ما عند الرومان والفرس، مع أن ذلك كله لا يوجد ما يدل عليه في التاريخ الإسلامي والمصادر الصحيحة، بل لا يوجد شيء

من هذا في أي مصدر عربي قديم، ولكنه خيال المستشرقين لحاجة في نفوسهم.

ثالثاً: ويذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم تعلم الكتابة من ملاحظته الحروف، وهذا نص قوله في ص 313 (فتناول محمد الصحيفة من علي ومحا ما كتبه علي، وكتب هو ديباجتها، كما أراد مندوب قريش، كانت هذه أول مرة يكتب فيها بعد أن تعود ملاحظة الحروف من طول ما أملى على كتبة القرآن).. وهذا تحريف للروايات، فإن الثابت أن علياً لما امتنع عن حذف كلمة الرسول أو محوها مد رسول الله صلى الله عليه وسلم يده ومحاها بنفسه بعد أن استفسر من علي عن موضعها، وأتم علي بقية الكتاب ولم يكتب محمد صلى الله عليه وسلم بيده شيئاً.

رابعاً: إن هناك نزعة نصرانية نجدها في مواضيع كثيرة، نذكر منها أن النبي صلى الله عليه وسلم ينادى بياولدي، ولا يذكر من المنادي، فقد جاء في ص 49 ما نصه: (غريب أنت في هذا التيه الذي يتنفس باللعنة والأكذوبة والمنكر، شارد حزين لا تنفك تتأمل في السماوات والأرض ووجوه الرجال والنساء والأطفال.

ما تكاد تضحك مستمتعاً بحياتك الجديدة المطمئنة مع المرأة الجميلة التقية الحكيمة التي اختارتك للحياة).

ولا تدري من الذي يناديه ذلك النداء وقد تكرر ذلك في عدة مواضع فقد جاء في ص 134 ما نصه:

(طريد أنت يا ولدي، مسكين معذب كالمبشرين الأوائل) فمن ينادي هذا النداء، إن الذي يمكننا أن نفسر به ذلك هو أن هذه نزعة نصرانية، كما يجري على ألسنة النصارى (أبانا الذي في السماء) وأنه يصح أن يكون ذلك صوت الله يناديه في زعم الكاتب، ولكن لا أحد في الدنيا يصح أن يكون ولداً لله تعالى: (**قل هو الله أحد، الله الصمد، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد**).

هذا موقف الكتاب من القرآن والنبي صلى الله عليه وسلم، بالإضافة إلى الخيال الروائي الذي يفتقر إلى الصدق التاريخي في بعض الروايات عن حمزة وغيره، والكتاب في الجملة يسيئ إلى الناس في دينهم".

حاشية: هذا التقرير الذي كتبه الشيخ محمد أبو زهرة عام 1962 وقد حصل عليه منه قبل وفاته الأستاذ محمد نعيم الصحفي الإسلامي وقد احتفظ به حتى أتيحت له فرصة نشره عام 1975م. وهذا الذي قام بتلخيصه على هذا النحو المنشور الآن.

(مسرحية الحسين شهيداً)

الأصابع الحمراء تشوه حقائق المعارك الإسلامية وتشهر بالصحابة الأجلاء (أحمد الشرباصي، محمد الطيب النجار، زكي البنهاوي) نشرت الاعتصام –مايو 1975 عن هذه الدراسة للمسرحية تحت عنوان: (مسرحية الحسين شهيداً).

1- المسرحية تظهر شخصية الحسين وشخصية السيدة زينب رضوان الله عليهما وهما من آل بيت الرسول الأعظم وقد تكررت الفتوى من العلماء المسئولين بمنع إظهار هذه الشخصيات الطاهرة.
2- تردد في المسرحية التشهير بجماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم قدوة لنا وقد نوه الرسول بمكانة أصحابه في أكثر من حديث شريف ومن واجبنا أن نبرز مفاخرهم ونركز عليها ونهتم بها وألا نطيل الوقوف أمام ما نسب إليهم من خلاف أو أخطاء.
3- ترددت في المسرحية عبارات الاتهام بالكفر والخروج عن الإسلام وعبارات اللعنة والتعريض الشنيع بالحرمان، وهذا كله بين مجموعة تنتسب إلى الإسلام وجاءت فيها ألفاظ خارجة مثل (أبناء الأمهات الزانيات، يا ابن الفاعلة، يا ابن البرصاء، الدعي ابن الدعي).
4- صورت المسرحية العصر الأموي تصويراً يجافي الحقيقة في بعض النواحي فوصفه بأنه عهد الإقطاع والأطماع وجردت الأمويين من كل خير ونحن لا ننكر أن هذا العصر فيه عيوب ومآخذ ولكن هذا العصر شهد أيضاً فتوحات إسلامية كثيرة

وكان فيه جهاد ونضال، فكيف نجرده من كل حسنة ونبالغ في تصوير فساده كل هذه المبالغة ؟!

5- المسرحية تعرض شخصية الصحابي (وحشي بن حرب) عرضاً مخالفاً للسيرة والتاريخ فهي تعرض هذه الشخصية المسلمة التائبة في صورة سكير مخمور، قد شرب (خمر الأرض) مع أنه من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى عنه الحديث، وقد جاءت أحاديث مروية عنه في صحيح الإمام البخاري.

وتصور المسرحية مقابلته للرسول عند إسلامه تصويراً غير كريم وغير سليم لا تتفق مع التاريخ ولا يناسب المعروف عن مكارم الأخلاق التي تحلى بها سيد الإنسانية ورحمة الله للعالمين: رسول الله صلوات الله وسلامه عليه فالرسول قد قبل إسلام وحشي وقال له (يا وحشي اخرج فجاهد في سبيل الله كما كنت تقاتل لتصد عن سبيل الله).

6- والعجب كل العجب أن يوجد "وحشي بن حرب" بين شخصيات هذه المسرحية لأن أحداثها تدور في سنة ستين للهجرة ووحشي بن حرب قد مات سنة خمس وعشرين للهجرة في خلافة عثمان رضي الله عنه!! فوحشي إذن لم يدرك شيئاً من أحداث هذه المسرحية فكيف يضاف إلى أشخاصها ؟!

7- هناك نوع من القسوة في الحكم على معاوية مع أنه صحابي ومن كتاب الرسول صلى الله عليه وسلم فقد ذكرت المسرحية أنه عطل أصلاً من القرآن وزيف قاعدة الشورى وأهدر أحكام السنة إلى غير ذلك من التهم الشديدة.

8- جاء على لسان الحسين رضي الله عنه وأرضاه أنه ذهب حينما اشتدت المحنة إلى قبر الرسول عليه الصلاة والسلام وقال يخاطب النبي: جدي، أنا لا أعرف ما أصنع فأعني "والحسين خير من يعرف أن العون إنما يلتمس من الله تبارك وتعالى، وجد الحسين هو نفسه القائل: إذا استعنت فاستعن بالله. فضلاً عن أن الواقعة لا نصيب لها من الصحة.

9- ذكرت المسرحية أن (يزيد) قد فرح بمقتل الحسين رضوان الله عليه وهذا يخالف الواقع؛ لأن التاريخ يذكر أن يزيد قد توجس شراً من قتل الحسين وأنه بكى حين رأى رأسه، ولسنا ندري لمصلحة من يظهر يزيد وهو حاكم المسلمين على أقل تقدير في مظهر حقير مثير لو كان أمراً واقعاً لما كان من الحكمة إبرازه.
فقد قدمته المسرحية عقب مقتل الحسين شخصاً يبدو مخموراً والجواري يمتطين ظهره وينخسنه فيسير بهن كالحمار، والتاريخ يذكر فيما يذكر أن يزيد كان متهماً بالانحراف عن الآداب الدينية قبل المبايعة له فلما تولى الحكم انصرف عن هذا الانحراف أو على الأقل لم يجاهر بمثل ما كان يجاهر به من قبل[1].

10- أن المسرحية مع الأسف كأنها تحرص على تصوير المجتمع الإسلامي بعد وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام بنصف قرن فقط في صورة بشعة وكأن هذا المجتمع قد تداعى وتهاوى، وصار مجتمع عربدة وفجور ومجتمع شقاق ونفاق ومجتمع جبن وضعف، ومجتمع خيانة نكث للعهود، مع أن المجتمع كان لا يزال فيه عدد كبير من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه عدد ضخم من التابعين لهم بإحسان.

11- تردد في المسرحية أكثر من مرة التعريض بنظام الجواري حيث تناول الأشخاص عبارات الاتهام والتمتع بالجواري، على سبيل التعريض والتهكم مثل هذه العبارات (ما تجيد سوى مصاحبة الجواري)، (تمتع بجواريك الأبكار الخرد)، (سوق الإماء).

12- تناثرت عبارات مأخوذة من جو غير إسلامي مثل هذه العبارات (ماجئت لألقي سيفاً) (جئت لألقى موعظة) (لأملأ كل بيت بالمحبة، جموع الفقراء) (يا مطفئ نور الحضارة).

---

(1) يحسن بالقارئ الرجوع إلى مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله- (4/381-488) حيث قال كلمة الفصل في يزيد بن معاوية وأثبت كذب كثير مما يُنقل عنه . (س)

13- اختير لون السواد لطائفة من الممثلين والممثلات وهذا السواد شعار طائفي مذهبي خاص[1]، فهل من المصلحة إثارة مثل هذه الطائفية، وكذا بدأ من قام بدور الحسين في ثياب تشعر بأنها إيحاء بشخصية غير إسلامية وإن كانت شخصية لها مكانها في نظر المسلم.
وكان هناك في نص المسرحية نواح وندب وتعديد، وقد طال هذا وامتد فما مدى اتفاق ذلك مع تعاليم الدين ؟!
كذلك جاء على لسان الأشخاص من أتباع الحسين رضي الله عنه ما يفيد أن قتال المعارضين للحسين خير من قتال المشركين فهل يحكم على عقائد الناس بمثل هذه السهولة ؟!

مآخذ على كتابات الشرقاوي: (حول الإمام علي)

أولاً: إن مصادر الكتابة عن الإمام علي ومنهج البحث في سيرة الصحابة تختلف عن المصادر ومنهج البحث في التاريخ العام، وهو لم يلتزم بهذا المنهج بل عمد لكتب التاريخ وغير كتب التاريخ فاستقى منها مادته وأخباره، فرجع إلى كتاب (الأغاني) وهو مرجع لمؤرخي الأدب في العصر العباسي يجمع أخبار الشعراء والأدباء والمغنين والمغنيات ومجالس الشراب والطرب، فإذا وجدت فيه معلومة عن صحابي أو تابعي فيجب الوقوف أمامها طويلاً، للبحث عما إذا كانت قد وردت في مصدر تاريخي أصيل مما تتكفل به أصول البحث العلمي، ومصطلح علم الحديث وأصول الرواية في معرفة حال الرواة وصحة المتن وطريق التحمل ولكن الشرقاوي سرى بين المصادر القديمة لقدمها ولم يفرق بينها ومن هنا وقع اللبس.

ومن مصادر الشرقاوي (الطبري) والطبري لا يشك أحد في صدقه ولكنه اعترف في كتابه أن الكتاب لا يخلو من الوقائع المكذوبة والأخبار المنحولة، فلما هوجم الشرقاوي في هذا دافع عن

(1) أي أنه شعار الرافضة –قبحهم الله- (س).

مصدره وأهمل هذا التحذير الخطير الذي سجله الطبري في صدر كتابه.

وهكذا فإن المصادر التي رجع إليها الشرقاوي لم تكن كلها كفئا للموضوع فوقع في ورطة لم تستجب لنصح الناصحين فيها.

ثانياً : تناول أشخاصاً لهم بلاء وغناء وسبق إلى الإسلام والجهاد في سبيل الله ووصفهم بما لا يليق بأمثالهم، فهم تلاميذ محمد صلى الله عليه وسلم والشوامخ الذين هاجروا في الله بعد ما فتنوا وهاجروا وصبروا وقد قدم لنا الإمام علي في عماية فتنة وإعصار محنة، وقديماً قرر الفقهاء والعلماء والسلف الصالحون ممن أدركوا الفتنة وجاءوا بعدها الإمساك عن الخوض فيها، فإن الصحابة كلهم عدول بتعديل الله لهم ولكل منهم وجهة نظر واجتهاد، والمخطئ فيه له أجر والمصيب له أجران.

لم يتناول الكاتب دور اليهود في هذه الفتنة التي آثر الخوض فيها وما فعله عبد الله بن سبأ وأشياعه والمخدوعون به فهم أسبابها وما أشبه الليلة بالبارحة، ولم ينهج نهج المحدثين وأهل الأثر من نقدة الأخبار على مقتضى قوانين الرواية والجرح والتعديل الذي ميز الله به أمة محمد صلى الله عليه وسلم وراح يسوق الأخبار ومنها الملفقة كأنها حقائق مسلمة، ويبني عليها اتهامات ويصدر أحكاماً قاسية وهي أخبار واهية لا تحل روايتها فضلاً عن اعتمادها في تقرير حكم أو توجيه لوم، خاصة إذا كانت تحمل في ثناياها دليل بطلانها ولم يشر إلى مرجع واحد من مراجعه التي اعتمد عليها، فإن كثيراً من أئمة المؤرخين قد ينقلون الشائعات والأخبار التي لا تصدق ولكن بأسانيدها اعتماداً على أن الناس سيبحثون الأسانيد فيقبلونها أو يرفضونها.

ثالثاً: إلحاحه في قوله: (ليس لبني إسماعيل فضل على بني إسحاق ولا لبني إسحاق فضل على بني إسماعيل) والحق أنني ألمح منها كيداً خفياً من عمل اليهود وإفكاً افتروه، بعد أن عزلهم الله عن قيادة البشر وجعلها في العرب من بني إسماعيل، فاليهود من يريدون إن يتساووا مع العرب والمسلمين ويستغلوا المبدأ ويقرروا أنهم يرتقون إلى مستوى المسلمين على ما بهم من بغي وكفر

وقساوة قلب وعلى أخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل وقولهم (ليس علينا في الأميين سبيل) ونحن نقول: (بل لبني إسماعيل اليوم فضل على بني إسحاق) وللعرب فضل على اليهود بعد ما أثبت اليهود ببغيهم وعداوتهم أنهم على مدى التاريخ وراء كل فتنة وسبب كل محنة وأنهم كالمشركين لا يرقبون في مؤمن إلاً ولا ذمة.

رابعاً: غرق عبد الرحمن الشرقاوي في أباطيل الرواة وفي الروايات الضالة فأجرى على لسان (الإمام علي) عبارات ما كان أن تجري على لسانه وتقول عليه أخباراً كاذبة كمثل ما نسب إليه من أنه قال أنه كان أولى من أبي بكر وعمر بالخلافة.

خامساً: انزلق عبد الرحمن الشرقاوي في أعراض الصحابة واندفع بهدف ونية مبيتة وليس من باب الخطأ أو عدم الإحاطة بالمصادر، وكان الواجب أن ينشر ما يقوم على احترامهم ومعرفة قدرهم وقد أشار النبي صلى الله عليه وسلم إلى هذا حين قال: (أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم) [1] ويقول (لا تسبوا أصحابي، من سب أصحابي فقد سبني).

وقد بدأ القصد من سياق السرد وهو النيل من الآخرين ومن سابقته بالذات –أي علي- وهي نقطة مهمة كان لابد من إثارتها، وكانت عبارات الكاتب تستهدف التنقيص ممن قبله من الخلفاء رضي الله عنهم أجمعين.

-وقد قصد الكاتب إلى إثارة خلاف في هذه الآونة بين طائفتين أو أكثر من المذاهب الإسلامية وإيجاد بلبلة وتباغض بين تلك الأمم والمذاهب ومن هنا دخل في الخطر الكبير الذي جاء عنه التحذير في بعض الآثار: (الفتنة قائمة لعن الله من أيقظها).

(1) حديث ضعيف. انظر السلسلة الضعيفة للألباني –رحمه الله- (78/1). (س).

-الأخطاء كثيرة وكأني بالرجل يرمي إلى شيء وراء هذه المغالطات غير العلم فابتعد عن الحقائق، وماذا يقصد بأوصافه التي أتى بها خياله عن ليلة زواج ذي النوريين عثمان رضي الله عنه من نائلة، وهو الذي كانت تستحي منه ملائكة الرحمن، ومن أين له هذا الوصف البعيد كل البعد عن العلم وعن التاريخ وأقرب ما يكون إلى روايات الجنس؟ أم كتاباته عن أم المؤمنين عائشة وعن الصحابة طلحة والزبير وغيرهم عندما وصفهم بغير أوصاف المؤمنين؟ وهم المؤمنون حقاً.

سابعاً: بدأ الشرقاوي خطته بأن ألف كتابه محمد رسول الحرية على أساس أن الإسلام مظهر للصراع بين الطبقات وأن الأصنام تم صبها حول الكعبة لأسباب مادية وتم هدمها كذلك لأسباب اقتصادية، ومضى في طريقه يفسر الوقائع بمعايير الفكر اليساري ويقرأ كتب التاريخ غير مميز بين حقيقة وشائعة، وبين صحيح وموضوع وغير مدرك لمكانة الرجال الذين يتحدث عنهم؛ فجاءت كتاباته بعيدة كل البعد عن المنطق العلمي، كما جاءت بعيد الأثر في الإساءة إلى الإسلام والصحابة وإلى الآمال المرجوة في الصحوة الإسلامية وجمع الشمل وقد ردد الشبهات والتقط النقاط المشكوك فيها التي تعينه على باطله ومنها الخطبة المنسوبة إلى علي بأنه أولى بالخلافة من أبي بكر وعمر وهي خطبة تعني أن الخلفاء الثلاثة كانوا مغتصبين حقاً ليس لهم وأنهم طلاب دنيا وعشاق رياسة، وأن جمهور الصحابة جبن عن مظاهرة صاحب الحق المقرر، وهذا النسق يرمي إلى فتح الباب للطعن في السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار.

-ودعواه أن بني النضير أسلموا باطل، فما أسلم بنو النضير يوماً، وأنهم حاولوا قتل النبي عليه الصلاة والسلام عندما كان بينهم في بعض الشئون

وهناك قضية وهب لها الشرقاري فكره ونشاطه ويريد أن يجر الإسلام إليها جراً دون هوادة، هل للمسلم أن يدخر أو يكنز بعد أن يؤدي الحق المقرر عليه في ماله، أم يجب ألا يمسك عنده شيئاً فوق حاجته، وهو يؤكد أنه لا يجوز استبقاء شيء لصاحبه فوق

نفقته العادية، إن هذا هو ميل إلى نظرية كارل ماركس (لكل حسب حاجته) ولكنه يصور الرأي الذي ارتآه على أنه من الكتاب والسنة، وهو يحاول أن يجعل علي بن أبي طالب ضد رأس المال مهما أدى ما عليه من حقوق وهو يحاول أن يجعل عثمان كأحد الباشوات أو اللوردات الذين يشبعون شهواتهم ويرهبون المجتمع بفضول أموالهم، ومن المقرر أن كتابات عبد الرحمن الشرقاوي لا تحكي تاريخاً إسلامياً، فهو يساري يريد أن يجعل الإسلام وتاريخه مصبوغين باللون الأحمر والتفكير المادي، ويسوق الحوادث سوقاً لخدمة هذا الغرض.

فهل صحيح أن الصراع بين التوحيد والوثنية كان صراعاً طبقياً كما يقول الأغنياء يدافعون عن وجودهم والفقراء عن حقهم في الحياة الكريمة وعن أحلامهم في عالم أفضل؟ أي أحلام هذه؟ وهل صحيح أن موسم الحج كان "يستثمر هؤلاء الأغنياء أموالهم في البيع والشراء والربا فيربحون ويربحون، وهذه الأصنام هي التي تمنحهم كل سلطاتهم على الأجراء والمعدومين والعبيد وأبناء السبيل، وواجه محمد هذا كله بأن الأصنام ضلال مبين فهو يلعن الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله... هكذا يقول الشرقاوي في تصوير الرسالة الإسلامية: صراع بين الغنى والفقر لا وجود له إلا في دماغ المؤلف.

وآية عدم اكتناز الذهب والفضة نزلت بعد اثنتين وعشرين سنة من بدء الرسالة ولا صلة لها بعبادة الأصنام أو الحرب التي شنها الإسلام على الوثنية من أول يوم.

حتى الهجرة إلى المدينة جعل لها الشرقاوي أسباباً اقتصادية، فإن المرابين في المدينة كان ضغطهم أقل، والهوان الذي يتعرض له المدنيون كان أخف، تأمل قوله: هنا مجتمع آخر أكثر تقدماً من مجتمع مكة، هنا علاقات اجتماعية أخرى أكثر قابلية لتعاليم محمد، فالمرابي اليهودي لم يكن قادراً على استعباد المدين العربي إذا عجز عن الوفاء كما كان يحدث في مكة، ولم يكن له الحق في أخذ امرأة المدين أو ابنته لإكراههما على البغاء كما كانت تفعل قريش، وأجير

الأرض في المدينة أعلى درجة من عبيد مكة الذين كانوا يحرسون القوافل والمصارف الخ.

ليس في هذا الكلام كله ذرة من صدق والقول بأن العرب كانوا يسترقون المدين المعسر، ويستوفون ديونهم من استرقاق امرأته وابنته وإرغامهما على الزنى، كلام مكذوب، ما كان شائعاً لا في مكة ولا في المدينة وبالتالي فلا صلة للهجرة بهذه الأوضاع المختلفة.

إن هذا الكلام ليس تشويه تاريخ، بل هو تزوير تاريخ، أو كما يقال في مصر (سمك، لبن، تمر هندي) وليس في القرآن ولا في السنة المطهرة ولا في السير المؤلفة عن صاحب الرسالة ما يترك مثل هذا الانطباع الغريب عن الجو الذي بدأت منه (تعاليم محمد) كما يصف عبد الرحمن الشرقاوي الإسلام ونبيه وما نزل عليه من وحي وما تمحض عنه من حضارة.

أخطاء عبد الرحمن الشرقاوي
في كتابه السيرة والتاريخ

في كل كتاباته الإسلامية يظهر الغرض المبيت المدفون واضحاً:

(محمد رسول الحرية –مسرحية الحسين ثائراً- كتاباته عن الإمام علي) إن درجة الوعي الإسلامي الآن في فهم تيارات التغريب قد أصبحت عالية وما نعتقد أنها يمكن أن تخدع، وهذه الأسماء معروفة الهوية ولذلك فهي لا تستطيع أن تكسب ثقة قارئ واحد من المؤمنين باليقظة الإسلامية، ولعل هذا هو ما يزعج هؤلاء ومن ورائهم، إن خطط التغريب والغزو الثقافي قد كشفت تماماً فمهما حاولوا تغيير جلودهم ومهما خلطوا أوراقهم ومهما نشرت لهم الصحف الكبرى ومهما حالت بين مفترياتهم وبين تصحيحها، فلييأس هؤلاء تماماً وسيرتد الكيد إلى نحور أهله.

إنها محاولة لتحطيم الصحوة وللقضاء على الأصالة ولطرح مزيد من الشبهات والشكوك والسموم على الطريق الذي أصبح

صالحاً ليسلك عليه المسلمون إلى إقامة المجتمع الرباني، إنها محاولات يائسة لإفساد الفكر ولتزييف التاريخ ولهدم القيم تحت أسماء إسلامية، ومن خلال صحف محتواه للتغريب والغزو الفكري.

في روايته الحسين شهيداً كان حريصاً على أن يصور المجتمع الإسلامي بعد أن اختار الرسول الرفيق الأعلى بنصف قرن في صورة بشعة، وكأن هذا المجتمع قد تداعى وتهاوى وصار مجتمع عربدة وفجور، ومجتمع شقاق ونفاق ومجتمع جبن وضعف خيانة ونكث للعود، مع أن المجتمع كان لا يزال يدخر بعدد كثير من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه عدد ضخم من التابعين لهم بإحسان (وهذه متابعة لخطة طه حسين) التي جرى عليها في الهجوم على الصحابة وأتباعهم.

أما في دراسة عن الإمام علي فقد اعتمد على مراجع معنية أغلبها مشكوك في صحتها وفي مقدمتها الأغاني، وفي هذا تابع أهواء الدكتور طه وخطته حتى ليخيل إلي أنه امتداد حقيقي وتجديد استشراقي تغريبي لأفكار طه حسين المسمومة التي بثها في كتابه الفتنة الكبرى وعلي بنوه في الأربعينات يجددها الشرقاوي في الثمانينات.

فقد جرى وراء القصص البراق، واعتمد على المصادر المضلة وساير خصوم الباطنية للشيخين أبي بكر وعمر وحاول أن يلحق الإساءة بالسيدة عائشة على هوى بعض الفرق.

ويمكن أن نقول بوضوح إن عبد الرحمن الشرقاوي القصاص الذي يغلبه الخيال والبريق والرواية المثيرة لا يصلح مؤرخاً ولا يمكن أن يقبل منه كل ما كتب على أنه تاريخ، وهو يمضي في سلك واحد مع جورجي زيدان أولاً وطه حسين أخيراً، ومن العجيب أن أحداً ممن نقدوه لم يشر إلى متابعته لخطا طه حسين في هذا المجال.

وفي الوقت الذي يأتي كتاب غربيون يشيدون بعظمة الإسلام ورسوله ورجاله ينحرف كتاب عرب لهم أسماء إسلامية عن هذا الخط ويخوضون إلى ما تحت ركبهم في الأعراض والقبائح.

ولقد تأكد ما قاله الشيخ الشعراوي من أن الأهرام أصبحت وكراً لأعداء الإسلام وأن موقف الأهرام من إغلاق الصحيفة على كتابها دون أن تسمح بوجهة النظر الأخرى هو من الآثام التي سوف تحاسب عليها الأهرام عندما يكتب تاريخ الصحافة، وما كانت هكذا تجري المعارك الأدبية في القديم حيث كان يسمح لكل طرف أن يعرض آراءه، وهاهي الأهرام تستخدم من قبل توفيق الحكيم وزكي نجيب محمود، والشرقاوي لخدمة أعداء الإسلام.

ولقد صدق الشيخ محمد الغزالي حين وصف الشرقاوي بأنه يجمع القمامات من كتب التاريخ ويصدق أيضاً ما وصف بأنها مؤامرة لضرب الإسلام لحساب المسيحية، ولضرب الصحوة التي أدخلت في الإسلام أعلاماً كباراً أمثال جارودي[1] وبوكاي.

ولعل أسوأ صفحات الشرقاوي هو أسلوبه في الحوار وإدخاله الإقذاع والسخرية فهو كاتب يمكن أن يوضع في صف الشعراء القدامى الذين تخصصوا في الهجاء المقذع الذي يرفضه الإسلام أسلوباً للحوار، فما بالك وصاحب الحق في الرد لا يُمَكن من أن يقول كلمته في نفس المكان، أي ظلم هذا ؟!". انتهى النقل عن الأستاذ أنور الجندي –رحمه الله-، بتصرف يسير.

وقال الأستاذ إسماعيل الكيلاني في كتابه (لماذا يزيفون التاريخ) (ص117-119): "والشرقاوي هذا كاتب تدثر بدثار التقدمية الماركسية، فلما وجد أن بضاعته مزجاة، وكتبه كاسدة لجأ إلى التاريخ الإسلامي ليقرأ حوادثه من خلال "المادية التاريخية" يدغدغ عواطف العامة ويستثير أحقاد القرون.. وهو صاحب قصة "الأرض" التي يهاجم الإسلام فيها من خلال مهاجمته الشيخ الشناوي "رجل الدين" بتعبيره حيث يقول عنه:

"لو كان يملك قيراطاً واحداً على الأقل لآمن أن الحكومة هي التي تحرم الفلاحين من الماء، ولتأكد أن الحكومة وحدها هي التي

---

(1) ثم تبين أن جارودي هذا لم يسلم! إنما هو باقٍ على عقيدته النصرانية، ولكنه ضم إليها الإيمان باليهودية وبالإسلام! مدعيًا أنه (ابراهيمي) المذهب لا يفرق بين الأديان الثلاثة! وقد رد عليه العلماء في حينها؛ كالشيخ ابن باز–رحمه الله-وغيره. انظر كتاب:"فكر جارودي بين المادية والإسلام" للأستاذ عادل التل.(س).

تصنع المصائب" "لم يكن الشيخ الشناوي يملك في كل أرض القرية إلا المقبرة" "إن الذين يملكون أرضاً في القرية يضعون أيديهم في النار، أما سيدنا فهو كخضرة –المومس- يده في الماء".

وفي مسرحيته "جميلة" بمناسبة انتصار ثورة الجزائر المسلمة على الصليبية الفرنسية، يؤكد أن مأساة الجزائر مأساة جزائرية، ليست عربية ولا مسلمة، وأن هدف المقاتلين الجزائريين "الحرية والإخاء والأمن والحب وحياة أفضل" أما العروبة والإسلام والعودة إلى محمد صلى الله عليه وسلم فليست هي أهدافهم بزعمه، أما لحنهم الحبيب عند الاستقلال:

مبروك يا محمد عليك الجزائر رجعت إليك

فهذا لا يستحق أن يذكر عند هذا التقدمي!

كما يؤكد على دور "سيمون" العاهرة الفرنسية في جيش التحرير الجزائري، ويجعل "جميلة" الجزائرية المسلمة تنطق بتقاليد "فرنسة" النبيلة، وبكرامة "فرنسة" التي يزري بها تعذيب الجلادين لها، ويشيد بمواقف فرنسيين يساريين تجاه ثورة الجزائر، والمعروف لكل ذي عينين أن اليسار الفرنسي لم يدافع عن الجزائر، بل غرق في عار الإستعمار، ولم يدافع عن "جميلة" العربية المسلمة إلا العرب المسلمون أبطال جيش التحرير الوطني الجزائري... وفي الوقت الذي يؤكد فيه على نصرانية "جان" وأنها تدفعه للسلوك الطيب المتعاون مع الثوار الجزائريين لم يشر أية إشارة إلى الدور الذي أداه الإسلام في الحفاظ على عروبة الجزائر، وفي أنه هو الذي قهر فرنسا، بل على العكس من ذلك فالصلاة والإسلام لا يذكره إلا الخونة عملاء الاستعمار "فالجاسوس هارون يقول: لم لا تقوم لكي تصلي، هل سهوت عن الصلاة؟" ووردت عبارة "الله أكبر" مرتين على لسان الجاسوس، ومرة على لسان المحامي الخائن عميل "فرنسة"، ومرّات على لسان "هند" بعد أن فقدت عقلها... ولا ينسى أن ينتقص المسلمين، فيقول في روايته هذه على لسان "هند" : "من يوم أن ذبح الحسين وأهله في كربلاء لم تأت غاشية كتلك" وكأنه يريد أن يعتذر عن المجازر الفرنسية، وأن المسلمين ارتكبوا أفظع منها ضد بعضهم بعضاً... هذا في

الوقت الذي يعلن فيه "عمار أوزيجان" الوزير الجزائري بعد الاستقلال أن "رفض الأيديولوجية الإسلامية في بلاد مستعمرة، يضطهد دين أكثرية سكانها الساحقة، علامة تجدد أخرق، تنادي به فئة منفصلة عن الشعب، غريبة الحياة والفكر، امتصتها أو شلتها أيديولوجية المستعمر" وهذا الوصف ينطبق على الشرقاوي".

وقال الكيلاني –أيضاً- متحدثاً عن الدراسات التاريخية القاصرة، أن منها كتاب "علي إمام المتقين، وكأنه يريد لتلك الفتنة التي ذرت قرنها بين المسلمين، وبعد أن أفضى الجميع إلى ربهم، وطويت صفحاتها نهائياً، أن تعود من جديد ببعث أشخاصها من قبورهم، وجعلها مادة يصول فيها ويجول لتقطيع كل رابط يمكن أن يشد المسلم إلى أخيه، يوقظ أحقاد القرون، ويستدر عواطف المقهورين، ويثير ريح الكراهية نحو الجيل القدوة، وما في ذلك من تحقيق لأهداف أعداء الأمة، وكأنه يريد أن يقول للناس: هذا هو سلفكم، وهذا سلوكه وتصرفاته!! معتمداً في ذلك كله على مفتريات وأكاذيب أشاعها أصحاب الأهواء ممن أسلموا قيادهم لابن سبأ اليهودي؛ تابعهم فيها ولم يكلف نفسه عناء نقدها وتمحيصها، فضلاً عن أنه لم يذكر أي مصدر لأية رواية احتج بها، وهو يتهجم على صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم .. وكان من جملة مفترياته:

1- أبو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم بغاة (....جمع علي – رضي الله عنه على زعم الكاتب- كبار المهاجرين والأنصار وفتيان بني هاشم- في المدينة المنورة- وقال لهم: ويم الله ما زلت مبغياً عليّ منذ قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم).
2- عثمان رضي الله عنه ألعوبة بيد بطانة السوء، ومخادع غاش (... وكنت كلما نصحته يا علي تاب إلى الله وأزمع عزل بطانة السوء، فتجيئه تلك البطانة فتغير رأيه ... لكم دافعت عنه، وهو يعدك ويستغشك).
3- عثمان رضي الله عنه أقطع بني أمية كثيرين من الصحابة رضي الله عنهم إقطاعات من بيت مال المسلمين، وأعطاهم أموالاً كثيرة من بيت المسلمين لا يستحقونها (ألا وإن كل ما أقطعه عثمان من مال الله مردود إلى بيت مال المسلمين).

4- مأساة عثمان رضي الله عنه جاءت نتيجة الجمع بين ورع الإمامة وأبهة الملكية (صنع –عثمان- مأساته ونهايته الفاجعة بنفسه منذ أصبح إماماً لنفسه وملكاً على الآخرين، أخذ نفسه بورع الإمامة والخلافة والسنة الشريفة، وأخذ المسلمين بسياسة الملك العضوض...وهو الذي نفى أبا ذر إلى الربذة لأنه جهر بتحريم الكنز، وأمر بالمعروف ونهى عنا المنكر!

5- عمر رضي الله عنه (ضرب أبا هريرة –رضي الله عنه- وقاسمه أمواله، واتهمه في صدقه، ومنعه من رواية الحديث الشريف، وأبدى عجبه كيف يروي أبو هريرة عن الرسول صلى الله عليه وسلم أضعاف ما روى عنه أبو بكر وعمر نفسه وعلي، وما كان أحد ألصق برسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أكثر صحبة من هؤلاء الثلاثة...).

6- التشكيك بنفر من الصحابة منهم: عائشة رضي الله عنها أم المؤمنين، وطلحة والزبير رضي الله عنهما المبشران بالجنة، ويصفهم بالنفر الذين (انتفخت أجوافهم، وطمحت أبصارهم، وأحب كل امرئ منهم لنفسه.. هؤلاء الراغبون في أن تكون الولاية على الناس سطوة ملك عضوض..) واتهمهم بأنهم كانوا المحرضين على قتل عثمان رضي الله عنهم جميعاً.

7- بنو أمية أهل كيد وسوء (لا تعلمون أيها الناس كيد بني أمية ومكرهم السيئ، والله لا يزالون حتى لا يدعوا لله محرماً إلا استحلوه، ولا عقداً إلا أحلوه...)

8- صراع الطبقات وتفسير التاريخ الإسلامي تفسيراً مادياً تبعاً لماركس (أيمكن لطلحة والزبير أن يعيدوا هذا المال إلى بيت المال، أم أن المصالح التي تربطهما بكبار بني أمية، كمعاوية وعصبته، هي الآن أقوى مما عسى أن يربطهما بالإمام.. سيلحق طلحة والزبير بمعاوية وعصبته بلا مراء...) لأن علياً رضي الله عنه (سيحرمهم من كل متاع ومن كل مآربهم في حياتهم الجديدة الرغيدة، وسينصر عليهم المساكين، ويظل حتى يفقدوا أبهة الملك وزخرف الغنى وسطوة الجاه...)

وهو في جميع مفترياته هذه لم يعز أية رواية اعتمدها إلى مصدرها، ولم يذكر أي مصدر من المصادر التي رجع إليها واستقى منها ما سوّد من صفحات، وتعمد هكذا أن يلقي الكلام على عواهنه حتى لا يُفْتَضح هدفه، وتنكشف غايته، وأكبر الظن أنه تستر عليها ولم يذكرها لكونها جاءت وصدرت عن أهل الأهواء والفتن" انتهى كلام الأستاذ الكيلاني (ص 117 – 122).

ويقول المستشار سالم البهنساوي في رده على الشرقاوي في كتاب (تهافت العلمانية في الصحافة العربية) : "لو كان الشرقاوي كاتباً إسلامياً يخدم الإسلام في كتبه، فليعلن توبته عن كتابه (محمد رسول الحرية) ، فالرسول صلى الله عليه وسلم في هذا الكتاب ليس رسول الله بل رسول الحرية! كماركس عند الشيوعيين... " (ص 173).

نظرة شرعية في فكر (الدكتور محمد أركون)

قال الأستاذ عبد السلام بسيوني في كتابه (العقلانية: هداية أم غواية؟) عن أركون "جزائري من مواليد 1928، أتم دراسته بباريس 1955 وحصل على الدكتوراه من السربون 1969 حول الإنسية العربية في القرن الرابع الهجري، وحاضر بالعديد من الجامعات الفرنسية والعربية.

معظم مؤلفاته بالفرنسية، وهو علماني يدعو إلى التعامل مع الإسلام –والقرآن والسنة بالذات- بالمقاييس الغربية وبالاستفادة من المعطيات التي خلفها ماركس ونيتشه وغيرهما، ويعتبر الدين الذي ينتهجه الناس مجموعة من المعطيات البطريركية التي خلفها الفقهاء وأسبغوا عليها صبغة القداسة.

ومن آرائه أيضاً أن مفهوم الدين لم يبلور بلورة كافية للقيام بقفزه نظرية لا نتردد معها أن نجزم بأن الأديان ما هي إلا أيديولوجيات (مجلة الوحدة: العدد 6-1985).

وأن المحتويات العلمانية التقديرية للفكر الإسلامي التقليدي ستبقى في غير متناولنا ما دمنا نريد البقاء متشبثين بإسلام لا يعدو أن يكون ديناً يأمر ويسجن العالم أجمع، ويرى الاتجاه إلى إقصاء جميع الخطب الأيديولوجية والتبريد الشرعي لمختلف إرادات القوة التي يشكل الاصطدام بها تاريخنا الماضي والحاضر(!!) الذي هو مجرد تاريخ أسطوري (!!) لا يزال يحكمنا إلى اليوم (المجتمع العالمي-1978) ويناقش –راداً- بعض نصوص القرآن المتعلقة بالمرأة معتبراً إياها شكلاً من أشكال التخسيس والزراية.

وننقل –للإيضاح- جزءاً من حوارٍ أجرته معه مجلة "لونوفيل أبسرفاتور" الفرنسية Nouvel Observateur فبراير 1986، يعكس جزءاً من طريقته في التفكير الذي يعتمد القفز والمغالطات واستغفال القارئ من خلال مصطلحات "خواجاتية" يحاول أن يخضع لها الفكر الإسلامي فيقول:

المجلة : باسم القرآن تقطع أياد، ترجم نساء، يفرض الحجاب، تقام حروب مقدسة.

أركون: هذه الأفعال تقام باسم القرآن ولكنها في الواقع خيانة له:

Ces acts sont commis au nom du Coran, mais ils en sont la trahison

وإن السلطات السياسية (!!) تفسر النص القرآني بمفهومها الخاص. أما النص نفسه فهو مغطى، محرف أو منسيّ.

مثلاً في تعدد الزوجات، ماذا يقول القرآن، يمكنك أن تنكح اثنتين أو ثلاثاً أو أربعاً من النساء.. نعم، لكن: ماذا تقول بقية الآية؟ على شرط أن تعدل بينهن، العدل هنا لا يعني أن يكون لديهن نفس المتاع، لكن كذلك نفس الحنان والحب بالضبط، وتقول السورة: إذا لم تستطع أن تكون عادلاً فلك واحدة فقط، لكن من المستحيل أن يكون الإنسان عادلاً، فإذا القراءة المتأنية للقرآن لا يمكن أن تؤدي إلا إلى منع تعدد الزوجات (!!).

نفس الشيء يمكن أن يقال بخصوص قضايا أخرى. رمضان مثلاً: في يوم من الأيام دعا الرئيس بورقيبة أصدقاءه إلى تناول الطعام في رمضان، كل الناس صدموا وقتها، لكن قال لهم: إن النبي نفسه دعا صحابته إلى الأكل والشراب في رمضان. نعم هذا الاستثناء كان وقت حرب، ولكن نحن كذلك في حرب ضد التخلف. فكما ترين: القرآن تتوجب إعادة قراءته.. والتفكير فيه بشيء مختلف (!!)

المجلة: لكن هناك أشياء النص فيه واضح.

أركون: بالعقل القرآن يقول: **(للذكر مثل حظ الأنثيين)** في مثل هذه الحالة الحسابية لا يمكن فعل أي شيء إلا إعادة طرح مسألة التفسير القرآني. لا يمكننا أن نستمر في قبول ألا يكون للمرأة قسمة عادلة (!!)

فعندما يستحيل تكيف النص مع العالم الحالي.

عندما يكون علانيةً منبثقاً عن وضع اجتماعي لا يتناسب في شيء مع عالمنا الحاضر.

ينبغي العمل على تغييره.

إن التفسير يبقى دائماً جائزاً بشرط أن يعاد في مسألة التنزيل على ضوء التاريخانية.

الحجاب مثلاً –ككل ما يمت إلى الجنس وإلى وضع المرأة في الإسلام- ينتمي لقانون عربي سابق على الإسلام.

الإسلام صادق على تقاليد قديمة متعلقة بأسس قبلية، وأعطاها بعداً مقدساً (!!)

ويتعلق الأمر اليوم بإعادة التفكير في هذه المفاهيم على ضوء التاريخ.

وللأسف فإن هذا العمل في بدايته في الإسلام.. بحكم سيطرة الأيديولوجيا (انظر دراسة محمد بريش عن أركون، مجلة الهدى- 1985)ومن آراء أركون رفضه للإسلام نظام حكم لأنه لم يكن كذلك لا تاريخياً ولا عقائدياً!!) ا.هـ كلام الأستاذ عبد السلام بسيوني (ص 126-128) (وانظر كتابه الآخر: اليسار الإسلامي خنجر في ظهر الإسلام، ص 38 وما بعدها)

وقال الدكتور مفرح القوسي عنه: "الدكتور محمد أركون[1]: أحد كبار العلمانيين الداعين إلى التعامل مع الإسلام –كتاباً وسنة بوجه خاص- بالمقاييس بالغربية، تجنى كثيراً في كتاباته واللقاءات العديدة التي أُجريت معه على السلف ومنهجهم. فهو –مثلاً- يتهم المنهج السلفي بأنه منهج أسطوري لا تاريخي مغرق في التجريد والمثالية، فنراه يقول تحت عنوان (الرؤية الإسلامية التقليدية): "إليكم كيف يلخص المفكر الحنبلي ابن تيمية هذه الرؤية كما فرضت نفسها انطلاقاً من القرن التاسع: (فهذه الطبقة –صحابة النبي- كان لها قوة الحفظ والفهم والفقه في الدين والبصر والتأويل، ففجرت من النصوص أنهار العلوم، واستنبطت منها كنوزها، ورزقت فيها فهماً خاصاً...، فهذا الفهم هو بمنزلة الكلأ والعشب الذي أنبتته الأرض الطيبة، وهو الذي تميزت به هذه الطبقة عن الطبقة الثانية، وهي التي حفظت النصوص، فكان همها حفظها وضبطها، فوردها الناس وتلقوها بالقبول، واستنبطوا منها واستخرجوا كنوزها) [2]، ويعلق أركون على ذلك بقوله مباشرة: "يتضح أكثر ما يتضح كيف يحذف تمجيد الجيل –الصحابي- الذي شاهد الوحي، يحذف المنظور التاريخي من الناحية العملية، فكل الحقيقة التي يمكن معرفتها، وكل التعاليم السنية في الإسلام، وكل نماذج السلوك الديني المحتذاة، ونماذج العمل الإنساني والتنظيم السياسي الاجتماعي، كل ذلك يتركز ويتحدد غاية التحديد في عصر التأسيس؛ في النصوص، الينابيع، النماذج (القرآن، الأحاديث النبوية المسماة سنة)، وهي مفهومة فهماً مثالياً وتحظى بتفسير الصحابة البارع، ثم إنها قد جُمعت ونُقلت بأمانة دقيقة من قبل التابعين وأجيال الفقهاء الورعين اللاحقين. وهذه السلسلة المتصلة من الشاهدين

---

(1) مفكر جزائري ولد عام 1928م بالجزائر، وبها بدأ دراسته، ثم أتمها بباريس عام 1955م، حصل على الدكتوراه من جامعة (السربون) سنة 1969م، حول (الإنسية العربية في القرن الرابع الهجري)، نشأ نشأة استشراقية ألقت بظلالها على نشاطه وإنتاجه الفكري، حاضر في العديد من الجامعات الفرنسية والعربية، ويعمل حالياً أستاذاً بجامعة (السربون) بباريس، من مؤلفاته: (الفكر العربي) و(الفكر الإسلامي نقد واجتهاد) و(تاريخية الفكر العربي الإسلامي) و(من الاجتهاد إلى نقد العقل الإسلامي).

(2) نقض المنطق ص 79.

الـذين لا يطـالهم لـوم؛ تجعـل مـن الجـائز أن يكـون هنـاك مفهومـاً إسـلامياً صـحيحاً معروفـاً منذ أصـوله، ومستمراً بواسطة المؤمنين ضـد الانحرافـات والالتـواءات والتشـوهات التـي أقحمتهـا الفـرق المبتدعة عبر العصور. وبالاستناد إلى حديث يُذكر دائماً أن محمداً نفسه قد أعلن أن أمته ستُقسم إلى ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا فرقة واحدة ناجية؛ لأنها هي التي اتبعت سنته بحذافيرها، أي: كل تعاليمه وكل ممارساته، وهذه

الجماعـة مـن المـؤمنين الحقيقيـين تسـمى (أهـل السـنة والجماعـة). ومثلما يحدث في جميع الحركات الأيديولوجية الكبرى نهضت عدة جماعات في وجه المسلمين السنيين؛ احتجاجاً على دعواهم الانفراد بالإسلام الحقيقي والعمل على استمراره، ومن الجدير بالذكر أن نشير إلى أن كل فرقة تعلن عن نفسها أنها وحدها التي تستأثر بالسنة، ولكنها كلها تقيم الصلة ذاتها بعصر التأسيس، وذلك بوضع المصادرات التالية موضع التنفيذ:

أ- أن الوحي القرآني يشتمل على كل ما ينبغي على الإنسان أن يعرفه حول مصيره الخاص وحول الآخرة والتاريخ والعالم والله.

ب- لقد أبان محمد بقوله وعمله المعنى الدقيق للوحي، وأن حياته تؤلف على هذا النحو الأنموذج الكامل، الذي يترتب على كل مؤمن أن يسعى لمحاكاته.

ج- أن حياة محمد وتعليمه يمكن أن يُعرفا عن طريق الرواية التي لا ينالها الشك، مما قام به الصحابة والتابعون والفقهاء. ومما يلاحظ أن الخلاف يتناول دروب الرواية والوضع الأخلاقي الديني للرواة، ولكنه لا يمس نماذج الرواية ولا تقنيتها (سلسلة الإسناد). وإن الفرق كافة تستعمل إذن النشاط الذي يضفي الأسطورية على الماضي، وتمارس عمل الإسقاط ذاته لمفاهيم شتى، وأوضاع تاريخية متغيرة على لائحة الدلالات المثالية التي أقيمت في ذلك الوقت.

د- أن قيمة السلوك الإنساني، وبوجه أعم قيمة النمو التاريخي للشعوب بعد سنة 632 (سنة وفاة النبي صلى الله عليه وسلم) إنما تتبع بدقة وظيفة ترسخها في النصوص- الينابيع- النماذج، وفي الأشكال الرمزية المثالية (النبي، الصحابة، الأئمة)، وكل ابتعاد عن هذه النماذج لا يُعاش ولا يُطرح إلا بوصفه ضلالاً وانحطاطاً يصيب الأمة" [1].

ويقول مؤكداً تهمة (اللا تاريخية) في المنهج السلفي: "إن الطريقة التي أجاب بها الإصلاحيون السلفيون عن الواقع التاريخي كانت تتضمن نظرة أسطورية تجاه أصول الإسلام أكثر من كونها نظرة تاريخية، وذلك لأن الإصلاحيين زعموا أن الإسلام الأولي بإمكانه أن يحل مشاكل القرن التاسع عشر، وأن يواجه تغلغل الحداثة الاقتصادية والسياسية التي سبقتها في أوروبا ثورات وتجارب ديمقراطية وبرلمانية، وأيضاً تغلغل الحداثة الفكرية التي سبقتها في أوروبا أيضاً وفي القرن نفسه حركات علمية ضخمة. هذا كان عبارة عن وقائع تاريخية إيجابية، ولمواجهتها أراد المسلمون أن يقدموا إجابات من نوع أسطوري وليس تاريخياً"[2]، ويقول: "أعتبر الموقف السلفي موقفاً ميتولوجياً، وذلك لكونه يريد العودة إلى ماضٍ موصوف بالمثالية"[3]، ويقول أيضاً: "إن صورة الإسلام في قرنهً الأول للهجرة –وهي الصورة التي تناقلتها الحركات الإسلامية- ليست صورة تاريخية وإنما أسطورية"[4]، ويقول كذلك: "إن المسلمين ظلوا متعلقين بتصور هو أقرب إلى الأسطورية فيما يتصل ببواكير الإسلام، وإن الأسطورة هي أحد طرق التعبير عن الحقائق الإسلامية لدى الجماعات الإسلامية"[5].

---

(1) الفكر العربي ص 47 – 49 بتصرف يسير، ط الثالثة 1985م، دار عويدات، بيروت – باريس. وراجع كتابيه (من الاجتهاد إلى نقد العقل الإسلامي) ص 97-98، ط الثانية 1993م، دار الساقي، بيروت- لبنان وهما بترجمة: هاشم صالح.

(2) حوار البدايات مع محمد أركون، وهو حوار أجراه معه محمد رفرافي، منشور في مجلة (الفكر العربي المعاصر) في عددها الصادر في سبتمبر (أيلول) 1989م، ص 87.

(3) المرجع السابق ص 88.

(4) المرجع السابق ص 90.

(5) انظر: الفكر العربي ص 46.

ولذا نجده يدعو إلى إعادة قراءة وتشكيل الفكر والتاريخ الإسلامي مما يتعلق بالحوادث والأشخاص خلال القرنين الهجريين الأولين[1].

ولما سُئل: هل يوجد إسلام واحد صحيح مصير أصحابه الجنة، وأن بقية الفرق الأخرى في النار؟ .

أجاب : "هذا التصور رسخته الأدبيات البدعية (أي كتب الفرق الإسلامية وكتب الملل والنحل)، ومعظم الجهد الذي أقوم به الآن يتمثل في تجاوز هذه الأدبيات والخروج من موقعها الإيديولوجي الذي يخلع على نفسه غطاء الشرعية التيولوجية (أي اللاهوتية الإسلامية) دون أي حق أو برهان.. إن القول أن هناك حقيقة إسلامية مثالية وجوهرية مستمرة على مدار التاريخ وحتى اليوم ليس إلا وهماً أسطورياً لا علاقة له بالحقيقة والواقع... وسوف تنزاح الغشاوات عن عيون الناس وتسقط الأوهام الكبرى الشائعة التي تملأ وعي المسلمين بخصوص تاريخهم، فهم يتوهمون أن الإسلام السني كان موجوداً منذ البداية وعلى مستوى لحظة القرآن والخطاب القرآني، ولكن ذلك ليس إلا وهماً وسراباً...وأنا كمؤرخ نقدي يفتح عينيه جيداً لن أصدق هذا الزعم، لأني لو صدقته لما كنتُ مؤرخاً أو باحثاً، ولأصبحت عقائدياً متحيزاً"[2].

وينظر أركون إلى "الوحي" و"الحقائق الإسلامية الغيبية" و"الأصول التشريعية" نظرة بُعْديّة؛ منفلتة من مشاعر الاحترام والتقدير التي يحملها المسلم بداهة لكل ما يمس دينه ومعتقده. من ذلك –على سبيل المثال- قوله : "إن الفكر الإسلامي لا يمكنه أن يتهرب طويلاً، إن فعل الإيمان "الأرثوذوكسي" الأصيل الذي يصلح دوماً؛ يقوم على التأكيد بأن الدين يرتكز على الوحي الذي أنزله الله على الناس بواسطة الأنبياء، وبالتالي فإن الدين فوق المجتمع، ولكن الواقع العلمي الحديث ينزع إلى فرض الفكرة بأن

(1) راجع : المرجع السابق ص 45 وما بعدها.
(2) الفكر الإسلامي –نقد واجتهاد ص 246 –247 بتصرف يسير.

الدين كله في المجتمع ومن المجتمع. الله بذاته بحاجة إلى شهادة الإنسان له"[1].

ومن ذلك: اعتقاده بأنه لكي نفهم ما سماه (الحادث القرآني) [2] وآثاره على الفكر العربي الإسلامي لابد –في نظره- من تحقيق "التاريخ الانتقادي للقرآن الكريم"، والذي –كما يقول- ليس "سوى إعادة بناء المجموع الصحيح لجميع النصوص التي نزلت على محمد باسم التنزيل والوحي"[3].

ومن ذلك أيضاً: ادعاؤه أن الحديث النبوي لم يصبح مصدراً ثانياً للتشريع بعد القرآن إلا بعد وضع الإمام الشافعي أصول الفقه ودّون أسسه في القرن الثاني الهجري[4].

ومن ذلك أيضاً: قوله عن تحديد الإمام الشافعي في كتابه (الرسالة) لمصادر التشريع الإسلامي بأنها: الكتاب والسنة والإجماع والقياس؛ قوله عن هذا التحديد بأنه: "الحيلة الكبرى التي أتاحت شيوع ذلك الوهم الكبير بأن الشريعة ذات أصل إلهي"[5].

ومن ذلك كذلك : قوله عن قاعدة الإجماع في أصول الفقه الإسلامي بأنها: بمثابة وجه آخر للقهر الفكري في التراث الإسلامي[6] .

ويصم أركون الحنابلة السلفيين –ولا سيما الإمامين أحمد بن حنبل وابن تيمية- بالتزمت واستعمال العقل استعمالاً أسطورياً[7]، وبالإلحاف على وجوب الإقرار بأركان الإيمان دون التساؤل عن براهينها[8]. ويدعي أن الإمام الشافعي في كتابه (الرسالة) "قد أسهم

---

(1) الإسلام الأمس والغد ص 121 – 122، ط الأولى 1983م، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، ترجمة: علي المقلد. وراجع: الفكر العربي ص 153.
(2) أي الظاهرة القرانية.
(3) الفكر العربي ص 30.
(4) انظر كلاً من : الفكر العربي ص 76، وتاريخية الفكر الإسلامي ص 75، ط الأولى 1986م، مركز الإنماء القومي –بيروت، ترجمة: هاشم صالح.
(5) تاريخية الفكر العربي الإسلامي ص 297.
(6) انظر: من الاجتهاد إلى نقد العقل الإسلامي ص 77 – 78.
(7) انظر: الفكر العربي في الصفحات: 90، 128، 131، 153.
(8) انظر: المرجع السابق ص 104.

في سجن العقل الإسلامي داخل أسوار منهجية معينة؛ سوف تمارس دورها على هيئة استراتيجية لإلغاء التاريخية"[1]، ويقول عن الإمام الطبري: "الطبري عندما كان يقول: يقول الله، ثم يُعطي تفسيره وكأنه مطابق تماماً لقول الله أو لمقصد الله، فإنه لم يكن يعرف أنه يتلاعب من غير وعي منه بالأنظمة التيولوجية"[2].

ويشن أركون هجوماً عنيفاً على الفقهاء والمفسرين، ويكيل لهم العديد من السباب والشتائم مما لا يتفق بحال مع الطابع التاريخي العلمي الموضوعي الذي يدّعي تقمصه في أبحاثه وكتاباته، ومن ذلك على سبيل المثال قوله: "الشيء الذي ينبغي أن يحظى باهتمامنا هنا وينبغي التركيز عليه هو ذلك الزعم المفرط والغرور المتبجح الذي يدّعيه الفقهاء بأنهم قادرون على التّماس المباشر بكلام الله[3]، وقادرون على الفهم المطابق لمقاصده العليا ثم توضيحها وبلورتها في القانون الديني"[4]، وقوله –واصماً إياهم بصفة (الانتهازية)-: "سوف نرى فيما بعد أن انتهازية المشرعين تصبح أكثر وضوحاً وجلاء عندما يتنطعون لتعيين الآيات

الناسخة والمنسوخة"[5]. ويدعي أن الفقهاء كانوا يعتمدون في صدر الإسلام على آرائهم الشخصية في تقريرهم الأحكام الفقهية فيما يتعلق بالأحداث والوقائع المستجدة، ثم يُضفوا (يُسبغوا) عليها الصفة الشرعية[6]. ويتهمهم بالتلاعب بالآيات القرآنية، فيقول: "إن المشرعين من البشر (أي الفقهاء) قد سمحوا لأنفسهم بالتلاعب بالآيات القرآنية من أجل تشكيل علم للتوريث يتناسب مع الإكراهات

---

(1) تاريخية الفكر العربي الإسلامي ص 74.
(2) الفكر الإسلامي – نقد واجتهد ص 219.
(3) يعني فهم كلام الله، وهذا مدخل أساسي من مداخله لعزل القرآن عن الواقع الإسلامي، لأنه طالما ظل القرآن "طلسماً" لا يمكن ادعاء فهمه لأحد، فليس له قيمة علمية في الحياة على أية صورة.
(4) من الاجتهاد إلى نقد العقل الإسلامي ص 15 – 16.
(5) المرجع السابق ص 38.
(6) راجع: الفكر العربي في الصفحات : 57، 58، 76، 107.

والقيود الاجتماعية الاقتصادية الخاصة بالمجتمعات التي اشتغل فيها الفقهاء الأوائل"[1].

ويُصرُّ في معظم كتبه على وصف منهجهم بـ (الأرثوذكسية) الذي يعني –في نظره- الجمود والانغلاق الفكري؛ وفرض تفسيرهم لنصوص الكتاب والسنة بالقسر والقوة وعده التفسير الوحيد الصحيح المستقيم، وما عداه هرطقة وضلالاً. ويدعي أنهم يمارسون رقابة أيديولوجية صارمة على كل الفئات الاجتماعية وعلى كل مستويات الثقافة في البلاد الإسلامية، مما حد كثيراً من حرية البحث والتعبير، وأدى بالتالي إلى تأخر الفكر الإسلامي[2].

ويمتدح –في المقابل- المستشرقين، ويطري مناهجهم في دراسة الإسلام، ويدعي أن الاستشراق الآن "هو وحده الذي يؤدي إلى تقدم الدراسات في مجال الثقافة الإسلامية والفكر العربي، كما كان عليه الحال أيام غولدزيهر وجوزيف شاخت"[3].

كما يمتدح علي عبد الرازق على ما أورده في كتابه (الإسلام وأصول الحكم)، ويدعي أنه لم يكن للخلافة الإسلامية أساس ديني، وأنها صنعت لنفسها وجهاً دينياً بواسطة الفقهاء[4]، ويدعو إلى تطبيق العلمانية وممارستها في البلاد الإسلامية، بحجة أنها أصبحت ضرورة ملحة لهذه البلاد في وقتنا الراهن[5]، وينكر على السلفيين قولهم أن "الإسلام دين ودولة"، واصفاً منهجهم بأنه منهج وثوقي (دوغمائي)، لأنه –في نظره- يفرض موقفاً من دون تحليله فكرياً وتبريره بدراسة تاريخية[6]". انتهى كلام الدكتور مفرح القوسي – وفقه الله-.

---

(1) من الاجتهاد إلى نقد العقل الإسلامي ص 67.
(2) انظر: المرجع السابق ص 27.
(3) المرجع السابق ص 30.
(4) انظر: حوار البدايات مع محمد أركون ص 89.
(5) راجع كلاً من : تاريخية الفكر العربي الإسلامي ص 275 وما بعدها، والفكر الإسلامي – نقد واجتهاد ص 273 وما بعدها.
(6) انظر: حوار البدايات مع محمد أركون ص 89.

وقال الأستاذ محمد بن حامد الأحمري في مقال بعنوان (محمد أركون ومعالم من أفكاره) نشره في مجلة البيان (عدد 35) :

"تطورت في عصرنا هذا وسائل الدعاية لكل شيء بمقدار لم يسبق له مثيل، هذه الدعاية في قضايا الكماليات ووسائل الراحة قد تكون معقولة إلى حد ما، لكن الغريب من أصناف هذه الدعاية، الدعاية الفكرية لعامة الكتاب والشعراء والروائيين إلى درجة تدفع إلى السأم وعدم الثقة بأي شيء يشتهر من كتاب أو كاتب أو صحيفة، فيجعلك هذا لا تثق بالشهرة لأي عمل، إذ قد يكون في غاية الرداءة والفساد لكن جيوش الإعلام والترويج تحاصرك حتى تفقد بصيرتك. وقد حاصرتنا الدعاية في زماننا ورفعت في وجوهنا مجموعة من الكتاب والمفكرين والأدباء، وألصقتهم في وجوه ثقافتنا كرها، وألزمتنا بهم وحاصرتنا كتبهم في كل زاوية، وليس هذا الحصار فقط بين العرب، بل لقد شكت إحدى المستشرقات وقالت : إن أدونيس لم يقل شيئاً ولكن اللوبي الأدونيسي هو الذي أعطاه الأهميةً! هذا الجيش الدعائي من وراء كتاب صغار أو مغالطين كبار هو الذي أعطاهم أهمية كبرى في عالم الكتاب العربي.

قال أحد القراء: لقد رأيت كتب أركون ولفت انتباهي الدعاية الكبيرة لها، فذهبت مع القوم واشتريت منها وقرأت الأول والثاني فما أحسست بفائدة ولا ساعدني الفهم، وقلت: كاتب متعب، ولكن زادت الدعاية للرجل فقلت في نفسي: النقص في قدرتي على الدراسة والفهم، وسكت وخشيت أن أقول لأحد: لا أفهمه، حتى إذا كان ذات يوم جلست إلى قارئ وكاتب قدير وتناول كتاب "تاريخية الفكر العربي الإسلامي" وقال: لقد حاولت أن أفهم هذا الكاتب أركون فما استطعت، فكأنما أفرج عني من سجن وقلت: رحمك الله أين أنت فقد كنت أبحث عن قارئ له يعطيني فيه رأياً، لا الذين أكثروا من الدعاية له دون دراية.

وحتى لا تضر بنا المبالغة في هذا إليك نموذجاً للدعاية الأركونية: علق هاشم صالح مترجم أركون إلى العربية في آخر كتاب "الفكر الإسلامي نقد واجتهاد" يقول هاشم: بعد أن تركت

محمد أركون رحت أفكر في حجم المعركة التي يخوضها بكل ملابساتها وتفاعلاتها، وهالني الأمر فكلما توهمت أن حدودها قد أصبحت واضحة محصورة، كلما اكتشفت أنها متشابكة معقدة، شبه لانهائية. هناك شيء واحد مؤكد على أي حال: هو أن محمد أركون يخوض المعركة على جبهتين: جبهة الداخل، وجبهة الخارج، جبهة أصوليي المسلمين، وجبهة أصوليي المستشرقين:

وسوى الروم خلف ظهرك روم فعلى أي جانبيك تميل[1]؟

هذا مثل مما يفعل هذا المترجم، وقد يفاجئك مراراً بالمدح في وسط الكتاب أو في المقدمة أو في الهامش[2] أو في لقاءاته مع أركون التي تمثل جزءاً كبيراً من أعماله، فهذه طريقة في الكتابة جديدة إذ يجري المترجم حواراً حول أفكار أركون بعد كل فصل أو في آخر الكتاب كما في "الفكر الإسلامي قراءة علمية"، أو "الفكر الإسلامي نقد واجتهاد".

أثناء قراءة أعمال أركون قد تصادفه ينقد مدرسة عقائدية أو فقهية، ويحاول أن يقول إنها خرافة، وأسطورة دغمائية كما يحلو له أن يكرر، وتقول: لعله ينصر المدرسة الأخرى، فهو إما شيعي أو خارجي، ثم يخرج عليك في صفحة أخرى وهو يعرض بعدم معقولية فكرة الإمامة لدى الشيعة[3]، ثم في مكان آخر لايتفق مع الإسلام السني المتزمت في نظره[4] علماً أن السني عنده هم الأشاعرة، وأما أحمد وابن تيمية فيدعوهما حنابلة متزمتين. وتحاول جاهداً أن تقف تماماً على مايريد فإذا هو متناقض لا يؤمن بشيء ولا يرى أن لهذا العلم أو التراث الإسلامي أي مكانة إلا في عين

---

(1) الفكر الإسلامي فكر واجتهاد ص 335، "حقاً إن أركون أشد على الإسلام هجوماً من مفكري الروم وسيأتي بيان ذلك".

(2) انظر الكتاب السابق ص 245 ومواقع عديدة في "الفكر الإسلامي قراءة علمية".

(3) أركون، مقابلة مع أدونيس، مجلة "مواقف"، عدد رقم 54 –ربيع عام 1988، ص 10.

(4) أركون، الفكر العربي، ترجمة عادل العوا، ص 128 والفكر الإسلامي نقد واجتهاد ص9، ولعل كتاب "الفكر العربي" أول كتبه المترجمة إلى العربية وفيه تلخيص غامض لجل ما قال بعد في الكتب الأخرى وفيه إشارة بكثير من التحفظ إلى آرائه في القرآن والسنة والشيعة والحداثة والتجديد.

المدارس النقدية الغربية، فما أقرته فهو الحق والمحترم –كنص للدراسة ليس أكثر من نص بشري قابل للأخذ والعطاء –وما لا تقره المكتشفات الأسلوبية اللغوية الاجتماعية والنفسية المعاصرة فإنه لا يرى إقراره والاهتمام به لقدمه وتخلفه عن العصر.

ولعل كتاب "الفكر العربي" أول كتبه المترجمة إلى العربية وفيه تلخيص غامض لجل ما قال في الكتب الأخرى، وأشار فيه بكثير من التحفظ إلى آرائه في القرآن والسنة والشيعة والحداثة والتجديد.

عند أركون أهداف واضحة لمن يستقرئ أعماله ويصبر على التزوير والمراوغة واللعب بالكلمات في غير معانيها حتى يحصل على هدفه الكبير من كل مشروعه وسيأتي بيان الهدف بعد ذكر وسائله إليه.

الوسائل :

أول وسائله نقد الكتاب الإسلاميين الذين ليست لهم صلة بالمدارس الغربية في الفكر، والذين ليس لهم إلمام بعلوم اللسانيات والاجتماع والنفس والنظريات التي خرجت –فيما يرى –بعد الخمسينات من هذا القرن الميلادي، وبالتالي يطالبهم بالمشاركة والدراسة لمستجدات النظريات الإنسانية الغربية، ثم هو يستخدم نظريات ميشيل فوكوه في مسائل المعرفة والسلطة، ويرى تاريخية المعرفة وبكونها قابلة للتغيير والتطوير والشمول، وأهم جوانب المعرفة التي يتحدث عنها المعرفة الدينية بكل أبعادها، ويرى اعتبار المعرفة الإسلامية نموذجاً أسطورياً يزعج المسلمين ويهز إيمانهم، ولكن لابد –كما يرى –من بناء مفاهيم جديدة مستمدة من الاحتياجات الجديدة كما فعل السلف، ويرى أن هناك مناطق عديدة في الفكر الإسلامي لا تمس ولا يفكر فيها مثل مسألة عثمان –رضي الله عنه-وقضايا جمع القرآن، والتسليم بصحة أحاديث البخاري والموافقة على الأصول التي بناها الشافعي، ويرى أنه يضع أساساً

للاجتهاد وعقلانية جديدة[1]، وهو يرى أن الوعي الإسلامي قد انشق فيما بين السنة والشيعة، والوسيلة عنده ليست بالتوفيق بين الجانبين ولا الانتقاء منهما إنما الوسيلة نقد الطرفين وهو يعتنق "النقدية الجذرية" للطرفين وإسقاط كل الحجج التي بأيدي الجميع، وبالتالي فإن النص السني مغلوط ومزور والنص الشيعي نص العدالة والعصمة مغلوط ومزور وأسطوري، والمطلوب أن يتحرر كل من الفريقين من نصه فيتوحدان[2].

الأهداف :

من أهم ما يهدف له أركون في كتاباته المكررة والمملة نزع الثقة من القرآن الكريم وقداسته واعتباره نصاً اسطورياً[3] قابلاً للدراسة والأخذ والرد. وهو يغالط كثيراً في معنى كلمة "أسطورة" ويقول : إنه يعاني من صعوبة هذه الكلمة على أسماع العرب الذين يربطون بين هذه الكلمة وبين الأكذوبة أو الخرافة، لكن ما هي الكلمة التي يستخدمها أركون في تعبيره عن القرآن باللغة الفرنسية التي يكتب كل كتبه بها.

إنه استخدم كلمة MYTHE وبالإنجليزية MYTH وكلتا الكلمتين تعني الخرافة أو الحكاية والكلمتان جاءتا من الكلمة الإغريقية MUTHIOS وهي تعني في جميع اللغات الأوربية حكاية خرافية شعبية تتحدث عن كائنات تجسد –بصورة رمزية –قوى الطبيعة والوضع الإنساني[4].

ثم إذا سلم بهذه الأسطورة –بزعمه –فإنها أولاً لم تصلنا بسند مقطوع الصحة، لأن القرآن –كما يقول –لم يكتب كله في حياة

(1) عيسى بلاطة، توجهات وقضايا في الفكر العربي المعاصر، ص 89-90.
(2) رضوان السيد، الإسلام المعاصر، ص 190.
(3) محمد أركون، الفكر الإسلامي قراءة علمية، ص 202 وما بعدها.
(4) محمد العربي الخطابي، مقال بعنوان "الأسطورة الأصلية في رأي أستاذ جامعي"، جريدة الشرق الأوسط 1990/2/26.

الرسول –صلى الله عليه وسلم –بل كتب بعض الآيات ثم استكمل العمل في كتابة القرآن فيما بعد[1] وهذه من المغالطات التي يسوقها أركون بكل سهولة ويخلط فيها مابين قضية الجمع وقضية الكتابة، وبزعم أن الظروف السياسية هي التي جعلت المسلمين يحافظون فقط على قرآن واحد ويتركون ماعداه[2].

ومن أجل أن يمهد لما يريد من إنكار القرآن سنداً في أول الأمر يدخل بعد ذلك إلى نصوص القرآن فيشكك في القصص والأخبار ويرى أن التاريخ الواقعي المحسوس هو الذي يحاكم إليه القرآن، فالأخبار والآثار التاريخية هي الموثوقة! ولنقرأ له هذا النص الذي يجد القارئ في كتبه كثيراً مثله يقول:

"ينبغي القيام بنقد تاريخي لتحديد أنواع الخلط والحذف والإضافة والمغالطات التاريخية التي أحدثتها الروايات القرآنية بالقياس إلى معطيات التاريخ الواقعي المحسوس"[3]

ويرى أن القرآن عمل أدبي لم يدرس كما يجب إلا من قبل ندرة أهمهم عنده "محمد أحمد خلف الله" عندما كتب عن القصص الفني في القرآن وقال إن القصة القرآنية مفتعلة، ويتحسر على عدم استمرار "خلف الله" ويذكر أن الأسباب التي لم تمكن "خلف الله" في عمله أنه راعى الموقف الإسلامي الإيماني أولاً، وثانياً لنقص المعلومات. إذن فقد آل الأمر إلى أركون الذي سيهاجم القرآن، لأنه لا يراعي الموقف الإسلامي الإيماني لأنه مطلع على الأبحاث الجارية. ومع زعمه أنه يعرف الأبحاث الجارية التي كتبها فوكوه والحاخام دريدا، فإنه يظهر للقارئ بشكل يجعله لا يثق في قدرة أركون ولا أنه فهم ما زعم فهمه من قضايا المعرفة ونقد اللاهوت ونظريات البنيوية وما بعدها[4]، ويعاني في عرضه للأقوال من عدم التوثيق أو القول الصحيح لما ينقل، إذ يقلب كل قضية قرآنية أو تفسيرية أو سياق لعلم حتى يفسد المعنى ويلويه إلى ما يريد كما مر

(1) محمد أركون الفكر، الإسلامي نقد واجتهاد، ص 85-86.
(2) المصدر السابق، ص 86.
(3) أركون، الفكر الإسلامي قراءة علمية، ص 203.
(4) انظر مجلة الحوار، عدد 9، ص 117-118.

معنا في مسألة كتابة القرآن، ومثال آخر يعرف الوحي بقوله: إنه يدعي بالتنزيل أي الهبوط من فوق إلى تحت"[1].

معاني القرآن:

لو تجاوزنا قضية شكه في القرآن ورده للسنة من باب فماذا يفسر به القرآن وكيف يفهمه؟ إنه يقول: "إن القرآن –كما الأناجيل –ليس إلا مجازات عالية تتكلم عن الوضع البشري، إن هذه المجازات لا يمكن أن تكون قانوناً واضحاً، أما الوهم الكبير فهو اعتقاد الناس –اعتقاد الملايين –بإمكانية تحويل هذه التعابير المجازية إلى قانون شغال وفعال ومبادئ محدودة تطبق على كل الحالات وفي كل الظروف"[2].

ويقول في موضع آخر:

"إن المعطيات الخارقة للطبيعة والحكايات الأسطورية القرآنية سوف تتلقى بصفتها تعابير أدبية، أي تعابير محورة عن مطامح ورؤى وعواطف حقيقية يمكن فقط للتحليل التاريخي السيولوجي والبسيكولوجي اللغوي –أن يعيها ويكشفهما"[3]

ويفصل أركون بين القرآن والشريعة، فالقرآن عنده خطاب مجازي يغذي التأمل والخيال والفكر والعمل ويغذي الرغبة في التصعيد والتجاوز، والمجتمعات البشرية لا تستطيع العيش طيلة حياتها على لغة المجاز"[4] ولكن هناك البشر المحسوسون العائشون –كما يقول –في مجتمع وهناك أمورهم الحياتية المختلفة التي تتطلب نوعاً من التنظيم والضبط وهكذا تم إنجاز الشريعة[5] ثم يعقب بأن هناك مجالاً أسطورياً مجازياً وهو مجال القرآن، ومجال

(1) الفكر الإسلامي نقد واجتهاد، ص 79.
(2) تاريخية الفكر الإسلامي، ص 299.
(3) الفكر الإسلامي قراءة علمية، ص 191.
(4) تاريخية الفكر الإسلامي، ص299.
(5) المصدر السابق، ص 299.

آخر واقعي للناس هو مجال الشريعة ويقول: "إنه وهم كبير أن يتوقع الناس علاقة ما بين القرآن والشريعة التي هي القوانين الشرعية وأن المناخ الميثي (الأسطوري) الذي سيطر على الأجيال السابقة هو الذي أتاح تشييد ذلك الوهم الكبير، أي إمكانية المرور من إرادة الله المعبر عنها في الكتابات المقدسة إلى القوانين الفقهية (الشريعة) وحجته في ذلك ما يلي : في الواقع أن هناك أنواعاً مختلفة من الكلام (من الخطاب) وهناك فرق بين خطاب شعري أو ديني، وخطاب قانوني فقهي أو فلسفي، ولا يمكن لنا أن نمر من الخطابين الأولين إلى الخطابات الأخرى إلا بتعسف واعتباط"[1] ألا ترى أنك يا أركون قد استطعت أن تمرق من الخطابين ؟!

مكانة السنة عنده:

ليس هذا مجالاً لمتابعة هذه الأقوال والرد عليها، فيكفي هنا التعريف بمعالم فكره بما فيها جرأته على الشك في ثبوت وصول القرآن إلينا، وجرأته على نفي الحديث والزعم بأن الظروف السياسية وأوضاع المجتمعات التي انتشر فيها الإسلام احتاجت إلى أحاديث وقال: "إن السنة كتبت متأخرة بعد موت الرسول- صلى الله عليه وسلم –بزمن طويل وهذا ولد خلافات لم يتجاوزها المسلمون حتى اليوم بين الطوائف الثلاث السنية والشيعية والخارجية، وصراع هذه الفرق الثلاث جعلهم يحتكرون الحديث ويسيطرون عليه لما للحديث من علاقة بالسلطة القائمة"[2]. وهو يرى أن الحديث هو جزء من التراث جعلهم يحتكرون الحديث ويسيطرون عليه لما للحديث من علاقة بالسلطة القائمة". وهو يرى أن الحديث هو جزء من التراث الذي يجب أن يخضع للدراسة النقدية الصارمة لكل الوثائق والمواد الموروثة كما يسميها[3]، ثم يقول:"وبالطبع فإن مسيرة التاريخ الأرضي وتنوع الشعوب التي اعتنقت الإسلام –قد خلقت حالات وأوضاعاً جديدة ومستحدثة لم تكن متوقعة أو منصوصاً عليها في القرآن ولا في الحديث، ولكي يتم دمجها وتمثلها

(1) المصدر السابق، ص 299.
(2) أركون، الفكر الإسلامي نقد واجتهاد، ص 103.
(3) أركون، الفكر الإسلامي نقد واجتهاد ، ص 108.

في التراث فإنه لزم على المعنيين بالأمر أن يصدقوا عليها ويقدسوها إما بواسطة حديث للنبي، وإما بواسطة تقنيات المحاجة والقياس"[1].

تلك هي مكانة الشريعة عنده وهذه مكانة أحاديث الرسول – صلى الله عليه وسلم –إذ لا يرى أي تشريع جاء به القرآن، وأن القرآن خطاب أدبي عاطفي لا علاقة له بالحياة، والشريعة ضرورة اجتماعية أملتها ظروف المجتمع وحاجة الناس، وهي في مجموعها تراث إذا قابلت في الطريق ثقافة مجتمع آخر أو استجد شيء فإن هذا الجديد يدمج في هذا التراث بواسطة حديث أو قياس، وهو يناقض نفسه تماماً، إذ لو لم تكن الشريعة من غير هذين المصدرين كأساس لما سعى المعنيون بالأمر –كما يسميهم –لفعل ما كذبه عليهم. وهذا مثال واحد كبير من الغث والانحراف والكفر الذي يملأ به كتبه، كله يناقض بعضه بعضاً، وكفاه زوراً أو جرأة على كتاب الله قوله: "وليس في وسع الباحثين أن يكتفوا اليوم في الواقع بالتكرار الورع للحقائق الموحى بها في الجزيرة العربية في القرن السادس والتي طرحت منذئذ على أنها بآن واحد مما يمكن تعريفه واستخدامه وأنها متعالية[2]" وهو يرى أن الباحثين –يعني نفسه ومن تابعه –(إذ حتى كبار الكفار من المستشرقين لم يحملوا على القرآن والسنة والأمة كالحملة التي يقودها أركون ولم يستطيعوا القول بكل هذه الافتراءات في آن واحد)- لا يسعهم تطبيق القرآن لأنه نزل في الجزيرة في ذلك الزمن القديم، وهو لا يرى نفسه وهو يقدس ويستسلم لبقايا قوانين الرومان، بل ويحاسب الإسلام على أفكار فوكوه هل تتطابق معها أم لا، ويقول في نفس الوقت بأن القرآن حقائق، وقد سبق أن قال إنه مجازات عالية وقد أجمع القائلون بالمجاز على أن كل مجاز يجوز نفيه ويكون نافيه صادقاً في نفس الأمر[3]، علماً بأن المجاز بالأسلوب الذي يريده أركون أبعد بكثير من المجاز الذي حدث فيه الخلاف بين المسلمين والذي

(1) أركون، الفكر العربي، ص 174 ترجمة عادل العوا.
(2) الشنقيطي، منع جواز المجاز، ص 8.
(3) الشنقيطي، منع جواز المجاز ، ص 51.

قال فيه الشنقيطي إن وروده في القرآن غير صحيح ولا دليل يوجب الرجوع إليه من نقل ولا عقل، ونحن ننزه القرآن على أن نقول فيه مجاز بل نقول كله حقائق[1].

ونقل الشنقيطي عن عدد من العلماء عدم جواز المجاز في اللغة أصلاً فضلاً عن القرآن، وهو –أي الشنقيطي –ممن يرى هذا، وأركون لا يرى أن آيات الأحكام هي المجاز، ولا آيات الصفات كما قال بعض السابقين المخالفين لأهل السنة، لكنه يرى كل القرآن مجازات عالية، ومرة يقول متعالية أي تكون بعيدة عن المجتمع سياسة واقتصاداً واجتماعاً، إنما تهذيب روحي لا علاقة له بالدنيا.

وليس هذا مكان الحديث عن المجاز ولا الخلاف فيه. لكن جاء بمناسبة خلط أركون وتناقضه، إذ يقول: القرآن حقائق نزلت قديماً ثم يرجع ويقول مجازات عالية. إن أركون يهدم كل شيء ولا يقيمك على سنن ولا يثق بأحد ولا بعلم أحد، فهو يسخر من كل من سبقه حتى يسخر من الطبري ومن طريقته في التفسير. ومادام قد اجترأ على كتاب الله وسنة رسوله كل هذه الجرأة فماذا يتوقع القارئ عن غيرها. وهناك جوانب عديدة يستنكرها كقضايا الثواب والعقاب والبعث بعد الموت[2]. ويرى في آيات القرآن التي تحدثت عن الجنة وثوابها سياقات شعرية، وأيضاً يرى رمزية العذاب.

خلاصة :

يرى أركون أن القرآن والكتب السابقة تعاني من سياق واحد، ويضع القرآن مع الأناجيل في مستوى من الثبوت والدراسة واحد، ويرى أهمية النقد والتجديد. وعمله هذا النقدي السلبي النافي –الذي يمسخ كل الحقائق وكل المعاني –لا يمكن بحال أن يكون مذهباً فكرياً بديلاً، بحيث يحل محل شيء من الفرق أو الجماعات التي وجدت على الساحة الإسلامية وليس بأسلوب يمكن قبوله من قبل

(1) للتوسع يراجع الفصل الأخير من كتابه "الإسلام أصالة وممارسة" ترجمة د.خليل أحمد، وأيضاً مواضع متعددة من "الفكر الإسلامي قراءة علمية".

(2) رضوان السيد، الإسلام المعاصر، ص 190.

السنة أو الشيعة، ذلك أنه يلغي الجميع ويرى العدمية[1] التي يقدمها هي البديل أو التجديد، فالشك والجحود بكل شيء لن يكون أبداً بديلاً للإيمان، إذ هذا العدم لا يكون ديناً ولا يبني خلقاً، وهو يرى –مع هذا –ضرورة النظام في حياة الناس ويرى أهمية القوانين وهذه القوانين عنده تنشئها الضرورة الاجتماعية، لكن أي مجتمع وأية قوانين؟ أما المجتمع فلا يرى أركون أن يكون للإسلام سلطة عليه؛ لذا فليس للإسلام أن يسن أي قانون في ذلك المجتمع إذ ليس للإسلام في نظره أي قانون ولا علاقة بالوجود، وهو قد بذل وعصر كل سمومه وآفات الملحدين في الغرب لينكر المصادر أولاً ثم لو افترض إثباتها فليس لها حقائق ولا معاني تمس الناس، ثم إذا فهم منها معاني فتلك المعاني جاءت للحاجة والضرورة؛ لأنه لم يكن هناك قوانين في المجتمع. وقد علق أحدهم على نمط تفكير أركون وأسلوب تعامله مع النصوص فقال: إن تجديدية أركون هي تجديدية عدمية ولا نحسب أن مسلماً عاقلاً يهتم لقراءة أركون النافية وهذا ملخص لبحث مطول يتناول كتب ومقالات أركون، ومع أن أعماله غير معقولة لكن –ويا للأسف!- إن الذي يتحكم في سلوك وأفكار العالم الإسلام اليوم هو (اللامعقول) لهذا يحتاج إلى بيان)) انتهى كلام الأستاذ الأحمري –وفقه الله-.

وقال الدكتور أحمد إبراهيم خضر في مقال له بعنوان: (أبعاد التخريب العلماني: محمد أركون أنموذجاً) نشره في مجلة البيان (عدد123):

"بالأمس طلب خالد بن عبد الله القسري، أمير العراق الجعد بن درهم حتى ظفر به، فخطب بالناس في يوم الأضحى، وكان آخر ما قاله في خطبته: أيها الناس ضحوا، تقبّل الله ضحاياكم، فإني مضح بالجعد بن درهم، فإنه زعم أن الله لم يكلم موسى تكليماً، ولم يتخذ إبراهيم خليلاً، تعالى الله عما يقول الجعد علواً كبيراً ثم نزل

(1) رضوان السيد ، الإسلام المعاصر، ص 190.

فذبحه في أصل المنبر، فكان ضحية، ثم طفئت تلك البدعة فكانت كأنها حصاة رُمي بها[1]

واليوم.. المرعى الإسلامي غداً بابه مفتوحاً لكل (عرجاء) و(عوراء) لا يجزئ لحمها في الأضحية[2]

إنهم أهل التخريب العقدي، يحاربون الإسلام من داخله بإثارة شكوك المسلمين بما يؤمنون به، يهدفون عبر زعزعة الترابط العقدي تفكيك المجتمع الإسلامي برمته[3] يصفون أنفسهم بأنهم علماء مجتهدون متفرغون لتطوير المعرفة[4] ولا تخرج مقولاتهم عند كونها لوناً من ألوان (الرقاعة الثقافية) [5] يميزون أنفسهم عن المسلمين الآخرين (المقلدين)، أما هم فإنهم باحثون تحرروا مما أطلقوا عليه (المعارف الخاطئة) التي تعارف عليها كل المسلمين عن الإسلام، يدعون إلى العقلانية ويطالبون باتساع العقل وحرية البحث حتى في القضايا الدينية الحساسة التي ترتبط بما هو مقدس ولا يمس (كالوحي والقرآن والسنة)، يشجعون الإبداع الفكري الذي يصل عندهم إلى حد القول بأن الاعتقاد بأن الشريعة ذات أصل إلهي (وهم كبير) [6] ومع كل هذا الانحراف والضلال يطالبون الآخرين بالتسامح معهم والإقبال على مناظرتهم، وعدم الخلط بين العرض العلمي للقضايا ومواقف العوام، والتقيد بما يفرضه البرهان العقلي، يتهمون ما يسمى (بالخطاب الإسلامي) بأن خطاب ملئ بالنقائض

---

(1) الجعد بن درهم مبتدع ضال قال بخلق القرآن وكان مؤدب مراون بن محمد قتله خالد بن عبد الله القسري سنة 118هـ يوم النحر، انظر ابن قيم الجوزية الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة تحقيق د.علي بن محمد الدخيل الله ج3 دار العاصمة الرياض 1412هـ حتى 1071.

(2) سليمان بن صالح الخراشي، محمد عمارة في ميزان أهل السنة والجماعة دار الجواب الرياض 1413هـ-1993م ص 9.

(3) أمين أبو عز الدين (نقلاً عن محمد وقيع الله أحمد) الدين والعلمنة في طروحات محمد أركون، الآداب عدد 5، مايو 1993م ص 29.

(4) محمد أركون، أين هو الفكر الإسلامي المعاصر، ترجمه هاشم صالح، دار الساقي ص 7.

(5) (الرقاعة الثقافية) تعبير استخدمه الدكتور عبد الصبور شاهين في كتابه قصة أبو زيد وانحسار العلمانية في جامعة القاهرة، الدار الذهبية، القاهرة ص 13.

(6) أمين أبو عز الدين مرجع سابق ص 24.

والرذائل والثالب، يحمّل المفكرين (أمثالهم) ما لم يفكروا فيه،وما لم يدّعوه، وما لم ينطقوا به[1]

ماذا يريدون بالضبط؟

همهم الأول القضاء على الإيمان العقدي ومحوه من الأفق البشري: حتى لا يبقى هناك إلا الأفق الاجتماعي، يريدون منا أن ندخل تجربة الغرب التاريخية التي خاضها منذ أكثر من قرنين فتخلص من الأفق الديني القروسطي (نسبة إلى القرون الوسطى) .

لا يجهلون الإسلام وإنما يصرون على تحليله في ضوء النصرانية الكنسية والقرون الوسطى التي ارتبطت في أذهان الغرب بالتصور المظلم والمرعب عن الدين، أفقهم المعرفي لا يخرج عن حدود الفكر الغربي والثقافة الأوروبية، يتزلفون للغربيين حتى القسس منهم على حساب دينهم، ولهذا يضيقون ذرعاً بمطالبة الإسلاميين بخصوصية إسلامية وأصالة عقلية وعلمية مطلقة جعلتهم في غنى عما أبدعته انحرافات الفكر الغربي والبحث العلمي خارج دائرة المعارف الإسلامية المتأصلة في القرآن والمنطلقة منه، فراحوا يتصورون أن الإسلاميين كآباء الكنيسة يقتلون في الإنسان حس المبادرة والحركة ويدعون إلى الاستكانة والاستسلام ورفض الانخراط في العالم[2] .

أهل السنة والجماعة في نظر أهل التخريب العقدي (أورثوذكسيون)

لأنهم يجمعون على عقيدة إسلامية صحيحة ومستقيمة، ويبرزون معايير التفرقة بينها وبين البدع والاعتقادات الطارئة المنحرفة عن الإسلام (والأورثوذكسية) أصلاً مصطلح غربي نقله أهل التخريب إلى العربية ولا يربطونه بالمذهب الأورثوذكسي في النصرانية، لأنه مصطلح سابق على ظهور هذا المذهب، لا يروق لهم المعنى الحرفي للكلمة (وهو الطريق المستقيم أو الطريق الصحيح) إنما يأخذون معناها الاصطلاحي وهو (النواة العقائدية

(1) محمد أركون مرجع سابق ص 3

(2) المرجع السابق ص 30، 66، ص 8.

الصلبة والمغلقة على ذاتها لدين ما، أو لإيديولوجية ما ، أو اتجاه سياسي ما، والتي ترفض كل ما يقع خارجها باعتبار أنه ضلال وهرطقة) .

يقول أهل التخريب إنهم لم يستطيعوا ترجمة مفهوم (الأورثوذكسية) بكل أبعاده الأيديولوجية بالسنة؛ لأن أهل السنة والجماعة قد احتكروا المفهوم لصالحهم وعدلوا به عن معناه في القرآن[1] ، ولم يعط أهل التخريب العقدي دليلاً واحداً مقنعاً يبين صحة تأويلاتهم الفاسدة الخارجة أصلاً عن حدود القرآن والسنة.

وحتى لا يتهم أهل التخريب العقدي بالكفر، سارعوا إلى وضع مفهوم جديد للإيمان والكفر فهموا من الإمام الغزالي أن الكفر هو تكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم في شيء مما جاء به، والإيمان هو تصديقه في جميع ما جاء به، فاليهودي والنصراني كافران لتكذيبهما الرسول صلى الله عليه وسلم والبراهمي كافر بالطريقة الأولى لأنه أنكر مع رسولنا سائر المرسلين.

هذا الذي يتبنى مفهوم الغزالي عن الكفر ويطبقه على (العلماء المجتهدين) أمثالهم رجل مقلد بلغ درجة من العمي والتعصب في أحكامه؛ لأن الإيمان والكفر في فلسفة أهل التخريب العقدي مرتبطان بالبحوث النفسانية واللغوية عن تكوين البنية الشخصية والجماعية التي ينشأ فيها كل فرد. ولم يكتف أهل التخريب العقدي بذلك بل ألقوا مسائل الحلال والحرام والمقدس والقصص الديني في أحضان العلوم الحديثة (علوم الإنسان والمجتمع) [2] التي تعطي لها تفسيراً خاصاً يخرج بها كلية عن ارتباطاتها العقدية. ومن المسلّم به في العلوم الاجتماعية أن نظرياتها التقليدية ترى أن الأفكار الدينية زيف ووهم، أما نظرياتها الحديثة فتتجنب مسألة حقيقة الدين، لكنها تغذي هذه التحليلات التي تحقر من أي رؤية جدية للأفكار الدينية وتنظر إليها على أنها غير حقيقية[3]

---

(1) المرجع السابق ص 16، 19.

(2) المرجع السابق ص 5،7،6.

(3) انظر: الأساس الإلحادي للنظريات المعاصرة في علم الاجتماع في كتابنا: علماء الاجتماع وموقفهم من الإسلام، المنتدى الإسلامي، لندن، 1413هـ –1993، ص 177-193

موقفهم من خاصية ثبات الأصول:

واجهت أهل التخريب العقدي مشكلة النظرة العقلية المستمرة والمتكررة التي ترى وجود إسلام صحيح يتطابق مع مفهوم الدين الحق لمكافحة البدع والرد على أهل الأهواء والنحل، وإبطال الملل الضالة المضلة، وإبعاد أو إخضاع جميع المنحرفين عن الصراط المستقيم والحق المبين فقالوا إن الإجماع بأن هناك إسلاماً جوهرياً لا يقبل التغير ولا يخضع (للتاريخانية) [1] هو كالأقنوم الإلهي يؤثر في الأذهان والمجتمعات ولا يتأثر بها ليس إلا تحجراً عقلياً وتطرفاً وتعصباً وإرهاباً، ودعوا إلى العدول عن هذه النظرة التقليدية والإقرار بضرورة التعددية العقائدية، ويسوّغون دعواهم الضالة والمضلة بأن النصوص القرآنية قد ألهمت ولا تزال تلهم (تأويلات) بتغير الزمان والمكان[2] .

يؤمن أهل السنة والجماعة بأن التأويل الذي دلت عليه النصوص وجاءت به السنة ويطابقها هو التأويل الصحيح، والتأويل الذي يخالف ما دلت عليه النصوص وما جاءت به هو التأويل الفاسد، وكل تأويل وافق ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم فهو المقبول وما خالفه فهو المردود، لكن أهل التخريب العقدي بعد أن طرحوا بعيداً ربط الكفر بتكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم ردوا السنة برمتها إلى دائرة (البحث التاريخي) [3] وسعوا إلى إعادة قراءة النصوص الدينية تلك التي أسموها بالنصوص التأسيسية أو النص الأول (القرآن) والنصوص الثانية (السنة وغيرها) في ضوء العلوم الحديثة.

والتأويل عند أهل التخريب العقدي لا يخرج عما يقوله عنهم (ابن القيم) من أنه (استخراج معاني النصوص وصرفها عن حقائقها

---

(1) التاريخانية مصطلح طبقة أهل التخريب العقدي على الإسلام ويعنون به فهم الإسلام في حدود الحقبة الزمنية التي ظهر فيها وفي ضوء البيئة الاجتماعية والثقافية التي عمل عبرها مع التأكيد على نسبية وعدم اتساع قواعده ومفاهيمه لتطبق على حقب زمنية لاحقة.

(2) محمد أركون مرجع سابق ص 4-17.

(3) انظر التاريخانية .

بأنواع المجازات وغرائب اللغات ومستنكر التأويلات، فأدى بهم هذا الظن الفاسد إلى نبذ الكتاب والسنة وأقوال الصحابة والتابعين وراء ظهورهم، فجمعوا بين الجهل بطريقة السلف والكذب عليهم وبين الجهل والضلال بتصويب طريقة الخلف. (والتأويل) إذا تضمن تكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم فحسبه ذلك بطلاناً) وتأويلات أهل التخريب العقدي من هذا الطراز[1] .

القطعية المعرفية ماذا تعني؟

خرج علينا أهل التخريب العقدي بمصطلح جديد أسموه (القطعية المعرفية) ومن المعروف عنهم أنهم لا يأتون بجديد، وإنما يستخرجون أفكارهم بعد أن يدخلوا جحر كل ضب دخله قبلهم المفكرون الغربيون ثم يلوكون هذه الأفكار ويطبقونها على الإسلام.

ومصطلح (القطعية المعرفية) طرحه أصلاً المفكر الإيطالي (فيكو) وكتب فيه الأمريكي (توماس كون) وعالم الرضيات الفرنسي (رينيه توم) تناول كل هؤلاء مسألة القطعية في تاريخ العلوم وكيفية تفسيرها متى تحدث القطعية في فكر ما؟ ما هي الشروط الموضوعية التي ينبغي توافرها لكي تحصل القطعية؟ أي : لكي يتوقف الناس فجأة عن التفكير بالطريقة التي كانوا يفكرون بها سابقاً منذ مئات السنين ولأن الحقد والغل يملأ قلوب أهل التخريب العقدي على الإسلام طبقوا هذا المفهوم على الإسلام، فدعوا إلى التوقف عن التفكير في الإسلام بالطريقة التي يؤمن بها الناس حالياً والتفكير فيه بطريقتهم التدميرية.

ويدعونا أهل التخريب العقدي إلى أن ندرك معنى القطعية المعرفية، أي أن نتخلى عن معارفنا التقليدية عن الإسلام التي يصفونها بأنها معارف (خاطئة أسطورية ذات معاني خيالية) وأن نفكر بالطريقة التي فكر بها الأوروبيون منذ القرن السادس عشر فنغير مثلهم نظرة العقل إلى المعرفة وطرق إدراكه للواقع وتعبيره عن تأويلاته لهذا الواقع.

---

(1) ابن القيم (بتصرف) مرجع سابق ج1، ص 163، 187، 192.

هل نحن بحاجة إلى الفلسفة؟

وعبر إصرارهم المستميت على تخريب عقيدة الإسلام يزرعون الألغام الواحد تلو الآخر فتجدهم يدعون إلى الانفصال بين الحكمة والشريعة ويفسرون الحكمة بأنها (الفكر العلمي) ويسمون الشريعة (بالظاهرة الدينية) [1] مع أن الحكمة تعني العلم والفقه والمعرفة بالقرآن وخشية الله والفهم والبصر والعقل، كما جاء ذلك عن ابن عباس ومجاهد وابن مسعود وزيد بن أسلم وذلك في تفسير قوله تعالى **(يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الألباب)** [البقرة: 269] وقوله تعالى **(ولقد آتينا لقمان الحكمة)** [لقمان: 12] [2] وتارة أخرى ينظرون إلى الحق على أنه خاضع (للتاريخانية) بمعنى أن وجوده ومظاهره تتغير بتغير نظرة العقل إليه كما يتغير العقل بدوره بتغير النتائج ووجوه الحق التي يستبينها ويتعقلها، كما يتبنون وظيفة الفلسفة لتسويغ الموجودات والأحكام إلى العقل في كل الممارسات والمعالجات بما في ذلك إثارة مسائل وقضايا ومواقف معرفية ما كان التفكير فيها ممكناً بل كان مستحيلاً، ولذلك تجدهم يرجعون انتشار المدّ الإسلامي إلى غياب الفلسفة إلا في غيبة نور الوحي الإلهي، أو في حالة خفوته أو في حالة جهل الناس بحقيقتها وجهلهم بالمنهج النبوي على وجهه الصحيح، وتملك الفلسفة القدرة على التلبيس بما تملكه من أدوات فهي تتزين بزي العقل حيناً وبزي العلم حيناً آخر، وتملأ الفراغ المخيف الذي تتركه غيبة الهداية الإلهية عن العقول[3].

وبينما اشتهر أهل التخريب العقدي في مصر وسوريا باستخدام مصطلحات (نقد الخطاب الديني) و(نقد الفكر الديني)،

---

(1) محمد أركون مرجع سابق ص 4،7،11.

(2) محمد رشاد خليل، الفلسفة وأثرها في أصول الدين، مجلة كلية أصول الدين جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عدد 5، 1403-1404هـ ص 259.

(3) المرجع السابق ص 260

استخدم نظراؤهم المستوطنون في دول الغرب مصطلح: (نقد العقل الإسلامي).

يُعَرّف أهل التخريب العقدي (العقل الإسلامي) بأنه هذا العقل المتقيد بالوحي أو المعطى المنزل ويقر بأولوية المعطى لأنه إلهي وأن دور العقل ينحصر في خدمة الوحي أي فهم وتفهيم ما ورد فيه من أحكام وتعاليم وإرشاد، ثم الاستنتاج والاستنباط منه، فالعقل تابع وليس بمتبوع اللهم إلا بالقدر الذي يسمح به اجتهاده المصيب بفهم وتفهيم الوحي.

لا يقر أهل التخريب العقدي بذلك ويصبون كل انتقاداتهم على علاقة العقل بالمعطى المنزل وعلى رضاه بأن يبقى دائماً في الدرجة الثانية أي في حدود الخادم دون أن يجرؤ أبداً على مبادرة أو سؤال أو تأويل لا يسمح به الوحي المحيط بكل شيء، بينما العقل لا يدرك شيئاً إدراكاً صحيحاً إلا إذا اعتمد على الوحي المبين[1] .

إنه ما عصي الله بشيء إلا أفسده على صاحبه ومن أعظم معصية العقل إعراضه كتاب الله وروحيه فأي فساد أعظم من فساد هذا العقل؟ إن علم الأنبياء وما جاؤوا به عن الله لا يمكن أن يدرك بالعقل ولا يكتسب وإنما هو وحي أوحاه الله إليهم بواسطة الملك أو كلام يكلم به رسوله منه إليه بغير واسطة كما كلم موسى وهذا متفق عليه بين جميع أهل الملل المقرين بالنبوة المصدقين الرسل ولا يخالفهم في ذلك إلا جهلة الفلاسفة وسفلتهم، ولكن أهل التخريب العقدي يريدون أن يعكسوا شرعة الله وحكمته فإن الله سبحانه جعل الوحي إماماً والعقل مؤتماً به وجعله حاكماً والعقل محكوماً عليه ورسولاً والعقل مرسلاً إليه وميزاناً والعقل موزوناً به وقائداً والعقل منقاداً له، فصاحب الوحي مبعوث وصاحب العقل مبعوث إليه والآتي بالشرع مخصوص بوحي من الله وصاحب العقل مخصوص ببحث عن رأي أو فكرة. الرسول يقول : معي كتاب الله وهم يقولون

(1) محمد أركون مرجع سابق ص 15.

: معنا العقل. الرسول يقول: معي نور خالق العقل به أهدي وأهتدي ويقول قال الله كذا قال جبريل عن الله كذا وهم يقولون قال فيكو.. قال بيبر بورديو.. قال جاك دريدا.. قال فرانسوا إيوالد.. الخ .

بين العقل والوحي:

إن قضايا العقل تشتمل على العلم والظن والوهم، وقضايا الوحي كلها حق، فأي قضايا مأخوذة عن عقل قاصر عاجز عرضة للخطأ من قضايا مأخوذة عن خالق العقول وواهبها هي كلامه وصفاته[1] (العقل هو المصدر والعامل في كل ما يعبر عن الإنسان ويبلغه بلغة من اللغات وهو المسئول عن عملية تركيب المعاني في إنتاج جميع المنظومات) هكذا يقول أهل التخريب العقدي في دفاعهم عن (فتنة خلق القرآن) وقد وصل بهم التبجح إلى القول بأنه (لو استمرت المناظرات بين العقل القائل بخلق القرآن والعقل الخادم الخاضع للقرآن غير المخلوق لكان الوضع المعرفي للعقل الإسلامي اليوم على غير ما هو عليه بمعنى أن الفسحة العقلية ما كانت لتصبح ضيقة محدودة تسودها الأرثوذكسية العقائدية المعروفة اليوم) [2] أي انتصار أهل السنة والجماعة الذين يقولون أن القرآن كلام الله تعالى منه بدأ فنزل غير مخلوق ألفاظه ومعانيه عن كلام الله سمعه جبريل من الله والنبي سمعه من جبريل والصحابة سمعوه من النبي وهو القرآن المكتوب بالمصاحف المحفوظ بالصدور المتلو بالألسنة القرآن عند أهل السنة والجماعة كلام الله تعالى بالحقيقة وليس بمخلوق ككلام البرية ومن سمعه وزعم أنه ككلام البشر فقد كفر وقد ذمه الله تعالى وعابه أو أوعده عذابه حيث قال **(سأصليه سقر)** [المدثر 26] التي أوعدها الله من قال **(إن هذا إلا قول البشر)** [المدثر: 25] [3].

---

(1) ابن القيم (بتصرف) مرجع سابق ص 880، 891.

(2) محمد أركون مرجع سابق ص 15.

(3) أبوجعفر الأزدي الطحاوي عقيدة أهل السنة والجماعة، تعليق محمد بن مانع، مكتبة المعارف الطائف ص8.

البؤس الفكري لدى بعض المفكرين العرب:

وقد اعترف أهل التخريب العقدي بأن التوجه الإسلامي الصحيح قد كشف أزمة المجتمع في العمق وكشف في الوقت نفسه عن البؤس الفكري لمعظم المثقفين العرب ومراهقتهم الفكرية، كما أنه كشف كذلك عن التخلف المنهجي والمعرفي للفكر العربي المعاصر فالواقع في واد وهم في وادٍ آخر، فبؤسهم الفكري عاجز عن طرح أي مشكلة بشكل صحيح بل عاجز حتى عن رؤية المشكلة ذاتها.

أقر أهل التخريب العقدي بأن زميلهم (المثقف العربي) يقف أمام نظيره الغربي (كالفلاح الفقير الذي يقف خجلاً بنفسه أمام الغني الموسر) ويقولون في ذلك (يقف مثقفنا العربي أمام نظيره الغربي وهو يكاد يتهم نفسه ويعتذر عن شكله غير اللائق ولغته غير الحضارية ودينه المتخلف ويستحسن المثقف الغربي منه هذا الموقف ويساعده على الغوص فيه أكثر فأكثر حتى يكاد يلعن نفسه أو يخرج من جلده لكي يصبح حضارياً أو حداثياً مقبولاً) [1]

لقد أحسن أهل التخريب العقدي وأجادوا في وصف حال المثقفين العرب الذين هم أيضاً من دعاة هذا التخريب، لكن حال أهل التخريب العقدي أمام المثقفين ليس بأفضل من حال المثقفين العرب الذين يهاجمونهم، هاهم يقفون خجلين أمامهم من الخطاب الإسلامي الذي يتحدث عن التوحيد والصلاة والصيام والزكاة والحج والحجاب والجهاد، إنهم يقدسون لغة الغرب ويكتبون بها ويرونها مؤيدة للنقد الفلسفي والتاريخي والعلمي وأن لها أرضية خصبة من الجهاز المفهومي الداعي إلى المزيد من الدقة والتعمق في النقد، أما لغتهم (اللغة العربية) فلا تتحمل اقتران النقد بالعقل الإسلامي، هاهم يعتذرون عن شكلهم غير اللائق ولغتهم غير الحضارية ودينهم المتخلف فيحذرون الإسلاميين من أن خطابهم المتردد على ألسنة الخواص والعوام يمجه جميع الناس في الغرب وأنه لا يتيح إلا المزيد من الرفض والاستبعاد وسوء التفاهم، ويحذرون أيضاً بأن

(1) محمد أركون مرجع سابق ص 23-25.

على الخطاب الإسلامي أن يغير من طريقته التي تثير ردود فعل وتحريض للغرب على الإصرار في الهيمنة واستراتيجية الإخضاع والتسيير التحكمي للعالم (الإسلامي) المتخلف ثم يدافعون عن الغرب ويقولون "بأن للغرب حق الحماية لقيم مدنيته والدفاع عن أمانته أمام قوى العنف والتجاهل وعدم التسامح"[1] .

يريد أهل التخريب العقدي خطاباً إسلامياً يتحدث للغرب بلغة ما وراء الحداثة[2] والديمقراطية ومفهومي الفرد والمواطن والتعاقد والتفاعل بين دولة القانون والمجتمع وأن يراعي الجانب الحقوقي والفلسفي للتجربة الديموقراطية وإلا فهو خطاب متخلف يستحق أن يمجه الغربيون ويرفضوه" انتهى كلام الدكتور أحمد خضر –وفقه الله-.

وقال الأستاذ نعمان السامرائي تحت عنوان (محمد أركون ينكر الصحوة الإسلامية):

"محمد أركون ينكر الصحوة ويراها شعاراً سياسياً يتخفى الإسلام والدين خلفه، ويرسم للصحوة صورة، فإذا لم تتحقق فليس هناك صحوة، وباعتباره "علماني" حتى العظم أو مخ العظم، لذا فالإسلام عنده شيء، والسياسة والحكم شيء آخر. بل هو يدعي أن القرآن فيه علمانية والتراث الإسلامي كذلك. ومع ذلك لنقرأ ما

---

(1) المرجع السابق ص 21.

(2) في الوقت الذي يدعونا فيه أهل التخريب العقدي بالتعامل مع الغرب بعقل ما بعد الحداثة فإن هناك من المثقفين العرب من يؤجل دخول مجتمعاتنا الإسلامية هذه المرحلة على أساس أن ما بعد الحداثة نقد غربي يسوي حسابات غربية ولا يقدم لنا مشروعية تاريخية لأن مجتمعاتنا في نظرهم مجتمعات ما قبل الحداثة، وعلى كل فإن ما بعد الحداثة اتجاه ثقافي غربي يسدل الستار على الحداثة كمشهد عابر في العرض المسرحي الممتد للتقدم الثقافي ويرى أن الحداثة قد استنفدت أغراضها وأن قيمتها المعرفية بهتت أو ربما صارت أصباغاً على لوحة لم يعد لها ملامح أو هوية، وما بعد الحداثة مفهوم ينكر ثنائية الحداثة التقليدية ولا يقدم بالضرورة على القطيعة مع الماضي أو الميراث الثقافي ولا يقبل النموذج الارتقائي الذي يجعل المجتمع الأوروبي هو الصورة النموذجية للعالم المتخلف، انظر: محمد السعيد: ما بعد الحداثة ومصير التنوير، العربي عدد 413 إبريل 1993م ص 24-28 وهذا لا يعني أن أهل التخريب العقدي قد عدلوا بهذا المفهوم موقفهم من الإسلام ويكفينا لبيان ذلك أن نشير إلى أنهم أعطوا للوحي مفهوماً يخالف ما هو معروف عنه ونظروا إليه على أنه جملة من الإكراهات والقيود وتكرار الشعائر والطقوس والقيام والقعود وفرض القوالب النهائية الجامدة . (انظر: محمد أركون) مرجع سابق ص 75).

يقول: [1] (.....وما دامت العلوم الإسلامية الأصلية مجهولة، ولم تدرس على الطريقة التاريخية، والإنسانية، والأنتربولوجية الحديثة، فلا يمكننا أن نقول إن الإسلام "تجدد". طبعاً نرى ملايين من الناس يعيشون بالقيم الإسلامية، يعيشون بالإيمان، لكن هذا لا يدل على أننا قد تمكنا من المعاني الحقيقية الأصلية للدين بصفة عامة، وللدين الإسلامي بصفة خاصة).

الذين تحدثوا عن الصحوة لا حظوا جانب "الالتزام" فمن لم يكن ملتزماً بالإسلام راح "يلتزم" ومن كان لا يعنى ولا يهتم، صار يعنى، ويسأل، ويقرأ، ويهتم. وكما قال البعض : إن طلبة الطب والهندسة من الدار البيضاء إلى جاكرتا، صاروا أكثر تديناً والتزاماً، وهذا لا علاقة له بما يريده (أركون) من الدراسة على الطريقة التاريخية...

فكل ما يطمح الرجل في نشره هو العلمانية، وقراءة القرآن قراءة جديدة غير مقيدة بقواعد اللغة (وقد ناقشت كل ذلك في كتابي: الفكر الاستشراقي والفكر العربي) وأرجو أن لا يُخدع القارئ بما يقوله هذا الرجل "ويغمغم" فيه.

والرجل بصفته "متغرب" أكثر من الغربيين، لا يريد مطلقاً أن يعترف بفشل الطروحات الغربية بشقيها اللبرالي والماركسي، ولذلك يظل يبحث عن أسباب أخرى للصحوة التي ينكرها، من ذلك كثرة المتعلمين[2]: (فالأجيال الطالعة عددها كبير جداً، ولا بد لها من أن تطالب بحقوقها في التعليم المدرسي وفي العمل وفي الحياة المادية التي يعيشها الناس في مجتمعاتنا العصرية، هذه المطالبة لا بد أن تعبر عن نفسها من طريق العمل السياسي ولكن النظام السياسي في المجتمعات الإسلامية لا يسمح باستعمال الخطاب السياسي المحض، لأن هذه المجتمعات وهذه الدول الإسلامية الحديثة تقوم على نظام الحزب الواحد، وأنبتت على زعامة واحدة...).

---

(1) كل العرب ص 7

(2) كل العرب ص 7.

هنـاك دول مثـل مصـر، تـونس، تركيـا، إندونيسـيا، السـودان، باكستان، بنغلادش، وغيرها، تسمح بتعدد الأحزاب، وبعضـها سمح للحزب الشيوعي بمزاولة النشاط الرسمي، ومـع ذلك، فـأمر الشـباب فـي هـذه الـبلاد لا يختلـف عـن سـواها، حتـى اضـطر بعضـها لمنـع ومصادرة النشاط الإسلامي، فلو كانت القضية "سياسية صـرفة"... لتوجه الشباب إلى تلك الأحزاب ومارس من خلالها العمل السياسي.

وحتـى فـي دولـة "الحـزب الطليعـي الأوحـد" بإمكـان الشـباب ممارسـة العمـل السياسـي مـن خلالـه، إذا كـان المطلـوب هـو العمـل السياسي لا غير.. وسيكون في أمان ورغد عيش، وأمل فـي تحقيق المطالب. لكن ذلك لم يحدث!..

إن نظرة أركون "العلمانية" هي التـي تـوحي لـه بهذا التفسير، لـذا لا أتفـق معـه فـي قولـه: [1] (... ولـذلك نـرى أن الظـاهرة الدينيـة طغـت علـى مجتمعاتنـا[2] –وهـذا اعتـراف صـريح- لأن هـؤلاء الشـباب أجبـروا علـى اسـتعمال الواسـطة الدينيـة، المعجـم الـديني، للتعبيـر عـن حاجـاتهم السياسـية. والحقيقـة أننـا نسـتمع إلـى خطـاب سياسـي، بعبـارات دينيـة، وهـذه الظـاهرة مهمـة جداً خصوصـاً فـي مجتمعاتنا الإسلامية، لأننـا لا نجدها فـي المجتمعـات الغربيـة، حيث يسمح تعدد الأحزاب بالتعبير السياسي المباشر، من دون الحاجة إلى استعمال واسطة الدين للنضال، أو للتعبير عن حاجات المواطن فـي مجتمعـه، ولـذلك نـرى فـي تلـك المجتمعـات انفصـالاً بـين الـدين والسياسة).

هذا الانفصال هو "العلمانيـة" التـي باتـت مستقرة فـي الغـرب، والتـي وجدت فـي الأجـواء المسيحية، حيث جفت ينـابيع المسيحية وتصلبت كما يقول الناقد البريطـاني "كـولن ولسـن" والتـي تخلـو مـن التشـريع، والتـي مارسـت الكنيسـة فـي عصـور خلـت ألوانـاً مـن الإرهـاب، لا مثيـل لـه، وكـل هـذا وغيـره لا وجـود لـه فـي الإسـلام، ولكـن "هـوس" أركـون "بالعلمانيـة"، وإعجابـه بـالغرب، يجعلـه لا

(1) كل العرب ص 7.

(2) الرجل مجاور في باريس من أيام الدراسة، وقد رفض العودة للجزائر قديماً وحديثاً.

يرى في الصحوة الإسلامية إلا واجهة سياسية، يرفضها من منطلقه العلماني الضيق. بينما يدرك أساتذته المستشرقون أن الإسلام دين شامل يهتم بالدولة كما يهتم بالصلاة، ولا تفريق بين الدنيوي والأخروي **(وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا)**.

فالعلمانية إيمان ببعض الكتاب، وكفر بأكثره، وهي بعيدة عن الإسلام، وقد نبتت في غير أرضه، وبين قوم ليسوا بمسلمين.

قضية أخرى وهي أن مندوب المجلة علماني، ولذلك فهو يوجه الحديث كذلك.

قضية ثالثة يشكو منها أركون ويطالب بها بإلحاح: أن يُفسح له مجال التوجيه. والرجل يُستقبل عادة استقبال الفاتحين، ويوصف "بالمفكر العربي الكبير وصاحب النظريات" وتوضع في خدمته الإذاعات وغيرها، ومع ذلك فهو يشكو، ويشكو، ويطالب الحكومات، أن تشجع على "الفكر النقدي"، وهذا الفكر يقول: بأن القرآن كتب إملائياً في القرن الرابع عشر للميلاد، وأن السُنّة جرى عليها الحذف والاختيار، وأن الإمام الشافعي هو الذي جعل منها مرجعاً، وأن التفسير الصوفي الإشاري وعلم الجفر الشيعي يشكلان حقيقة مكتومة مموهة، وهما أفضل من التفسير السني الحرفي!!...

هذا الفكر، أو "المراهقة الفكرية" يريد صاحبها نشرها اليوم، وهو يتصور نفسه "قائد عميان" !. لا يا أستاذ السوربون، ما كل بضاعة "نافقة" في السوربون، وفي مؤتمرات المستشرقين المظلمة العفنة، يمكن أو يجب أن تنشر في أوساط المسلمين، ولو منحتك السوربون ألف شهادة وألف لقب و"لمّعتك" بكل دهون العالم. ولقد حاول قبلك الدكتور طه حسين فلم ينجح، فلا تتعب نفسك! ...

هناك كذبة يروجها الكاتب قائلاً: [1] (... ونسبة إلى القوة العظيمة التي تعمل على المستوى الدولي لإضعاف القوى المجددة عندنا، وتشجيع القوى التي تؤيد المواقف الرجعية، وعندما أقول

(1) كل العرب ص 8.

الرجعيـة، أقصـد علـى وجـه التحديـد الرجعيـة العقلانيـة، لأن هنـاك رجعية ثقافية عقلانية...)

أركون شيخ الرجعيين:

جلـوس أركـون علـى عـرش السـوربون، جعلـه يعتقـد أن ذلـك وحـده يكفـي لنفـي صـفة الرجعيـة عنـه. والرجعيـة: صـفة فـي العقـل، ولوث في القلب، ومنهج في الفكر. وجلوس الإنسان فـي السـوربون، أو الربع الخالي لا دخل له في ذلك. كمـا أن مـدح "البعض" لا يعنـي أن الممدوح بعيداً عن الرجعية أو "الرجعة" الشيعية.

فلنجـرب قـراءة هـذه النصـوص لشـيخ الرجعيـة الأركونيـة ثـم نحكم بعد ذلك:

1- يقول شيخ السوربون وهو يتحدث عن الشيعة: [1] (إن حركـة المطالبـة بالشـرعية، التـي سينشـأ عنهـا "حـزب الشـيعة" تحقق كذلك دلالة محتملة في القرآن، والتجربـة النبويـة. إن "الإمـام" شـأنه شـأن النبـي، يحظـى بتأييـد الله، لمتابعـة مهمـة شـاقة، هـي مهمة التجسد الإلهي في الإنسان، تجسد الروحـي فـي الزمنـي، والمقـدس فـي العـادي، ولكـن هـذه النظريـة سـتزداد وضـوحاً بالتدريج...).

فإذا لم تكن هذه الإفكـار "الحلوليـة" مـن الرجعيـة فمـا الرجعيـة إذن؟؟.

2- نتيجة تلاقح الفكر الشيعي بالإشراق التصوفي، سنحصـل علـى فكـر تقدمي فـي نظـر أسـتاذ السـوربون: [2] (الإماميـة أو الإثنـا عشرية، تجعل سلسلة الأئمة المعصومين من سلالة النبي تقف عند اثني عشر، بدءاً من "علي" .. وإن تعاليم هؤلاء الأئمـة – وقـد أهملهـا أهـل السـنة المسـلمون- تؤلـف السـنة الحيـة، التـي جمعهـا ونظمهـا "الكلينـي وابـن بابويـه" خاصـة... وبالاتصـال

(1) الفكر العربي محمد أركون ص 62.
(2) المرجع السابق ص 108.

بالفلسفة الإشراقية، سيزدهر الفكر الإمامي بعد النهضة الصوفية في إيران...).

3- هناك أخبار تُسند إلى جعفر الصادق رضي الله عنه، بأن لديه علم اسمه "علم الجفر" مودع في كيس من جلد فيه، علم الأنبياء والأوصياء وعلم بني إسرائيل[1]. ولا يشك عاقل في كذب الخبر، ومع ذلك لنقرأ هذا النص: [2] (من العسير علينا إعادة بناء العالم العلمي لشخص مثل "جعفر

الصادق" المتوفى سنة 765، وفيه يُرى التراث الإسلامي[3] بآنٍ واحد، وأنه رائد رمزي "علم الجفر" أو المعرفة الأخروية الخاصة بالأنبياء، ثم هي خاصة بورثة "علي" .... فإن الثابت أن فكراً علمياً جديداً، قد نشأ في المدينة من حول "جعفر" وقد طبقت تقنيات تحقيق روحي، متصلة بالرمزية السيميائية، على تفسير القرآن...) ا هـ.

وحتى يفهم القارئ "علم الجفر" لا بد أن يقرأ خبره في كتب الشيعة أولاً، ثم ليحكم بعد ذلك من هو الرجعي؟ .

فقد نقل "الكليني" وهو عند أركون في مستوى البخاري ومسلم. نقل أن رجلاً من الشيعة سأل جعفر الصادق رضي الله عنه عن هذا العلم فكان جوابه[4] (إن عندنا "الجفر"، وما يدريهم ما الجفر؟ وعاء من أدم[5]، فيه علم النبيين والوصيين، وعلم العلماء الذي مضوا من بني إسرائيل. وإن عندنا مصحف فاطمة عليها السلام، وما يدريهم ما مصحف فاطمة؟ فيه مثل قرآنكم ثلاث مرات، والله ما فيه من قرانكم حرف واحد).

وإذا فهمنا علم الأنبياء وعلم الأوصياء، فما هي علوم بني إسرائيل؟؟.

---

(1) وهذا يقتضي أن يكون جلد فيل أو "ديناصور" خصوصاً إذا تذكرنا أدوات الكتابة في تلك العصور!..

(2) الفكر العربي ص 68.

(3) التراث أم شيخ الرجعية والحلولية ؟

(4) أصول الكليني ص 146.

(5) جلد.

والرسول عليه السلام وجد يوماً صحيفة من التوراة في يد عمر بن الخطاب، فغضب واحمر وجهه، وقال: "لو كان أخي موسى حياً لما وسعه إلا أن يتبعني" . فماذا في جلد "الديناصور" الذي يعجب به شيخ السوربون؟؟!!...

وما هو العلم الذي نشأ في المدينة حول "الصادق"؟ وما هي السيمياء التي يعشقها أستاذ السوربون؟ لماذا لا يُطلعنا عليها، فنزدد علماً أو جهلاً؟؟.

وأخيراً كان هناك جاسوس إسرائيلي، في بلد عربي اسمه "كوهين"، استلم الإذاعة، وكانت هوايته المفضلة شتم "الرجعية" صباح مساء، كما كان يؤمن بالفكر النقدي، ومارس هوايته سنوات ثم سقط، وله أخ في مصر كان يفعل الشيء نفسه، اسمه (ليفي)، واسمه العربي (وحيد السعداوي) كان يشرف على برامج إذاعية، وكان يسب الرجعية بلا انقطاع !

أركون والعلمانية :

حينما يكون المتحاوران علمانيين يعجب الإنسان كيف تحوّر وتموّه الحقائق. لنستمع أولاً للمندوب العلماني وهو يسأل أركون: [1] (من منطلق تفسيرك لموضوع الصحوة الإسلامية هناك استنتاج رئيسي مفاده: أن الأجيال والقوى الناهضة تحاول استغلال الدين كغطاء لحركتها السياسية، ألا ترى في ذلك تحميلاً للدين فوق طاقته، وتجاوزاً لرسالته؟ .

جواب أركون: إن هذا تزييف للدين وابتعاد عن المقصود الأسمى منه، لأن المقصود الأسمى من الدين معرفة الله، والديانة تكون مناجاة العبد لربه، وهذه المناجاة تكون: في الصلاة، في الحج، تكون في الصيام، تكون في الفروض الخمسة... أدافع عن التفريق بين مستوى الحياة الدينية –كما ذكرت- ومستوى الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية، أو ما يمكن أن نسميه الاتجاه أو الوضع

(1) كل العرب ص 8-9.

العلماني الدنيوي، يجب أن نفصل بين هذين المستويين. هناك تيار قوي يقول إن الإسلام: دين، ودولة، ودنيا. وعندي أن هذا خلط بين مستويات مختلفة من المعاني، والقيم، ومن الوظائف... هناك – للأسف- خلط بين الدين والدنيا والدولة، مع أن الفكر المعاصر والنقد العلمي المعاصر يدلان على أن تلك الاتجاهات أو تلك الأوضاع بين الدين والدولة يجب أن تُميز...).

هذه هي العلمانية، والرجل يجاهر ويفاخر بها، ثم يعود ليصف نفسه بأنه المدافع عن الإسلام والمتحدث باسمه، والذي لا يفوت مؤتمر في مشرق الأرض أو مغربها إلا ويحضره، ثم يلوك مثل هذا الكلام، ويدعي بأن القرآن يحوي العلمانية ويشتمل عليها، لكنه لا يقول مطلقاً في أي آية من كتاب الله وجدها؟؟ !!.

وفي الختام يرفض الرجل أن يقر بأن تغيراً حدث في حال المسلمين، وعلى الناس أن يقنعوه بذلك، لأنه لا يتمنى ذلك ولا يريده، وهو عاجز عن التعليل)) ا.هـ كلام الدكتور السامرائي –وفقه الله- من كتاب: (الصحوة الإسلامية في عيون مختلفة، ص 49-56).

قلت: ومن أراد الزيادة عن فكر (محمد أركون) فليرجع إلى الدراسة القيمة التي عملها الأستاذ محمد بريّش عن فكره ونشرها على حلقات في مجلة (الهدى) المغربية:

- الحلقة الأولى: مدخل الدراسة في العدد 13، جمادى الأولى، 1406هـ يناير فبراير 1986 (ص 28-33).
- الحلقة الثانية: من هو محمد أركون، في العدد 14، رمضان ذو العقدة، 1406هـ ، ماي- يوليو 1986، ص 23-43.
- الحلقة الثالثة: لماذا محمد أركون ؟ العدد 15، ربيع الثاني ، 1407هـ، 1986م، ص 42-64.
- الحلقة الرابعة: ماذا يريد محمد أركون؟ أو (علمنة الإسلام –الجزء الأول- على عتبة المشروع). العدد 18/17/16، صفر –ربيع الأول- رجب ، 1408هـ ، أكتوبر 1987-1988م، ص 20-36.

وليرجع أيضاً إلى كتاب (حوار مع علي حرب، نصر حامد أبو زيد، محمد أركون) للأستاذ عمر عبد الله كامل.

وإلى كتاب (الفكر العربي والفكر الاستشراقي بين د. محمد أركون ود. أدوارد سعيد) للدكتور نعمان السامرائي.

وليرجع –أيضاً- إلى مقال بعنوان "محمد أركون ومشروعه النقدي" للأستاذ محمد بوراس، منشور في مجلة البيان، العدد 179.

وإلى مقال "تناقضات مشروع محمد أركون الفكري" للدكتور عاصم حمدان. مجلة "أهلاً وسهلاً"، عدد أكتوبر 2001م، ص 14-16.

نظرة شرعية في أدب الدكتورة سعاد الصباح

تعريف بالدكتورة سعاد الصباح وبمؤلفاتها ونشاطاته

- هي الشاعرة الدكتورة سعاد بنت عبد الله المبارك الصباح من الأسرة الحاكمة بالكويت.
- ولدت عام 1942م في مدينة البصرة بالعراق.

- متزوجة من الشيخ عبد الله المبارك الصباح، الذي توفي بعد غزو العراق للكويت.
- حصلت على بكالوريوس الاقتصاد من جامعة القاهرة عام 1972م.
- حصلت على الدكتوراه في التنمية والتخطيط من جامعة ساري ببريطانيا عام 1981م.
- عضوة في عدة مجالس ومراكز منها :
- عضو مجلس أمناء اللجنة التنفيذية في منتدى الفكر العربي (عمان).
- مؤسسة وعضو في مجلس أمناء اللجنة التنفيذية للمنظمة العربية لحقوق الإنسان، (القاهرة).
- عضو اللجنة التنفيذية للمنظمة العالمية للنساء المسلمات!
- عضو الاتحاد العالمي لاقتصاديات الطاقة.
- عضو مؤازر لمركز دراسات الوحدة العربية (بيروت).
- عضو اللجنة التنفيذية لجمعية (أوليف بادن) الدولية.
- عضو في مركز الدراسات العبرية في جامعة اليرموك.
- عضو مجلس إدارة مشروع بحوث الشرق الأوسط والمعلومات –واشنطن.
- عضو اللجنة التنفيذية بالمجلس العربي للطفولة.
- عضو المجلس الاستشاري لمنظمة تخطيط السكان في الوطن العربي التابعة للأمم المتحدة – لندن.
- حاضرت في العديد من الجامعات العربية والأجنبية، وشاركت في المؤتمرات العربية والعالمية عن مشكلات الوطن العربي والشرق الأوسط.
- متخصصة في اقتصاديات التنمية والنفط وتخطيط الموارد البشرية، ولها العديد من الدراسات والأبحاث والكتب في هذه المجالات، منها :

1- التخطيط والتنمية في الاقتصاد الكويتي ودور المرأة (لندن 1983).
2- الكويت: أضواء على الاقتصاد الكويتي (لندن 1985).

3- أوبك بين تجارب الماضي وملامح المستقبل، (لندن1986).
4- السوق النفطي الجديد، السعودية تسترد زمام المبادرة (لندن، 1986).
5- المرأة الخليجية ومشاركتها في القوى العاملة، (لندن، 1987م).
6- أزمة الموارد في الوطن العربي (بيروت، 1989م).

- لها عدة دواوين شعرية منشورة أهمها:

1- أمنية: (القاهرة، 1971).
2- إليك يا ولدي: (القاهرة، 1982).
3- فتافيت امرأة: (بغداد، 1986).
4- في البدء كانت الأنثى: (لندن، 1988). (بيروت1994).
5- حوار الورد والبنادق: (لندن، 1988).
6- برقيات عاجلة إلى وطني.
7- قصائد حب: (القاهرة 1992).
8- امرأة بلا سواحل: (القاهرة 1994).
9- خذني إلى حدود الشمس: (القاهرة 1998 ط2).
10- القصيدة أنثى والأنثى قصيدة: (الكويت 1999).

-وقد صدر لها كتابان:

1- هل تسمحون لي أن أحب وطني (القاهرة 1992): وهو عبارة عن مقالات عن أزمة الخليج.
2- حقوق الإنسان في العالم المعاصر (الكويت 1999ط 3) [1].

- نظراً لوجاهة الدكتورة وثرائها فإنها تملك داراً للنشر باسمها (دار سعاد الصباح) أقامتها في قصرها القديم بجاردن ستي

(1) وهو كتاب يعرض بنود وثائق الإنسان في العالم، مع إحسان للظن بها! وقد وقعت الدكتورة في زلة عند عرضها (لحقوق الإنسان في الإسلام) عندما زعمت أن الإسلام يساوي بين الناس جميعاً: (دونما تفريق بينهم على أساس الانتماء الديني) (ص19) !! وهذا جهل بشريعة الله التي مايزت بين المسلمين والكفار في أحكام كثيرة – لا مجال لعرضها الآن، وهي مما لا تخفى على مسلم، قال تعالى (أم نجعل المتقين كالفجار) فدين الإسلام هو (دين العدل) الذي يضع كل إنسان في مكانه، لا (دين المساواة)، كما تزعم الدكتورة.

بالقاهرة، وهي تنشر خلالها دواوينها ومؤلفاتها، إضافة إلى ما تستحسنه من مؤلفات الآخرين مما يوافق ميولها![1].

ظاهرة تهييج النساء في شعر الدكتور سعاد الصالح :

من يقرأ دواوين الدكتور لا شك سيلاحظ تلك النغمة المتكررة التي تظهر بوضوح في مقدمات وقصائد تلك الدواوين عن قضية المرأة واضطهادها وظلمها في عالمنا العربي، حيث لا يُسمح لها ببث مكنونات نفسها، وأحاسيسها وعواطفها أمام الآخرين، وأن الشاعرة لأجل هذا تود التمرد على هذا الكبت من خلال التصريح بحبها ونشرها لقصائد الغزل بمن تحبه، بعيداً عن تسلط (القبيلة)! التي لا ترتضي مثل هذا إلا من (الذكور)!

وقد وقعت الدكتورة في الكثير من (التهويل) الذي لا يوافق الواقع، إضافة إلى أنها قد تجاوزت في عباراتها (الثورية) تلك إلى ما لا يجوز لها الوقوع فيه.

ولنستمع إلى شيء من أقوالها تبين ما قلته:

1-تقول الدكتور في مقدمة ديوانها (فتافيت امرأة) في قصيدة بعنوان (فيتو.. على نون النسوة)!

(يقولون: إن الكتابة إثم عظيم فلا تكتبي. وإن الصلاة أمام الحروف.. حرام فلا تقربي) [2].

إلى أن تقول: (وها أنذا.. قد كتبتُ كثيراً، وأضرمت في كل نجم حريقاً كبيراً، فما غضب الله يوماً عليَّ، ولا استاء مني النبي) [3].

وفي هذا النقل من الدكتورة تجاوزات كثيرة وانحرافات خطيرة:

---

(1) استفدت الترجمة من: مجلة الفيصل (العدد 206 ص 118)، وكتاب "الدكتورة سعاد الصباح" للدكتور مكي محمد سرحان، وكتاب "قراءات في نقد اليسار العربي" لحسين معلوم، وديوانها "قصائد حب"، و"معجم البابطين" (436/2)، و"أدباء وأديبات من الخليج العربي" لعبد الله الشباط (ص 246).

(2) فتافيت امرأة (16).

(3) فتافيت امرأة (16).

أولاً: أنها اتهمت الآخرين بأنهم يقولون بأن الكتابة بالنسبة للمرأة (إثمٌ عظيم)، وفي هذا افتراء عليهم، حيث لم يقل بهذا القول، وهو منع النساء من الكتابة سوى أفراد من البشر ظنوا أن المرأة حين تتعلم الكتابة سينفتح أمامها باب عظيم من أبواب الفتنة، حيث ستقرأ وتكتب ما لا يجوز قراءته وكتابته، فلهذا قرروا منعها من الكتابة، واختاروا عدم جوازه لها، مخالفين بذلك سنة النبي صلى الله عليه وسلم.

وقد اشتهر في الباب كتاب الشيخ نعمان الآلوسي المسمى (الإصابة في منع النساء من الكتابة) [1]!

ولكن هذا الرأي الشاذ مخالف لسنة النبي صلى الله عليه وسلم أمر بتعليم المرأة؛ وذلك بقوله صلى الله عليه وسلم للشفاء بنت عبد الله –رضي الله عنها- التي كانت ترقي من النملة[2]: "علميها حفصة، كما علمتيها الكتابة".

قال الشيخ الألباني –رحمه الله- معلقاً على هذا الحديث: (في هذا الحديث فوائد كثيرة، أهمها اثنتان:

الأولى: ...

والأخرى: مشروعية تعليم المرأة الكتابة. ومن أبواب البخاري في (الأدب المفرد) (رقم 1118): (باب الكتابة إلى النساء وجوابهن). ثم روى بسنده الصحيح عن موسى بن عبد الله قال: (حدثتنا عائشة بنت طلحة قالت: قلت لعائشة –وأنا في حجرها، وكان الناس يأتونها من كل مصر، فكان الشيوخ ينتابوني لمكاني منها، وكان الشباب يتأخوني فيهدون إلي، ويكتبون إليّ من الأمصار، فأقول لعائشة- يا خالة هذا كتاب فلان وهديته. فتقول لي عائشة: أي بنيّة! فأجيبيه وأثيبيه، فإن لم يكن عندك ثواب أعطيتك، قالت: فتعطيني).

قلت: وموسى هذا هو ابن عبد الله بن إسحاق بن طلحة القرشي، روى عن جماعة من التابعين، وعنه ثقتان، ذكره ابن أبي

---

(1) مخطوط في مكتبة الأوقاف ببغداد (انظر فهرس مخطوطاتها 383/1).

(2) هي قروح تخرج في الجنب.

حـاتم فـي (الجـرح والتعـديل (150/1/4) ومـن قبلـه البخـاري فـي (التاريخ الكبير (287/4) ولم يذكرا فيه جرحاً ولا تعديلاً، وقد ذكره ابن حبان في (الثقات)، وقال الحافظ في (التقريب): (مقبول). يعني عند المتابعة، وإلا فهو لين الحديث.

وقـال المجـد ابـن تيميـة فـي (منتقـى الأخبـار) عقـب الحـديث: (وهو دليل على جواز تعليم النساء الكتابة).

وتبعـه علـى ذلـك الشـيخ عبـد الـرحمن بـن محمـود البعلبكـي الحنبلـي فـي (المطلـع) (ق1/107)، ثـم الشـوكاني فـي (شـرحه) (177/8)، وقـال: (وأمـا حديث "لا تعلموهن الكتابـة، ولا تسكنوهن الغرف، وعلموهن سورة النور" فالنهي عن تعليم الكتابة في هذا الحديث محمول على من يخشى من تعليمها الفساد).

قلـت (القائـل الألبـاني رحمـه الله): وهـذا الكـلام مـردود مـن وجهين:

الأول: أن الجمع الذي ذكره يُشعر أن حديث النهي صحيح، وإلا لما تكلف التوفيق بينه وبين هذا الحديث الصحيح. وليس كذلك، فإن حديث النهي موضوع كما قال الذهبي. وطرقه كلها واهية جداً، وبيان ذلك في (سلسلة الأحاديث الضعيفة) رقم (2017)، فإذا كان كذلك فلا حاجة للجمع المذكور، ونحو صنيع الشوكاني هذا قول السخاوي في هذا الحديث الصحيح (إنه أصح من حديث النهي)! فإنه يوهم أن حديث النهي صحيح أيضاً.

والآخر: لو كان المراد من حديث النهي من يخشى عليها الفساد من التعليم لم يكن هناك فائدة من تخصيص النساء بالنهي، لأن الخشية لا تختص بهن، فكم من رجل كانت الكتابة عليه ضرراً في دينه وخلقه، أفينهى أيضاً الرجال أن يتعلموا الكتابة؟! بل وعن تعلم القراءة أيضاً لأنها مثل الكتابة من حيث الخشية!

الحق أن الكتابة والقراءة نعمة من نعم الله تبارك وتعالى على البشر كما يشير إلى ذلك قوله عز وجل: **(اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق، اقرأ وربك الأكرم، الذي علم بالقلم)** وهي

كسائر النعم التي امتن الله بها عليهم، وأراد منهم استعمالها في طاعته، فإذا وجد فيهم من يستعملها في غير مرضاته، فليس ذلك بالذي يخرجها عن كونها نعمة من نعمة، كنعمة البصر والسمع والكلام والكلام وغيرها، فكذلك الكتابة والقراءة، فلا ينبغي للآباء أن يحرموا بناتهم من تعلمها شريطة العناية بتربيتهن على الأخلاق الإسلامية، كما هو الواجب عليهم بالنسبة لأولادهم الذكور أيضاً، فلا فرق في هذا بين الذكور والإناث.

والأصل في ذلك أن كل ما يجب للذكور وجب للإناث، وما يجوز لهم جاز لهن ولا فرق، كما يشير إلى ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: "إنما النساء شقائق الرجال"، رواه الدارمي وغيره، فلا يجوز التفريق إلا بنص يدل عليه، وهو مفقود فيما نحن فيه، بل النص على خلافه، وعلى وفق الأصل، وهو هذا الحديث الصحيح، فتشبث به ولا ترض به بديلاً، ولا تصغ إلى من قال:

ما للنساء وللكتابة .... والعمالة والخطابة .

هذا لنا ولهن منا.... أن يبتن على جنابة !

فإن فيه هضماً لحق النساء وتحقيراً لهن، وهن كما عرفت شقائق الرجال. نسأل الله تعالى أن يرزقنا الإنصاف والاعتدال في الأمور كلها) [1]. انتهى كلام الألباني –رحمه الله-.

ثانياً: من الملاحظات على الدكتورة: قولها بأنها قد كتبت كثيراً (فما غضب الله عليها، ولا استاء منها النبي صلى الله عليه وسلم).

وهذا تألٍ على الله وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم، فما أدراها بأن الله لم يغضب عليها؟!

فالدكتورة قد شابهت بقولها هذا قول من قال: **(لن تمسنا النار إلا أياماً معدودةً)** فرد الله عليهم بقوله: **(قل أتخذتم عند الله عهداً فلن يخلف الله عهده أم تقولون على الله ما لا تعلمون)**.

أفتقولين –يا دكتورة- على الله ما لا تعلمين ؟!

---

(1) سلسلة الأحاديث الصحيحة، للألباني (1/295-297)، وللشيخ محمد شمس الحق العظيم آبادي رسالة مطبوعة بعنوان (عقود الجمان في جواز تعليم الكتابة للنسوان).

إن كنت ظننت أن الله لم يغضب عليك بسبب توالي نعمه الدنيوية عليك من مالٍ وجاه، فهذا –والله- ظن من لم يعرف سنن الله في خلقه، لأن الله قد يُنعم على أعدائه النعم المتواترة استدراجاً منه لهم، كما قال سبحانه: (**أيحسبون أنما نمدهم به من مالٍ وبنين، نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون**)، وقال تعالى: (**كلا إن الإنسان ليطغى، أن رءاه استغنى**).

فالحذر الحذر يا دكتورة من مكر الله، (**فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون**). ولا تغتري بما أنت فيه من نعم دنيوية، وتنسبي ذلك إلى رضا الله عنك، وأنت ترتكبين التجاوزات في أشعارك. فإنه لا ارتباط بين الاثنين، كما سبق. بل على المرء أن يقيس أعماله بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، فإن وافقتها فليحمد الله على فضله، وإن خالفتها فليراجع نفسه، ولينته عن ذنوبه.

2-تقول الدكتورة: (أنا الخليجية الهاربةُ من كتاب ألف ليله ووصايا القبيله وسُلطة الموتى) [1].

قلت: أما كتاب (ألف ليلة وليلة) فهو كتاب في الأدب والقصص الشعبي، قد ألفه صاحبه –أو أصحابه على خلاف في ذلك- زمن المماليك، وفيه الكثير من الكذب والافتراءات على خلفاء المسلمين- لا سيما هارون الرشيد-، خلاف ما فيه من المواقف والعبارات البذيئة، والإغراق في قصص الجن والسحرة[2].

ولكن يهمنا منه ما تُلمح إليه الدكتورة، وهو موقفه من المرأة، حيث صورها في صورة الجارية التي تزف إلى الرجل ليستمتع بها ثم يقتلها، وذلك في

القصة الرئيسة لهذا الكتاب، وهي قصة الملك شهريار الذي يقتل كل جارية تُزفُ إليه بعد ما يستمتع بها، ما لم تنفذ شرطه.

---

(1) ديوان فتافيت امرأة (51).

(2) انظر (كتب حذر منها العلماء) لمشهور حسن سلمان (2/57-62).

فالدكتورة –هداها الله- قد اتخذت من شهريار رمزاً لكل الرجال في عصرها، وهذا مخالف للواقع، ومخالف لشرع الله الذي يعامل المرأة أكرم معاملة، ويحرص على أن تنال حقوقها كاملة، لأنها شقيقة الرجال كما أخبر بذلك صلى الله عليه وسلم[1].

فحديث الدكتورة قد يصدق على بعض الشواذ من الرجال الذين اتخذوا من المرأة مجرد لعبة وجارية يقضون منها وطرهم ثم يُلقون بها ويلفظونها لفظ النواة، ولكنه لا يصدق على عامة الرجال، لا سيما الذي يعاملون المرأة كما أمرهم الله –عز وجل-.

أما قولها: (وصايا القبيلة وسلطة الموتى) فلم تبين ما تقصد منها؛ لأن المسلم عليه أن يتبع كلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم في جميع أقواله وأفعاله، لا أن يتبع (وصايا القبيلة) أو (سلطة الموتى)!

فليت الدكتورة بينت مرادها لكي لا تذهب بالقارئ الظنون، فيظن السوء بالدكتورة.

3-تقول الدكتورة: (أنا الخنجر البحريُ الأزرق الذي لن يستريح حتى يقتل الخرافة...)[2]!

ونحن مثل الدكتورة لن نستريح حتى نقتل الخرافة! فالخرافة عندنا هي أن يُعَبَّد البشر لغير خالقهم، فيعظمون لأجل ذلك الأحجار، والأصنام، أو المخلوقات، ويصرفون لهم شيئاً من الأقوال أو الأفعال التي لا تجوز إلا لله –عز وجل-.

هذه هي الخرافة التي أُنزلت الكتب وأُرسلت الرسل لقتلها وتحرير الناس من أسرها، وإخراجهم من ظلماتها إلى نور التوحيد.

فهل خرافة الدكتورة كخرافتنا ؟!

أم أن لها مفهوماً آخر عندها ؟!

المعنى في بطن (الشاعرة)!

---

(1) في قوله صلى الله عليه وسلم "إنما النساء شقائق الرجال". أخرجه أحمد (25796)، والترمذي (113)، وأبو داود (236) وصححه الألباني في صحيح الجامع (2333).

(2) ديوان فتافيت امرأة (55).

4-وتقول: (أيها السيدُ.. إني امرأة نفطية تطلع كالخنجر من تحت الرمال تتحدى كتب التنجيم، والسحر..وإرهاب المماليك..) [1]

.

قلت: نحن مثل الدكتورة نتحدى بل نحارب كتب التنجيم والسحر، لأنها من الشعوذة والخرافة التي جاء الإسلام بهدمها، بل كفَّر منتحليها[2].

ولكن: هل تعني الدكتورة ما نعينه من هذه الدلالات ؟! أم أنها تعني أمراً آخر؟! العلم في (بطن الشاعرة) كما سبق، لأنها اتخذت المذهب الرمزي منهاجاً لها في كثير من أقوالها التي لا تود البوح بها.

5-وتقول: (أخرج من بطن الخرافة وأسنان شيخ القبيلة.. وفناجين القهوة العربية، وأخلع الحذاء الصيني الضيق. من عقلي .. ومن قدمي..وأذهب معك إلى آخر الحرية..) [3].

قلت: قد سبق ترديد الدكتورة لمثل هذه الألفاظ (الخرافة) (القبيلة) ولكنها لا تبين ما تقصد بها، والمسلم يرفض أن يكون أسيراً (للخرافة) أو (شيخ القبيلة)، بل هو أسير التعاليم الإسلام؛ لأن الله قد أمره بذلك، وهو إنما يفعل هذا ابتغاء رضوان الله.

أما إن كانت الدكتورة تقصد (بالخرافة) و(شيخ القبيلة) تعاليم الشريعة الإسلامية فبئس ما أوحى به شيطانها حيث أوقعها في المهلكة، كما سبق.

ونحن لا نُلزم الدكتورة بما لم يصدر منها (تصريحاً).

6-وتقول : (هذي بلاد لا تريد امرأةً تمشي أمام القافلة..) [4].

---

(1) ديوان فتافيت امرأة (37) .

(2) انظر حكم هذه الأعمال في: كتاب (تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد) للشيخ سليمان بن عبد الله آل الشيخ –رحمه الله-. (ص333 وما بعدها)، ورسالة: (التنجيم والمنجمون وحكمهم في الإسلام) لعبد المجيد المشعبي.

(3) ديوان قصائد حب (105).

(4) ديوان خذني إلى حدود الشمس (7).

قلت: لا مانع أن تمشي المرأة أمام القافلة ما دامت ملتزمة بالحجاب الشرعي! أما إن عنت الدكتورة بأمام القافلة أن تكون رئيسة أو متصدرة لأهل القافلة، فقد قال صلى الله عليه وسلم "لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة"[1]. **(وما كان لمؤمن ولا مؤمنةٍ إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم)**.

7-وتقول الدكتورة: (قد كان بوسعي، -مثل جميع نساء الأرض- مغازلة المرأة.

قد كان بوسعي،
أن أحتسي القهوة في دفئ فراشي.
وأمارس ثرثرتي في الهاتف.
دون شعور بالأيام.. وبالساعات.
قد كان بوسعي أن أتجمل..

أن أتكحل.
أن أتدلل.
أن أتحمص تحت الشمس.
وأرقص فوق الموج.
ككل الحوريات .
قد كان بوسعي
أن أتشكل بالفيروز، وبالياقوت،
وأن أتثنى كالملكات.
قد كان بوسعي أن لا أفعل شيئاً
أن لا أقرأ شيئاً.
أن لا أكتب شيئاً
أن أتفرغ للأضواء .. وللأزياء.. وللرحلات..
قد كان بوسعي
أن أرفض
أن لا اغضب

---

(1) أخرجه البخاري.

أن لا أصرخ في وجه المأساة
قد كان بوسعي،
أن أبتلع القمع
وأن أتأقلم مثل جميع المسجونات
قد كان بوسعي
أن أتجنب أسئلة التاريخ
وأهرب من تعذيب الذات
قد كان بوسعي
أن أتجنب آهة كل المحزونين
وصرخة كل المسحوقين
وثورة آلاف الأموات
لكني خنت قوانين الأنثى
واخترت مواجهة الكلمات..) [1]

قلت: وهذا الكلام من الدكتورة لا يحتاج إلى تعليق، وقد سبق مثله مما يصب في موضوع تهييج النساء المسلمات بالكلمات العاطفية التي تضر ولا تنفع.

8-وتقول الشاعرة عن حبيبها (الرجعي)!

(يا هولاكو الأول.. يا هولاكو الثاني. يا هولاكو التاسع والتسعين.

لن تدخلني بيت الطاعة، فأنا امرأة .. تنفر من أفعال الأمر) [2].

9-وتقول أيضاً:

(ليست الديمقراطية أن يقول الرجل رأيه في السياسة دون أن يعترضه أحد الديمقراطية أن تقول المرأة رأيها في الحب.. دون أن يقتلها أحد !!) [3]

10-وتقول –أيضاً-: (كل شيء من حولنا يتساقط.. الفرح.. والطفولة..

---

(1) ديوان في البدء كانت الأنثى (15-23).
(2) الديوان السابق (23).
(3) الديوان السابق (53).

ودفاتر الشعر،
وشجر الأحلام.
كل شيء يضيق.
حتى مساحة البحر.
ومساحة الحرية
حتى الشمس في هذا العصر الظلامي
أخذوها من بيتها ..
وحكموا عليها بالسجن خمسة عشر عاماً
بتهمة توزيع رسائلها الضوئية
على نوافذ المواطنين..
حتى ضوء القمر
ألصقوا صوره على كل جدران المدينة
وطلبوا إلقاء القبض عليه
حيا.. أو ميتا ..
حتى سنابل القمح
وضعوها في الإقامة الجبرية
ومنعوا العصافير من زيارتها
حتى كلامنا في المقهى .. أو على الهاتف ..
مسجل على أشرطة
ومحفوظ في أرشيف المباحث العامة ..
إنهم يحاولون أن يغتالوا القصائد
ويحرقوا غابات الحب الخضراء
ويستأصلوا رجولة الرجال
وأنوثة النساء
ولكننا ..
سنتحداهم بكل طاقاتنا عن الحب
لأن الحب وحده ..
هو الذي سيطرد جحافل البرابرة

ويوقف هجمة عصور الإنحطاط..)[1].

11-وتمارس الدكتورة في مقدمة ديوانها (خذني إلى حدود الشمس) مهمة تهييج النساء المسلمات ودعوتهن بالكلمات العاطفية الرنانة للتمرد على أوضاعهن لكي يتابعنها على ما هي فيه من تحرر مما تراه من قيود (الرجعية) التي تكبلها بالأوامر والنواهي، وقد صرحت الدكتورة –وهي قليلة التصريح!- بأن الحجاب الشرعي يعد من هذه القيود التي كبلت المرأة في زمان مضى !! –والعياذ بالله- إلى أن استطاعت التخلص منه بموجة التحرير التي هبت على معظم بلاد الإسلام في القرن الماضي.

وهذا مما تباركه الدكتورة وتطالب بالمزيد منه! تقول الدكتورة المتحررة من الحجاب: (هذه قصائد حب لا حدود لها.. إنها محاولة لهدم كل الحيطان الحجرية التي تفصل بين الأنثى وأنوثتها.. بين المرأة وبين حقها الطبيعي في أن تتنفس.. وتتكلم.. وتعيش.

وإذا كان حق المرأة في الكلام العادي حقاً مرفوضاً، ومكروهاً، ومستهجنا في المجتمعات المتضخمة الذكورة.. فإن الكلام عن الحب في تلك المجتمعات يعتبر فضيحة كبرى، وجريمة موصوفة.

فالصوت الأنثوي، كان خلال مراحل تاريخية طويلة مرتبطاً بفكرة العار، والعرض، والشرف الرفيع، حتى وصل الأمر ببعض الغلاة والمتزمتين إلى اعتبار صوت المرأة عورة لا يجوز كشفها للسامعين.

ولقد قاتلت المرأة طويلاً لاستعادة صوتها المحجوز عليه، والخروج من مرحلة الخرس الطويلة، حتى تمكنت من إعادة تشغيل حنجرتها بعدما غطاها الصدأ.. نتيجة لعدم التدريب، وقلة الاستعمال.

إن الحجر على صوت المرأة.. ووضعه (تحت الحراسة).. جعل المجتمع العربي ينطق بصوت واحد.. هو صوت الرجل بكل خشونته، وملوحته، ونبرته المدنية.

---

(1) الديوان السابق (139-142).

وهكذا لم تعرف موسيقانا (نصف الصوت) أو (ربع الصوت) وظلت السمفونية التي عزفها كورس الرجال وحدهم، (سمفونية ناقصة).

في بدايات هذا القرن، بدأت المرأة تتخلص شيئاً فشيئاً من الحجاب المفروض على وجهها..

ولكن الحجاب المفروض على (صوتها).. لم يتزحزح سوى سنتمترات قليلة.. وظلت المرأة رغم انفتاح أبواب العلم والمعرفة أمامها، واتساع أفقها الثقافي، تعبر عما يدور بعالمها الداخلي بنصف لغة .. ونصف صوت.. ونصف حرية.

فالمجتمع العربي لا يزال، رغم التحولات التي طرأت على بنيته، يعتبر الصوت النسائي مؤامرة على دولة الرجال وسلطتهم.. ويعتبر المرأة (الفصيحة) ظاهرة شاذة أو مرضية.. لابد من معالجتها بالعقاقير والمضادات الحيوية.

وهكذا ظل فم المرأة مختوماً بالشمع الأحمر، وغير صالح إلا لارتشاف الماء، ومضغ الطعام.

ومثل هذا الامتياز تتمتع به جميع الحيوانات بشكل غريزي

إن لعبة الحب هي لعبة يقوم بها اثنان: رجل.. وامرأة.. فلماذا يلعب الرجل وحده بأوراق الحب.. دون أن يعطي الفرصة للمرأة لتشارك في اللعبة.. وتجرب حظها ؟..

لماذا يحق للرجل، حين تجتاحه عاصفة الحب أن يقول للمرأة: (أحبك).. ولا يحق لها، إذا بللتها أمطار الحب.. أن ترد عليه بلغة، ربما تكون أكثر حرارة وأعذب جرسا، وأشد صدقاً ؟؟

وإذا كانت المساواة البيلوجية غير ممكنة.. فلماذا لا نحقق المساواة (العاطفية) على الأقل، باعتبار الحب عاطفة إنسانية يشترك الذكر والأنثى.. ولا تحتمل الفصل العنصري أو الجنسي ؟

في هذه المجموعة الشعرية، أردت أن أحقق نوعا من (الاشتراكية العاطفية) بعيداً عن أي فكر إقطاعي.. أو قبلي.. أو احتكاري.. وأن استرد حقي الطبيعي كأنثى في نقل مشاعري إلى

من أحبه.. تدون أي شعور بالنقص، أو بالاضطهاد، أو بالخروج على قواعد الأخلاق العامة[1]..

فالحب الكبير، لم يكن في يوم من الأيام مناقضاً للقيم العليا، والأخلاق العامة.

إنه حق مشروع لا يختلف عن حق الأمواج في التكسر.. وحق الرعود في التفجر.. وحق العصافير في الغناء والزقزقة..

فلماذا لا يسمح لي أن أكون موجة.. أو رعداً أو عصفورة تغني على نافذة حبيبها.. دون أن تقتلها بوارید الصيادين؟

لقد تغزل الرجل بالمرأة منذ بدء التاريخ.. ولم يترك لها هامشاً صغيراً من الحرية يسمح لها بأن تتغزل به..

أي أن المبادة العاطفية كانت دائماً في يد الرجل.. بالإضافة إلى امتيازاته القانونية، والسياسية، والاقتصادية، والثقافية .

صحيح أن بعض النساء في تاريخنا الشعري قد كسرن هذا الاحتكار، كما فعلت الشاعرة الأندلسية ولادة بنت المستكفي، حين أعلنت أنها تعيش حالة عشق، وكشفت أوراقها الغرامية بكل شجاعة.

إلا أن الغزل النسائي بشكل عام، ظل غزلاً خجولاً، ومتردداً وخائفاً من لعنة المجتمع.. وخناجر القبيلة.

فالمجتمع العربي، رغم كل مظاهر الحداثة والانفتاح الثقافي والحضاري على العالم، لا يزال يضع (الفيتو) على المرأة العاشقة، ويعتبرها امرأة ناشزة يشكل كلامها عن الحب، خادشاً للحياء العام وخطراً على الأمن القومي.

والسؤال الذي أود أن أطرحه هنا هو:

ما هي علاقة الأمن القومي بقلب المرأة، وأشواقها وأحلامها، وأحاسيسها الأنثوية الطبيعية والمشروعة؟

ثم أود أن أسأل:

---

(1) هذا لا يكفي يا دكتورة ! بل نريدك أن لا تخرجي عن شريعة الله!

لماذا لا يكون الرجل العاشق خطراً على الأمن القومي وقصائد الحب التي يكتبها تهديداً للسلام والأمن الاجتماعي؟

وإذا كنا نؤمن بالديمقراطية أساساً لأنظمتنا السياسية[1]، فلماذا لا نطبق الديمقراطية على علاقتنا العاطفية أيضاً؟

ولماذا نطبق مبدأ التمييز الجنسي بين الرجل العاشق.. والمرأة العاشقة؟؟

وبعد، فهذه قصائد حب، أحاول بها أن أقيم (ديمقراطية عاطفية) يتساوى فيها الرجل والمرأة في حرية البوح، بحيث لا يحتكر الرجل وحده بلاغة الخطاب الأيروتيكي، ولا تبقى المرأة مجرد مستمعة لاسطوانة الحب التي يعزفها الرجل ليلاً ونهاراً.

إن لدى المرأة كلاماً عاطفياً مخزناً منذ آلاف السنين تريد أن تقوله...

فاسمحوا لها أن تفجر ينابيعها الداخلية، وتطلق آلاف العصافير المحبوسة في صدرها.

اسمحوا لها أن تنزع الأقفال عن فمها، وتقول للرجل الذي تحبه: (أحبك).. دون أن تذبح كالدجاجة على قارعة الطريق.

اسمحوا لها، ولو لمرة واحدة في التاريخ أن تعرف معنى المساواة في الحب وتستنشق رائحة الحرية"[2].

المصطلحات (النصرانية) في دواوين الشاعرة :

من يطالع دواوين الشاعرة يجد أنها قد أكثرت من استخدام الرموز والمصطلحات المتعلقة بالنصارى، كألفاظ: (الصليب) و(الكنيسة) و(الناقوس) و(الأجراس) ونحو ذلك، وهذا مما يستغرب من شاعرة مسلمة أن تقع فيه وترضى لنفسها أن تتشبه بهؤلاء الكفرة في مصطلحات دينهم وعباداتهم، وهو أمر منكر ومحرم قد يهوي بفاعله في هاوية الكفر –والعياذ بالله- عندما يرتضي شيئاً من تلكم العبادات، أو يعتقدها –مع مخالفتها الصريحة للإسلام- كقضية

(1) بل نؤمن بالإسلام ! أما الديمقراطية فهي نظام جاهلي يقوم على تأليه البشر.

(2) ديوان قصائد حب (7-14).

صلب المسيح عيسى بن مريم –عليه السلام- مثلاً، وقد قال صلى الله عليه وسلم: "من تشبه بقوم فهو منهم"[1] [2].

فالنصارى لما زاغوا عن شريعتهم وحرفوها، اخترعوا بعض المظاهر الوثنية التي أقحمت في ديانتهم وحملوا الناس عليها.

(ومن مظاهر تحريف النصارى لعقيدتهم: أنهم يعتقدون أن المسيح عليه السلام قتل مصلوباً، لتخليص البشر من الخطيئة التي ارتكبها أبوهم آدم عليه السلام بأكله من الشجرة التي نهاه الله عنها، وزعموا أن هذه الخطيئة انتقلت من آدم إلى بنيه من بعده، فأصبح البشر كلهم مغضوباً عليهم ومبعدين من رحمة الله تعالى ! ولكن الله تعالى في المقابل، وبمقتضى رحمته، دبر للبشر طريقاً للخلاص من هذه الخطيئة، فتجسد في ابنه المسيح، فنزل وقُتل وصُلب فداء عن البشر! وتكفيراً لخطيئتهم) [3].

ومن ها هنا انتشرت بين النصارى ألفاظ: (الخطيئة) و(التكفير) و(الصلب) و(الفداء) و(يسوع المخلص) وغيرها من الألفاظ المتعلقة بهذه العقيدة المحرفة.

ولكن: إن كان لأبناء النصارى عذر في التعلق بألفاظهم ومصطلحاتهم فما عذر الدكتورة (المسلمة) في تشبهها بهم، حتى وقعت فيما يعارض كتاب ربها معارضة صريحة –كما سيأتي- ؟!

في ظني –والله أعلم- أن الذي أوقع الشاعرة في هذا المضيق العفن هو متابعتها لأساطين الحداثة في البلاد العربية، الذين تتابعوا على هذا الأمر، لا سيما وكثير من متقدمي الحداثة هم ممن يدينون بالديانة النصرانية، كجبران خليل جبران، وميخائيل نعيمة، ويوسف الخال، وأنسي الحاج، وجبرا إبراهيم جبرا، وغالي شكري، وخليل حاوي، وتوفيق صائغ، وغيرهم.

---

(1) أخرجه أبو داود وجود إسناده شيخ الإسلام في (اقتضاء الصراط المستقيم) (236/1) وصححه الألباني في الإرواء (1269).

(2) لبيان تفاصيل أحكام التشبه بالكفار: انظر: رسالة (من تشبه بقوم فهو منهم) للشيخ ناصر العقل –حفظه الله-.

(3) رسالة (التدابير الواقية من التشبه بالكفار) للدكتور عثمان دوكوري (483/2).

ولا شك بأن هؤلاء الحداثيين النصارى قد نشروا مصطلحات ديانتهم (المحرفة) في ثنايا أشعارهم[1]، فجاء أغمار المسلمين كالدكتورة فتلقفوها عنهم دون تمحيص، ظانين بسذاجة وجهل أنها من شروط الحداثة!

ومن ذلك على سبيل المثال: قول الشاعر توفيق زياد: (على الصلبان منسية بلادي زهرة الدنيا وعود الند) [2]

وقول البياتي: (وكأن يسوع معكم يعود إلى الجليل بلا صليب) [3].

وقول السياب: (غنيت تربتك الحبيبة وحملتها، فأنا المسيح يجر في المنفى صليبه) [4].

وقول صلاح عبد الصبور: (شعرت بأنني أصبحت قريباً وأن رسالتي هي أن أقدسكم) [5].

والأمثلة على هذا كثيرة.

المصطلحات (النصرانية) في شعر الدكتورة:

فمن ذلك قولها: (يا زمان القبح.. من أين يجيئ المبدعون؟ في بلادي، وعلى أي صليب من دموع يولدون؟)[6].

وقولها: (أصبح شاي الساعة الخامسة نعمتي .. ولعنتي..
بسمتي .. ودمعتي..
واحتي .. وورطتي..
أصبح الصليب الذي أنزف عليه
والكرباج الذي يلسعني على ظهري) [7].

وقولها :

---

(1) بعض الباحثين يرى أن هؤلاء أخذوا ذلك عن شعراء الحداثة الغربيين، كأليوت، الذي أولعوا بالنقل عنه.
(2) ديوانه (ص21).
(3) ديوانه (213/1).
(4) ديوانه (ص123).
(5) ديوانه (ص178).
(6) ديوان فتافيت امرأة (165).
(7) المصدر السابق (118).

(فإن جرحوني
فأجمل ما في الوجود غزال جريح
وإن صلبوني. فشكراً لهم
لقد جعلوني بصف المسيح) [1].

قلت: وفي هذا المقطع وقعت الدكتورة في ماكنا نخشاه، وهو متابعة النصارى في عقيدتهم الباطلة التي ردها الله في كتابه، وهي قولهم بصلب المسيح –عليه السلام- وهو ما رده الله عليهم وكذبهم فيه، بقوله تعالى: **(وما قتلوه وما صلبوه ولكن شُبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شكٍ منه ما لهم به من علمٍ إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا، بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكيماً)** [2].

وقولها :

(أنا قصيدتك المكتوبة بحبر الأنوثة
أنا عصفورتك
أنا جزيرتك
أنا كنيستك
فاسمع أجراس حنيني) [3].

وقولها :

(أسميك .. حتى أغيظ النساء – "حبيبي"
وحتى أغيظ عقول الصفيح –
"حبيبي"
أعرف أن القبيلة تطلب رأسي وأن الذكور سيفتخرون بذبحي
وأن النساء سترقص تحت صليبي..) [4].

وقولها :

(أصرخ: أحبك

---

(1) المصدر السابق (20).
(2) النساء 175-158، وليت الدكتورة هداها الله تراجع تفسير ابن كثير للآية السابقة لتعلم عقيدة المسلمين في قضية صلب عيسى –عليه السلام- التي تسربت إليها من (النصارى).
(3) المصدر السابق (59).
(4) ديوان في البدء كانت الأنثى (28).

فتخرج المدينة برجالها ونسائها ..
وشيوخها وأطفالها ..
لاستقبالك .
وتنطلق الحمائم
وتعزف موسيقى الجيش
وتمتلئ راحات الأولاد
بأكياس الحلوى ..
وتضيئ المآذن
وتقرع أجراس الكنائس.
معلنة تتويجك
ملكاً على قلبي) [1]

ومن ذلك قولها :

(أصبح شاي الساعة الخامسة
ناقوساً يضرب في ضلوعي
وعبادة يومية أثابر عليها
ويوم لا يبقى من العبادات سوى أنت ..
ولا يبقى من المعابد سوى صدرك ..) [2] .

والناقوس –كما نعلم- هو من شعارات النصارى الظاهرة، حيث يدقونه تنبيها للناس ليحضروا إلى الكنيسة.

ويؤكد هذا ما جاء في حديث ابن عمر –رضي الله عنه- في الصحيحين في حديث بدء الأذان قال: "كان المسلمون حينما قدموا المدينة يجتمعون فيتحينون الصلاة ليس ينادى لها، فتكلموا يوماً في ذلك، فقال بعضهم: اتخذوا ناقوساً مثل ناقوس النصارى، وقال بعضهم: بل بوقاً مثل قرن اليهود، فقال عمر –رضي الله عنه-: أولا تبعثون رجلاً ينادي بالصلاة؟ فقال صلى الله عليه وسلم: قم يا بلال فناد بالصلاة"[3].

---

(1) ديوان في البدء كانت الأنثى (118).
(2) ديوان فتافيت امرأة (117).
(3) أخرجه البخاري (597)، ومسلم (788).

قلت: وقد وقعت الدكتورة في هذا المقطع في زلة عظيمة وانحراف فاحش حين زعمت أنها تعبد حبيبها! وأن صدره أصبح كالمعبد الذي لم يبق سواه!

والعبادة كما نعلم لا ينبغي أن تكون إلا الله وحده لا شريك له. ولكن الدكتورة كما سلف كثيراً تتابع في هذا شياطين الحداثة في بلادنا، الذين ابتذلوا مصطلح (العبادة) كثيراً، فعبدوا غير الله في قصائدهم.

فمن ذلك –مثلاً- قول نزار قباني الذي تأثرت به الشاعرة كثيراً![1] :

إنني أعبد عينيك فلا تنبئي بهذا الخبر[2]

وقوله عن نفسه :

مارست كل عبادة وعبادة فوجدت أفضلها عبادة ذاتي[3]!

ومن ذلك قولها :

(الأوربيون أحرار في اختيار قديسيهم
وأنا حرة في اختيار قديسي.
هم يمارسون عبادتهم على طريقتهم
وأنا أمارس عبادتي على طريقتي
هم مقتنعون بكرامات أوليائهم
وأنا مقتنعة بكراماتك..
هذا يوم قديسي الحب .. فالنتاين[4]

---

(1) حاولت الشاعرة نفي هذا التأثر بنزار، كما في المجلة العربية (عدد 126) و(عدد 133) ثم عادت لتقول في (العدد (137): (إن نزار مدرسة، ونصف الشعراء العرب نزاريون)! وقد رد عليها هذا التذبذب في الرأي الأستاذ أيمن ميدان في (العدد 143) بقوله: (إن القراءة النقدية الواعية لشعرها ترفض هذه النظرة التوافقية، وتقرر أن الشاعرة الكويتية سعاد الصباح ليست إلا عازف كمان في تخت نزار قباني الشعري)!
قلت: وهذا ما يوضح سبب كثرة الحديث عن العلاقة بين الرجل والمرأة في دواوينها! وإن كانت على استحياء لم يفعله نزار.

(2) الأعمال الشعرية له (266/1).

(3) المصدر السابق (423/1).

(4) وهو ما يُسمى (عيد الحب)، وقد افتتن به بعض المسلمين –هداهم الله-. انظر لمعرفة تاريخ هذا العيد وحكمه في الإسلام نشرة صادرة عن دار ابن خزيمة بالرياض (عام 1421هـ) عن هذا العيد من تأليف الأخ الفاضل الشيخ إبراهيم بن محمد الحقيل –وفقه الله-.

وسأذهب إلى معبدك أنت
لأقدم نذوري..
وأحرق بخوري..) [1].

وقولها :

(وتشهد روحي مصلوبة.. وذاتي مهيأة للفناء
فللحب عشت، وللحب مت، وللحب هان عليّ الفداء) [2].

قولها :

(وإذا القلب كعصفور جريح في الضلوع
صلبت آماله الحيرى على مرأى الجموع .
فبدا من يأسه يحمل آلام يسوع) [3].

وقولها على لسان حبيبها واصفاً ريق ثغرها! أو نافورتها كما تقول!:

(لو رنا الورد إلى أنفاسها الحرى تبخر
أو دنا الراهب منها .. نسي الَّدير ليسكر) [4].

انحرافات متنوعة [5]:

1-من ذلك قول الدكتورة :

(لماذا كلما ذهبت إلى (خان الخليلي)
أشتري لك كل التعاويذ الفرعونية
وكل الحجابات الشعبية..
التي ترد عنك
زمهرير الشتاء
وصقيع الأعين الزرقاء؟..)[6]

---

(1) ديوان قصائد حب (138).
(2) ديوان أمنية (74) .
(3) المصدر السابق (114).
(4) المصدر السابق (80).
(5) أما ديوانها (أمنية) فقد أجاد الكاتب حمد القاضي في بيان ما فيه من انحرافات كثيرة، وذلك في مقاله عن الشاعرة في المجلة العربية (عدد شهر صفر 1414هـ) فليراجع.
(6) ديوان قصائد حب (62).

قلت: لا يرد زمهرير الشتاء ولا صقيع الأعين الزرقاء! سوى الله جل جلاله القائل: **(وإن يمسسك الله بضرٍ فلا كاشف له إلا هو)** [1].

أما (التعاويذ الفرعونية) و(الحاجابات الشعبية) فهي أفعال شركية ابتدعها من آثر الدنيا على الآخرة ليبتز بها أموال الجهلة من الذين لا يفرقون بين الأسباب الشرعية لدفع الشر، كتلاوة القرآن أو الرقية، وبين الأسباب الشركية؛ كهذه التعاويذ والتمائم.

وقد قال صلى الله عليه وسلم: "إن الرقى والتمائم والتِوَلة[2] شرك"[3].

2-ومن ذلك: قولها عن حبيبها :

و(تعاليمك –يا مولاي- أحلى ما قرأت كل أوراقي التي أحملها في سفري) [4].

قلت: بل كتاب الله عز وجل، ثم ذكره، هو أحلى وألذ ما يقرأه المسلم، وقد أمر الله المسلمين بتلاوة كتابه بقوله: **(ورتل القرآن ترتيلا)** [5].

وأثنى سبحانه على **(الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم)** [6]، وأمر بذكره في أشد الساعات كربا، وهي ساعة الحرب فقال تعالى: **(يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً)** [7].

3-ومن ذلك: قولها :

(يا حبيبي :
إنني دائخة عشقاً

---

(1) سورة الأنعام، الآية: 17.
(2) قال ابن مسعود –رضي الله عنه- راوي الحديث –في آخره-: (التولة شيء يصنعونه يزعمون أنه يحبب المرأة إلى زوجها والزوج إلى امرأته).
(3) صحيح الترغيب والترهيب للألباني (3457).
(4) ديوان فتافيت امرأة (39).
(5) سورة المزمل، الآية: 4.
(6) سورة آل عمران، الآية: 191.
(7) سورة الأنفال، الآية: 45.

فلملمني بحق الأنبياء) [1].

قلت: إن كانت الدكتورة تعني بقولها (بحق الأنبياء) الحلف، فهو لا يجوز، لأنه حلف بغير الله تعالى، وقد قال صلى الله عليه وسلم: "من حلف بغير الله فقد أشرك"[2].

وقال: "من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت"[3].

وإن كانت الدكتورة تقصد التوسل بحقهم وجاههم –عليهم السلام- عند الله تعالى فهو –أيضاً- لا يجوز.

(فالتوسل بجاه النبي صلى الله عليه وسلم أو بجاه الأنبياء، أو بحق النبي، أو بجاه فلان، أو بجاه علي، أو بجاه أهل البيت كل هذا من البدع، والواجب ترك ذلك لكن ليس بشرك، وإنما هو من وسائل الشرك فلا يكون صاحبه مشركاً، ولكن أتى بدعة تنقص الإيمان وتضعف الإيمان عند جمهور أهل العلم، لأن الوسائل في الدعاء توقيفية، فالمسلم يتوسل بأسماء الله وصفاته كما قال الله تعالى: **(ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها)** [4]. ويتوسل بالتوحيد والإيمان كما جاء في الحديث عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: "اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد". فهذا توسل بتوحيد الله. وهكذا التوسل بالأعمال الصالحات كما في حديث أصحاب الغار الذين انطبقت عليهم صخرة لما دخلوا الغار من أجل المطر أو المبيت فانطبقت عليهم صخرة عظيمة فلم يستطيعوا دفعها، فقال بعضهم لبعض: إنه لن ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم، فدعوا الله بصالح أعمالهم، فتوسل أحدهم ببره لوالديه فانفرجت الصخرة بعض الشيء، ثم توسل الآخر بعفته عن الزنا وأنه كان له بنت عم يحبها كثيراً فأرادها لنفسه فأبت عليه ثم إنها ألمت بها سنة وحاجة، فجاءت إليه تطلبه العون فقال: إلا أن تمكنيني من نفسك فوافقت على أن يعطيها مائة وعشرين ديناراً من الذهب، فلما جلس بين

---

(1) ديوان فتافيت امرأة (125).
(2) أخرجه الترمذي، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (2952).
(3) متفق عليه .
(4) سورة الأعراف، الآية: 180.

رجليها قالت: اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه، فخاف من الله سبحانه وقام عنها ولم يأت الفاحشة وترك لها الذهب وقال: اللهم إن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة بعض الشيء ولكن لا يستطيعون الخروج. ثم توسل الثالث بأدائه الأمانة وقال: إنه كانت عنده أمانة لبعض العمال تركها عنده فنماها وعمل فيها حتى صارت مالاً كثيراً من الإبل والبقر والغنم والرقيق فلما جاء صاحبها أداها إليه كلها كاملة فقال: يا ربي إن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة وخرجوا) وهذا يدل على أن التوسل بالأعمال الصالحات من أسباب الإجابة.

أما التوسل بجاه محمد صلى الله عليه وسلم، أو بجاه فلان، أو بجاه الصديق، أو بجاه عمر، أو بجاه علي، أو بجاه أهل البيت، أو ما أشبه ذلك فهذا ليس له أصل بل هو بدعة، وإنما التوسل الشرعي أن يتوسل المسلم بأسماء الله وصفاته أو بإيمانه بالله فيقول: اللهم إني أتوسل إليك بإيماني بلك أو بإيماني بنبيك، أو بمحبتي لك، أو بمحبتي لنبيك عليه الصلاة والسلام فهذا طيب وهذه وسيلة شرعية طيبة، أو يتوسل بالتوحيد بأن يقول: اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الواحد الأحد. كل هذا طيب، أو يتوسل إلى الله ببره لوالديه، أو بمحافظته على الصلوات، أو بعفته عن الفواحش، كل هذه وسائل طيبة بأعمال صالحة، هذا هو الذي قرره أهل العلم وأهل التحقيق من أهل البصيرة، أما التوسل بجاه النبي، أو بجاه فلان، أو بحق فلان فهذا بدعة كما تقدم بيان ذلك والذي عليه جمهور أهل العلم أنه غير مشروع، والله ولي التوفيق) [1].

4-ومن ذلك قولها :

(أعطني سيفا
وخذ مني دواوين جميع الشعراء

أعطني عدلا..

(1) مجموع فتاوى الشيخ ابن باز –رحمه الله- (7/129-131). نشر دار القاسم بالرياض.

وخذ مني تعاليم جميع الأنبياء.
أعطني خبزا..
فما يشبعني خبز السماء) [1].
قلت: نعوذ بالله من الضلال !
فالدكتورة تطالب محدثها بأن يعطيها (العدل) ويأخذ منها (تعاليم جميع الأنبياء)، أي أن الدكتورة حينما تحصل على (العدل) الذي تتصوره –ولو في غير تعاليم الأنبياء- سوف تأخذ وتستغني عن تلك التعاليم كلها!! لأنها حصلت على ما تريد، وهو (العدل).
وأي عدل يكون إن لم يكن مأخوذاً من تعاليم الأنبياء[2] – عليهم السلام- التي أوحى بها إليهم خالق البشر الذي يعلم ما يكون به صلاحهم!!
قال سبحانه: **(لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس)** [3].
فهو سبحانه قد أرسل رسله وأنزل كتبه لينشروا العدل بين الناس، قال ابن كثير –رحمه الله- في تفسير هذه الآية: (يقول تعالى **(لقد أرسلنا رسلنا بالبينات)** أي بالمعجزات، والحجج الباهرات، والدلائل القاطعات **(وأنزلنا معهم الكتاب)** وهو النقل الصادق **(والميزان)**، وهو العدل، قاله مجاهد وقتادة وغيرهما،

وهو الحق الذي تشهد به العقول الصحيحة المستقيمة المخالفة للآراء السقيمة)[4].
وقد أخبر سبحانه بأن العدل يكون منه فهو تعالى: **(لا يظلم الناس شيئاً)**[5]، وقد "حرم الظلم على نفسه"[1].

---

(1) ديوان فتافيت امرأة (158).
(2) أقول (تعاليم الأنبياء) محاكاة لعبارة الدكتورة، وإلا فالمسلم يعلم أن تعاليم الأنبياء عليهم السلام إن هي إلا وحي يوحى من الله عز وجل.
(3) سورة الحديد، الآية: 25.
(4) تفسير ابن كثير (315/4).
(5) سورة يونس، الآية: 44.

5-ومن ذلك قول الدكتورة عن حبيبها :

(لست أفكر في تعليمك فن الحب
فأنت نبي الحب) [2]!

وفي هذا ابتذال وامتهان لكلمة (النبي) التي لا تطلق إلا على أنبياء الله عليهم السلام.

ولعل الدكتورة عندما رأت أن اليونان قد جعلوا إلها للحب أرادت هي أن تحاكيهم فتجعل للحب نبيا!

أو أنه أصابها شيء من لوثات الحداثيين الذين ابتذلوا لفظ (النبي) في أشعارهم، فصاروا يصفون به من يتميز بالشعر عندهم[3].

6-ومن ذلك قولها لحبيبها :

(يا ملك الملوك..
يا أكثر من حبيبي) [4]!

وملك الملوك هو الله عز وجل؛ لأنه ملك الدنيا والآخرة، قال سبحانه عن نفسه في سورة الفاتحة: **(ملك يوم الدين)** [5].

وقال صلى الله عليه وسلم: "إن أخنع[6] اسم عند الله رجل يسمى ملك الأملاك، لا مالك إلا الله"[1].

---

(1) كما في قوله صلى الله عليه وسلم حاكياً عن ربه عز وجل: "يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته محرماً بينكم" (أخرجه مسلم 6524).

(2) ديوان في البدء كانت الأنثى (37).

(3) يقول أحد هؤلاء الحداثيين –وهو جمال باروت- واصفاً (مجلة الشعر 69) الحداثية بأنه (تحول معها الشاعر إلى نمط آخر من الأنبياء)! (الحداثة الأولى ص 222).
ويقول كاهن الحداثة أدونيس عن ديوانه (أغاني مهيار الدمشقي): (أخاله نبوياً)! (انظر كتاب: رأيهم في الإسلام ص 33 طبع دار الساقي).

(4) ديوان في البدء كانت الأنثى (25).

(5) هي قراءة صحيحة –أيضاً- انظر صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم للألباني (ص77).

(6) أخنع أي أوضع .

قال الشيخ سليمان بن عبد الله آل الشيخ –رحمه الله-: (الذي تسمى ملك الأملاك أو ملك الملوك قد بلغ الغاية في الكفر والكذب) [2].

7-ومن ذلك قولها عن حبيبها :

(وأنا أصلي كي تظل حبيبي
فاقبل صلاتي) [3].

وقولها : (أعش للصلاة بين يديك) [4].

قلت: بعد أن عبدت الدكتورة حبيبها ها هي تصلي له!

والصلاة لا تجوز إلا لله، وهذا لا أظنه يغيب عن ذهن الدكتورة، ولكنها تجاوزات الشعراء الذين لا يلقون بالاً للضوابط الشرعية في أشعارهم، إنما هم يهيمون في كل واد وبكل لفظ، متبعة بذلك أبالسة الحداثة الذين امتهنوا لفظ (الصلاة) حتى تعبدوا به للمخلوقين[5].

8-ومن ذلك قولها في رثاء ولدها :

(إن هذا الحب لي أقرب من حبل الوتين
وله فيض حناني وله فرط يمني
وهو بعد الله ربي وهو بعد الدين ديني) [6].

9-ومن ذلك:اعتراضها على تقدير الله –عز وجل- موت ولدها، بقولها:

(يا رب هذا قدر ظالم
يا ليتنا نملك رد القدر) [7]!

وكل مؤمن يعلم أن الإيمان بالقدر من أركان الإيمان التي لا يتم إيمان العبد إلا بها، قال سبحانه: (**ما أصاب من مصيبةٍ في**

---

(1) أخرجه البخاري ومسلم .
(2) تيسير العزيز الحميد (ص 548).
(3) ديوان فتافيت امرأة (12).
(4) ديوان أمنية (110).
(5) من ذلك قول كاهن الحداثة: أدونيس: (أريد أن أصلي للكوكب المنشود)! (الأعمال الشعرية لأدونيس 97/1). وقول البياتي الهالك: (أكلت برتقالة الشمس وفي دمي توضأت وصليت إلى الصحراء)! (ديوانه 254/2).
(6) ديوان أمنية (55).
(7) ديوان أمنية (82).

الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير) وقال: **(ما أصاب من مصيبةٍ إلا بإذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه والله بكل شيءٍ عليم)**.

وقال صلى الله عليه وسلم: "إن عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله تعالى إذا أحب قوماً ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط"[1].

فكان الأولى بالدكتورة أن ترضى وتسلم لأقدار الله ولا تتسخطها فيكون جزاؤها عند الله السخط[2].

10-ومن ذلك: قول الشاعرة مخاطبة (حبيبها):

(أمثقف؟؟
ويقول في وأد النساء..
فأي ثقافة هذي.. وأي مثقفين؟
أمثقف ؟؟
ويريد أن يبقي حبيبته بسرداب السنين؟
أتقدمي في كتابته؟
ورجعي بنظراته إلى الأنثى
فإن ضحكت له امرأة .
يخاف عذاب رب العالمين !) [3] !!

فالشاعرة تريد من حبيبها أن يكون (تقدميا) في أفعاله، غير (رجعي).

والتقدمي في نظرها هو الذي لا يئد النساء ولا يخاف عذاب رب العالمين إذا ضحكت له امرأة!

والرجعي بخلاف هذا

---

(1) صحيح الترغيب والترهيب للألباني (3407).

(2) ليت الدكتورة تراجع (باب: من الإيمان بالله الصبر على أقدار الله) من كتاب (تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد) للشيخ سليمان بن عبد الله آل الشيخ –رحمه الله- لتعلم خطورة ما فاهت به –هداها الله-.

(3) ديوان فتافيت امرأة (73).

قلت: أما وأد النساء فقد حرمه الإسلام منذ أن أشرقت بنوره أرض الجزيرة –ولله الحمد- بل عنف وأزرى بمن يفعله، وأنه موقوف يوم القيامة ومساءل عن فعلته الشنعاء هذه .

قال تعالى: **(وإذا الموءدة سُئلت)** [1].

وقال سبحانه مزريا على أهل الجاهلية صنيع أحدهم عندما يبشر بالبنت: **(وإذا بُشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم، يتوارىئ من القوم من سوء ما بُشر به أيمسكه على هونٍ أم يدسُهُ في التراب ألا ساء ما يحكمون)**[2].

فهذا حكم الله في وأد البنات **(ساء ما يحكمون)** فالمسلم الحق بريئ من هذا (الوأد).

وأما خوف الرجل من عذاب رب العالمين عندما تضحك له امرأة أجنبية لا تحل له، فهذا مما يحمد لا مما يذم! لأن هذا الفعل لا يحل لها ولا له، والله قد أمر النساء عندما يخاطبن الرجال أن لا يخضعن بالقول، قال سبحانه **(فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض)** [3] فما ظنك بالضحك؟!

الحاصل: أن خوف هذا الرجل من عذاب رب العالمين عندما تضحك له امرأة أجنبية هو مما يشكر عليه لا مما يقدح فيه، ولو سمته الدكتورة (رجعية)! فإن (الرجوع) إلى الحق خير من (التقدم) إلى الباطل. والله الموفق.

11-ومن ذلك قولها:

(لا أحد يعرف شيئاً عن قبر الحلاج فنصف القتلى في تاريخ الفكر،بلا أسماء)[4].

قلت: (الحلاج) زنديق من كبار الزنادقة الذين مروا بعالمنا الإسلامي، وقد قتل على هذه الزندقة بعد أن كفره علماء عصره[1]، وقالوا عن مقالته: (إنها محض الكفر) [2].

---

(1) سورة التكوير، الآية: 8.
(2) سورة النحل، الآيتان : 58، 59.
(3) سورة الأحزاب، الآية: 32.
(4) ديوان خذني إلى حدود الشمس (125).

فكيف ترضى الدكتورة لنفسها أن تجعله -بعد هذا- من أهل الفكر المظلوم؟!

أم تراها اغترت بصنيع أحد كهان الحداثة، وهو الشاعر صلاح عبد الصبور في مسرحيته (الحلاج)[3]! حيث امتدح فيها أفكار الحلاج الزنديق وأنه كان يقف مواقف نضالية في صف الكادحين حتى تعرض للقتل[4]!

هذا ما أظنه! لأنني اعتقد أن الدكتورة مجرد متابع ومردد لما ينعق به أساطين الحداثة، لعلها تحظى بشرف الانضمام إليهم، ولو على حساب دينها! هداها الله.

12-ومن ذلك : قولها :

(مشكلتك الكبرى يا صديقي
أنك تختزن في ذاكرتك كل الأفكار السلفية
وكل الكلمات المأثورة
وكل ما ورثته عن أجدادك
من نزعات التملك ..

والسيادة ..
والتعددية النسائية..)[5].

وفي هذا المقطع أبانت الدكتورة عما يكنه صدرها تجاه من يتخذ الكتاب والسنة مرجعاً له في كل أموره، وهم (السلفيون)، فلمزت (حبيبها)! بأنه لا يزال منهم! يؤمن (بكل الكلمات المأثورة) و(كل ما ورثه عن أجداده) ولم تبين لنا ما هي هذه الكلمات المأثورة

---

(1) انظر هذا في ترجمته في: (تاريخ بغداد) (112/8) و(البداية والنهاية) (132/1) و(السير) للذهبي (313/14).

(2) (السير) للذهبي (351/14).

(3) أول من لفت النظر إلى (الحلاج) محاولاً بعثه: هو المستشرق (ماسنيون) في حديثه عن ما سماه (مأساة الحلاج)!

(4) انظر: ديوانه (445-609) وليعلم أن بعث الحركات والشخصيات المنحرفة في تراثنا هو من أهداف الحداثيين في بلادنا، لصرف الناس عن الحق وتلويثهم بالزيغ، وتوافقهم مع أولئك، كما قال سبحانه: (**تشابهت قلوبهم قد بينا الآيات لقومٍ يوقنون**)، ومن أبرزهم في هذا المجال: الباطني الخبيث أدونيس الذي حاول بعث الملاحدة والزنادقة من أمثال ابن الراوندي ومهيار الديلمي وحركة الزنج وغيرها، كما في رسالته (الثابت والمتحول).

(5) ديوان في البدء كانت الأنثى (53).

والميراث الذي ورثه (السلفي)، إن لم يكن هو قول الله تعالى وقول رسوله صلى الله عليه وسلم .

ويشهد لهذا انتقادها وتعريضها بجواز تعدد الزوجات الذي نزل به القرآن ولكنه لم يوافق هواها، وذلك بقولها: (والتعددية النسائية)، وفي هذا رد لحكم الله تعالى الذي أباح ذلك للرجال في قوله: (**فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع**) [1].

ولكنه الهوى وسوء الظن بحكم الله تعالى الذي لا زال يعشش في ذهن الدكتورة.

13-ومن ذلك قولها الشنيع :

(أريد أن أكتب لك..
أو لغيرك ..
أو لأي رجل في المطلق
ما لا أستطيع قوله للآخرين..
فالآخرون.
منذ خمسة عشر قرنا
يتآمرون ضد الأنوثة..) [2]!!

قلت: فمن تعني بالآخرين الذين يتآمرون على الأنوثة منذ خمسة عشر قرناً، إن لم تكن تعني بذلك الإسلام وشريعة الله عز وجل التي أنزلها في ذلك الزمان، لتخرج الناس من الظلمات إلى النور، وتنشر الحق والعدل بين الخافقين؟!

ومن –سوى الإسلام- أنصف المرأة وكرمها، بعد أن كانت مهانة في الديانات السماوية (المحرفة) أو الديانات والأفكار الأرضية؟!

فشريعة الله التي تلمزها الدكتورة زورا وبهتانا بأنها تآمرت ضد الأنوثة هي التي ساوت بين الذكر والأنثى المؤمنين في استحقاق الحياة الطيبة في الدنيا وفي الفلاح والفوز بالجنات عند الله سبحانه، فلم تفرق بين أي منهم لجنسه، إنما هو الإيمان والعمل

---

(1) سورة النساء، الآية: 3.
(2) ديوان قصائد حب (28).

الصالح، قال سبحانه: **(من عمل صالحاً من ذكرٍ أو أُنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياةً طيبةً ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون)** [1].

وقال سبحانه وتعالى: **(ومن يعمل من الصالحات من ذكرٍ أو أُنثى وهو مؤمنٌ فأولئك يدخلون الجنة ولا يُظلمون نقيراً)** [2].

وقال تعالى: **(ومن عمل صالحاً من ذكرٍ أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يُرزقون فيها بغير حساب)** [3].

وقال سبحانه: **(فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عاملٍ منكم من ذكرٍ أو أُنثى بعضكم من بعضٍ)** [4].

فشريعة الرحمن ساوت بين الرجل والمرأة إذا تحقق منهم الإيمان والعمل الصالح في أمرين مهمين :

1- الحياة الطيبة الهنيئة في الدنيا .
2- الفوز بجنات النعيم في الآخرة.

أما الأحكام المتعلقة بجنس الرجل وجنس المرأة في الدنيا إنما تتفاوت لتفاوت ما بين الجنسين في الخَلق ولا دخل لهذا كله بالفضل عند الله تعالى –كما سبق-

فأين الامتهان المزعوم يا دكتورة ؟!!

أو أن المساواة في نظرك –وفي نظر المتحررات من أمثالك –لا تكون إلا بأن تتمرد المرأة على شريعة ربها وتشارك الرجل في خصائصه المتعلقة بجنسه، وتلهث جارية خلف زيف الغرب وسرابه الموهوم، ولو أداها إلى الحياة التعيسة في الدنيا وصِلى النار في الآخرة!

فهذه مساواة قاصري النظر، ممن لا يسيره سوى شهواته وأهوائه.

---

(1) سورة النحل، الآية : 97.
(2) سورة النساء، الآية: 124.
(3) سورة غافر، الآية: 40.
(4) سورة آل عمران، الآية: 195.

الحاصل: أن الدكتورة أساءت لنفسها بهذا القول، وهو قول (كفري) إن كانت تقصد به أن الإسلام امتهن المرأة، عليها التوبة منه والاستغفار، قبل أن تلاقي ربها بظن السوء. نسأل الله لها الهداية.

14-ومن ذلك : تأييدها للطاغوت الهالك جمال عبد الناصر الذي رفع من شأن القومية العربية على حساب الإسلام، وآذى عباد الله من الدعاة والصالحين في تجربة ثورية خاسرة، لم تجن منها الأمة سوى زيادة الانقسامات والتحزبات والبغضاء بين أفراد الأمة ودولها.

تقول الدكتورة في قصيدة لها بعنوان: (من امرأة ناصرية إلى جمال عبد الناصر) ممجدة الطاغوت الهالك، ومنزلة له المحل الأسمى في قلبها وعواطفها، بلغة تكاد ترفعه عن مستوى البشر! تقول:

(كنا كباراً معه في كتب الزمان
كنا خيولاً تشعل الآفاق عنفوان
كان هو النسر الخرافي الذي يشيلنا
على جناحيه، إلى شواطئ الأمان.
كان كبيراً كالمسافات،
مضيئاً كالمنارات،
جديداً كالنبوءات،
عميق الصوت كالكهان.
وكان في عينيه برق دائم
يشبه ما تقوله النيران للنيران
كنا شموساً معه.
توزع الضوء على مساحة الأكوان.
كنا جبالاً معه. من حجر الصوان
وكان يحمينا من الركوع والهوان
كنا نسمى باسمه ..
إذا نسينا مرة أسماءنا ..
كنا نناديه جميعاً، يا أبي

إذا أضعنا مرةً آباءنا ..
فهو الذي أطلقنا من رقنا
وهو الذي حررنا من خوفنا
وهو الذي
أيقظ في أعماقنا الإنسان ..
كان هو الأجمل في تاريخنا
والنخلة الأطول في صحرائنا
كان هو الحلم الذي يورق في أهدابنا
كان هو الشعر الذي يولد مثل البرق في شفاهنا ..
كان بنا يطير.. فوق جغرافية المكان
مستهزئاً من هذه الحواجز المصطنعة ..
من هذه الممالك المخترعة
من هذه الملابس الضيقة، المضحكة..
المرقعة ..
من هذه البيارق الباهتة الألوان .
كان على صورتنا ..
كنا على صورته
كان يرى التاريخ في نظرتنا
كنا نرى المستقبل الجميل في نظرته..
جبهتنا مرفوعة
تستلهم الشموخ من جبهته
فبضتنا قوية
تستلهم القوة من قبضته
أولادنا قد رضعوا الحليب من ثورته
كان هو القوة في أعماقنا
واللهب الأزرق في أحداقنا
والريح، والإعصار، والطوفان.
كان هو المهدي في خيالنا
وكان في معطفه يخبئ الأمطار
وكان إذا ينفخ في مزماره ..

تتبعه الأشجار
وكان في جبينه سنابل وحنطة ..
وفي رنين صوته ما يشبه الأذان[1].
وكان في قدرته أن يطلع السنابل
ويجمع القبائل
ويستثير نخوة الفرسان
ويرجع الملك إلى بيت بني عدنان..
كان هو النجمة في أسفارنا
والجملة الخضراء في تراثنا
كان هو المسيح في اعتقادنا[2]
فهو الذي عَمَّدنا[3]
وهو الذي وحدنا
وهو الذي علمنا
أن الشعوب تسجن السجان
وأنها حين تجوع،
تأكل القضبان ..
يا ناصر البعيد قد أوجعنا الغياب
نمد أيدينا إليك لما ..
حاصرنا الصقيع والضباب ..
نبحث عن عينيك في الليل..
ولا نمسك إلا الوهم والسراب
يا ناصر العظيم ..
أين أنت .. أين أنت
بعدك لا شعر، ولا نثر، ولا فكر، ولا كتاب
بعدك نام السيف في قرابه
واستنسر الذباب ..
يا ناصر العظيم..

---

(1) !!
(2) !!
(3) هذا مثال آخر على استخدام الشاعرة للمصطلحات النصرانية.

هل تقرأ في منفاك أخبار الوطن ؟
فبعضه مغتصب ..
وبعضه مؤجر ..
وبعضه مقطع ..
وبعضه مرقع..
وبعضه مطبع ..
وبعضه منغلق ..
وبعضه منفتح ..
وبعضه مسالم..
وبعضه مستسلم ..
وبعضه ليس له سقف .. ولا أبواب ..
يا ناصر العظيم،
لا تسأل عن الأعراب
فإنهم قد أتقنوا صناعة السباب
وواصلوا الحوار بالظفر والأنياب
وحاصروا شعوبهم بالنار والحراب .
يا ناصر العظيم..
سامحني .. فما لدي ما أقوله
في زمن الخراب) [1].

15-ومن ذلك أيضاً: تمجيدها الطويل لطاغوت العراق صدام حسين الذي تأملت فيه أن يكون خير موحد للعرب بعد جمال الهالك، متغافلة عن كونه ينتمي إلى (حزب البعث) الكافر[2]، ولكنها سرعان ما انقلبت عليه عندما (توحد) مع بلادها الكويت!!

تقول الدكتورة في مقدمة كتابها (هل تسمحون لي أن أحب وطني): (لم يغن أحد لمجد العراق كما غنيت أنا، ولم يسق أحد مياه دجلة بدموعه كما سقيتها أنا.

---

(1) ديوان فتافيت امرأة (135-144) ولها قصيدة أخرى شبيهة بها في ديوان أمنية (12014).
(2) لمعرفة شيء من كفريات هذا الحزب: انظر: (حزب البعث) للشيخ سعيد الغامدي، و(الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة) من إعداد الندوة العالمية للشباب الإسلامي (474/1).

ولم يرشق أحد جنوده بالورود والريحان، كما رشقتهم أنا.

وأخيراً، لم تتمن امرأة عربية أن يكون جسدها (نخلة تشرب من شط العرب) إلا أنا..

لقد كنت دائماً متهمة بأنني عراقية الهوى، وأن كتاباتي، شعراً ونثراً، مبللة بأمطار العراق، ورطوبة أنهاره، ونضارة بساتينه.

وكنت دائماً أفاخر بهذه التهمة الجميلة، لأنني كنت أعتبر العراق الجناح العربي القومي الذي يغطينا، ويحمينا، ويدافع عن مستقبلنا ومستقبل أولادنا.

وبكلمة أخرى، فإن التزامي بالخط العراقي، كان التزاماً بالخط القومي الوحدوي.

كان العراق يمثل لي، تلك القوى الصاعدة، الواعدة، التي افتقدناها في السبعينات، كما كنت أرى فيه البديل القومي والاستراتيجي الذي سيصحح ميزان القوى بيننا وبين إسرائيل، وينهي حالة الهوان، والتخاذل والتشرذم والانفلات التي عصفت بدول المنطقة.. إلخ) [1].

أسأل الله أن يهدي الشاعرة، وأن يوفقها للتوبة النصوح.

والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين

---

(1) هل تسمحون لي أن أحب وطني (9-10).

انحرافات المفكر التونسي : هشام جعيّط

هــو أحــد المفكــرين التونســيين المعاصــرين المختصــين بالدراســات التاريخيــة، ولــد عــام 1935م، يكتــب أبحاثــه باللغــة الفرنسية!

أهم مؤلفاته :

1- أوروبــا والإســلام: صــدام الثقافــة أو الحداثــة، دار الطليعــة، بيروت 1995م.
2- الفتنة: جدلية الدين والسياسة في الإسلام المبكر، دار الطليعة، 1992م.
3- الكوفــة: نشــأة المدينــة العربيــة الإســلامية، دار الطليعــة، ط2، 1993م.
4- الشخصية العربية والإسلامية والمصير العربي، دار الطليعة، ط2، 1990م.

انحرافاته :

يعد هشام جعيط من أنصار الفكر العلماني (الصريح) وعزل الإسلام عن شئون الحياة في بلاد المسلمين، ويجاهر بهذا في كتبه، وإليك شيئاً من أقواله[1]:

(1) نقلاً عن كتاب "مدارس الفكر العربي الإسلامي المعاصر" للدكتور عبدالرزاق قسوم، مع إضافات من عندي.

1- يقول في كتابه (أوربا والإسلام): "إن الإسلام لم يصبح عالمياً إلا بعد أن امحت خصوصية السياسي فيه"! (ص86)
2- ويقول مطالباً الحد من سلطة الإسلام على المجتمع!: "إن تخليص المجتمع من سيطرة الدين، أو بالأحرى من المحتوى المؤسساتي الإسلامي المرتبط بعصر مضى وتحديد علمانيته جديدة في أسلوبها تلك هي المهمة العاجلة الفردية"، (الشخصية العربية .. ، ص 10).
3- ويقول مبيناً أن علمانية تحترم الإسلام كدين له تاريخه!: "يجب على الإسلام البقاء كدين للدولة، بمعنى أن الدولة تعترف به تاريخياً وتهبه حمايتها وضمانها؛ لأن الدولة أساساً هي وعي التاريخ تجاه قوى النسيان، فليس للدولة أن تكون علمانية؛ بمعنى أنها لا تهتم بمصير الدين، معتبرة إياه مسألة خاصة" (السابق، ص 118).
4- ويرى أن دولته العلمانية المنشودة ينبغي أن توفر الحماية والضمانات لمن يريد الارتداد عن دين الإسلام!، يقول : "ستسمح الدولة بحرية الضمير وتضمنها داخل المجموعة الإسلامية ذاتها، وتضمن الخروج من الإسلام [بمعنى الردة] من حيث المعتقد خروجًا حرًا..." (السابق، ص 118).
5- بل إنه يذهب إلى أبعد من هذا ولا يمانع بسبب تجويزه للردة في دولته العلمانية المنشودة إلى أن "من الممكن أن يصبح الإسلام يوماً ما أقلية في مجتمعه" !! (السابق، ص118) ويستشهد بقوله صلى الله عليه وسلم: "بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ.. الحديث" !!
6- ويقول جعيط بصراحة: "نحن لا نقبل أن يكون الإسلام الأس الوحيد للأخلاق والمجتمع، والمحرك الأساسي الفعلي للحياة الإجتماعية، فارضاً قواعده الدينية وما يرتبط بها من فروض في العادات والقضاء، كما كان الأمر في الدولة الخاضعة للحكم الإلهي..."! (السابق، ص103)
7- ويزعم أن الإسلام : "ورث ... أغلب التقاليد اليهودية النصرانية، فيتضمن القرآن الملائكة، ورؤساهم، وإبليس

وجيشه من الشياطين والجن، ويظهر أن هؤلاء اقتبسوا من الخرافات المحلية" ! (السابق، ص124). أي أن القرآن – والعياذ بالله- يحتوي على خرافات محلية لم يصدق بها عقل هذا العلماني.

8- ويقول لامزًا القرآن: "نجد في القرآن تصورًا معيناً للجنسين البشري قد لا يقبله العلم..." (السابق، ص 124).

9- ويصرح الرجل بإلحاده! في قوله : "ولكن التفكير المتسلح يمكنه التقدم خطوات أخرى، فيتساءل: كيف يقبل العقل الناقد العذاب الأبدي فضلاً عن كونه جسدياً بالنسبة لغير المؤمنين؟ وكيف للنزعة الإنسانية الكونية لعصرنا أن تسمح بذلك؟ أين يكمن الحل للتناقض بين الحرية ومسؤلية الإنسان التي يتضمنها مفهوم الحساب، وبين قدرة الله وظلمه أو يكاد، التي يترجم عنها القضاء والقدر؟ وهذا الإله ذاته الشخصي والمتعالي، أي لعبة يلعب؟ لماذا كان متخفياً؟ أولا ينكشف مرة واحدة وبوضوح للإنسان؟" !! (السابق، ص124) –تعالى الله عن قوله علواً كبيرًا-

يقول الدكتور عبد الرزاق قسوم معلقاً: "إن من يقرأ مثل هذه الأحكام ويحلل مثل هذه الأفكار لا يخالجه شك في أن صاحبها يترجم بها عن قناعات علمانية إلحادية..." (مدارس الفكر العربي الإسلامي المعاصر، ص 232).

ويقول: "يذهب.. هشام جعيط إلى تبني العلمانية كمنهج وحيد لتجاوز ما يسميه بأزمة التدين وأزمة التخلف الناتجة عن ذلك" ! (المرجع السابق، ص 230).

قلت: لقد قامت تركيا –مثلاً- بتبني العلمانية قولاً وعملاً بما لا يحلم به جعيط وأمثاله من العلمانيين العرب، ومع هذا ارتكست في التخلف الدنيوي والتبعية الذليلة للغرب، فضلاً عن خسارتها لدينها. أفلا يكفي أن تكون تجربتها عبرة للعلمانيين العرب؟! أم أن الأمر لا يعدو أن يكون اتباعاً للشهوات والشبهات، وبغضاً لشرع الله ودينه الحنيف ؟!

10- ويقول جعيط –أخزاه الله-: "بما أن الدين مرتبط بالماضي، فإن عناصر كثيرة يتضمنها أو يتشكل منها لا يقبلها العقل إطلاقاً، ولا الفكر وحتى ذهنية الإنسان الحديث، فقد أبرز العلم والفلسفة والنقد التاريخي بديهيات تهاجم النواة الدينية ذاتها، أو على الأقل كساءها الأسطوري" (الشخصية العربية الإسلامية والمصير العربي، ص 108)

11- ويقول –فُض فوه- طاعناً في رسول الله صلى الله عليه وسلم ! بكلام لا يشك مسلم في كفر قائله: "إن جريمة النبي لا تكمن فقط في استغلاله لسذاجة الجماهير، ولكنها تكمن أيضاً في تجسيده من خلال سيرته الذاتية مثالاً للشهوانية والعنف وعدم الأخلاق، هذه الخصائص التي طبع بها كل الشعوب التي اتبعته" !! (انظر: مدارس الفكر العربي الإسلامي المعاصر، ص238).

قلت: فتأمل بشاعة هذا القول الذي يُخرج صاحبه من الملة بلا شك ويُقتل صاحبه بلا استتابه؛ لطعنه في رسول الله صلى الله عليه وسلم. (انظر: الصارم المسلول لشيخ الإسلام).

12- أما أمهات المؤمنين رضي الله عنهن، وصحابة رسول رب العالمين رضي الله عنهم فلم يسلموا –أيضاً- من طعن هذا المفكر العلماني. (انظر المرجع السابق، ص 239).

13- وكذا طعن في الأحكام الشرعية، وأنها لا تناسب العصر؛ كتعدد الزوجات (السابق، ص 240). يقول الفاجر: "ينبغي تركيز الجهد على ميدان قانون الأحوال الشخصية الشاسع والذي ما زال خاضعاً لطبقة عنيفة وتنصيعات قرآنية، فينبغي تخليص ما يُعرف بقانون الميراث وتشريع الزواج، وحتى التشريع الجنسي من عبء الفقه، وإخضاعه لمقولات العقل العالمي" !! (الشخصية العربية...، ص115) ولا أدري ما هو هذا (العقل العالمي) الذي يريد إخضاع أحكام الشريعة له؟! لعله عقل أسياده الفرنسيين والغربيين.

14- أما عن موقفه من بلاد التوحيد؛ فإليك ما يقوله فيها : "إن البلدان النفطية الصرف –وأعني بها بالتخصيص العربية

السعودية وإمارات الخليج- هي هامشية في حياة المجموعة العربية بحيث إن ما أتيح لها من ثروات هائلة تبدو كأنها انتقام من القدر[1]. هي بلدان متأخرة وصمها عمق التأثير الديني، وهي قليلة التفتح على نداء الحداثة لأنها لم تعش استعماراً حقيقياً، ولا تملك وسائل ببشرية ولا قاعدة بيئية كافية لتحرير القوى المنتجة ولن تظهر ما تقدمه لإفادة التنمية العامة للعالم العربي إلا ضمن منظور مستقبل مدمج حيث تقوم بدور المناطق النفطية. أما حالياً فإنها في حاجة قبل كل شيء إلى تكوين الفنيين وتطوير التعليم والقيام بدفع قوي للزراعات السقوية على الصعيد الاقتصادي بفضل وسائلها المالية تحديداً. وتجتهد عدة دول نفطية حقيقية في مساعدة الدول الأخرى التي لم تجاملها الطبيعة[1]. لكن الملاحظ بالخصوص أن أموالها مودعة في البنوك الغربية دون أي نفع لها أو لأشقائها العرب، علماً أن الطبقة المحظوظة تتجول بشهواتها في العالم الأجنبي، وترتع في النعيم واللذة فتمدد في بقاء صورة المشرق المحتقر الداعر. وعلى هذا فمن الضروري توزيع المداخيل من جديد باتجاه التخفيف من الفوارق. وبما أن الدولة هي التي تملك المنة النفطية فالواجب أن يقع إصلاحها قبل غيرها. لكن القاعدة العامة أنه على هذه الأقطار أن تخرج من العهد الوسيط القاتم والفاقد للثراء الفكري والبشري. أما على الصعيد المادي، وبسبب امتلاكها موارد استثنائية،

ولأنها بلدان قليلة السكان، فلا يوجد حقاً وضع يتطلب حلاً عاجلاً. بل يكفي لحكومة متبصرة أن تضع حداً للتبذيرات وتنشئ مؤسسات ذات أغراض اجتماعية (الضمان الاجتماعي والضمان على المرض، الخ)، وتنمي إلى أقصى حد التجهيزات الجماعية، وتحد من نشاط المضاربين ورجال الأعمال، لكي تتحسن الأمور في العشرية القادمة. فلا حاجة

(1) ! !

إذا القيام بدعوة للثورة الكلامية وألا يتم شيء في واقع الحال، بل الأحسن خلافاً لذلك أن تحقق إصلاحات محدودة تقدر عليها الدولة النفطية التي حبتها العناية الإلهية، حتى يخرج المجال الصحراوي العربي من سباته" (الشخصية العربية....، 191-192)

قلت: فهذا العلماني يقطر حقدًا على بلاد التوحيد "المتخلفة" في نظره! ويغيظه جدًا ما حباها الله به من ثروات –وله الحمد والمنة- معترضاً على قضاء الله وقدره.

والطريف هو قوله عنها –متأسفاً!-: "لم تعش استعمارًا حقيقياً" !! فأصبح الاستعمار الكافر لبلاد المسلمين في نظر هذا العلماني مما يُفرح به ويُتأسف على فقده! نعوذ بالله من الذل والهوان :

ولا يقيم على ذلٍ يراد به
إلا الأذلان عَيْر الحي والوتد !

وخلاصة القول –كما يقول الدكتور عبد الرزاق قسوم- (ص246) : "أن هشام جعيط.. **أقرب في طروحاته هذه إلى العلمانية الملحدة**" .

وقال الدكتور مفرح القوسي في رسالته: " المنهج السلفي والموقف المعاصر منه في البلاد العربية"[1] (2/654-656): "الدكتور هشام جعيط[2]: وهو من أبرز المعادين للمنهج السلفي،

(1) طُبعت أثناء إعدادي لهذا البحث المختصر عن دار الفضيلة بالرياض عام 1423هـ. وأنا أنقل من أصل الرسالة المحفوظ بمكتبة الملك فهد الوطنية.

(2) باحث ومفكر تونسي معاصر، مختص بالدراسات التاريخية، من مؤلفاته: (الكوفة –نشأة المدينة العربية الإسلامية) نشرته مؤسسة الكويت للتقدم العلمي سنة 1986م، وكتاب (الشخصية العربية الإسلامية والمصير العربي) نشرته دار الطليعة في بيروت سنة 1990م.

والمتحمسين لتطبيق المبادئ العلمانية في البلاد الإسلامية، قدم –في سبيل ذلك- أفكاراً وطروحات عديدة، فنراه يقول –كاشفاً عن حقيقة انتمائه الفكري العقدي-: "نحن ندعي العلمانية؛ بمعنى أننا نعتقد ضرورة الفصل الجذري بين التشريع الديني والمؤسسات الاجتماعية والقانون والأخلاقية الممارسة"[1]، ويقول –داعياً إلى إقصاء الشريعة الإسلامية وإيقاف العمل بها في بلاد المسلمين-: "ينبغي على البلدان المتخلفة اللحاق في ميدان التشريع بالبلدان المتطورة، وأن يتوقف العمل بالتشريع غير الملائم القاسي المعروف بإقامة الحدود، والذي تخلى عنه الأمويون منذ ثلاثة عشر قرناً خلت...، وينبغي أن يُركز الجهد على ميدان قانون الأحوال الشخصية الشاسع، والذي ما زال خاضعاً لصبغة عتيقة وتنصيعات قرآنية، فينبغي تخليص ما يُعرف بقوانين الميراث وتشريع الزواج وحتى التشريع الجنسي من عبء الفقه وإخضاعه لمقولات العقل العالمي.. ويجب قبل كل شيء أن ينتهي العمل في كل مكان بطلاق المرأة حسب شهوة الرجل، وأن تُضمن لها المساواة في حقوق الإرث، وأن يقع العدول عن تعدد الزوجات، ويرتبط بهذه الأمور تدخل العقلنة في تشريع المواريث، حيث يجب القضاء على العناصر المتعلقة بالقبلية؛ بصفتها مخلفات للمجتمع العربي القديم"[2].

ويقول –مبرراً الدعوة إلى الانفصال بين الدين والدولة في الإسلام-: "كان لنزعة الإسلام الماضية إلى التدخل في نسق الكائن البشري ما يبرره، وهو منطق ديني صارم وطموح مثالي عميق. وبما أن هذا العمل التربوي التوحيدي قد تم، وحيث أن على الطبقة التحتية الماورائية الدينية أيضاً أن تتخلى عن احتكار الحقيقة على الأقل، فإن هذا الانفصال ممكن وضروري في آن واحد. وبذا يحافظ التشريع الديني في مثل هذا الأفق على كامل قيمته الإمكانية، أما المجتمع فإنه سينمو طبق مقاييسه الخاصة في المرحلة الراهنة من

---

(1) الشخصية العربية الإسلامية والمصير العربي ص 112، ط الثانية 1990م، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان .

(2) المرجع السابق ص 115.

مصيره، لا عملاً برؤية مسبقة لآخرة تكون هي الحياة الحق"[1]، ليس هذا فحسب بل يرى أنه "ينبغي أن يشمل هذا الانفصال ميادين أخرى من الحياة الاجتماعية كالأخلاق... فلابد من الوصول إلى تحرير الأخلاق الملموسة من وطأة الأخلاق الدينية؛ من حيث ضيقها وتشددها"[2]. ويرى "أن الرسول جمع في شخصه بين سلطة الرسالة وسلطة الدولة، لكن الخلافة الراشدة تطورت بعد موته إلى ملوكية عادية"[3].

ويدعي أن "السلفية" تحصر مفهوم "العلم" في العلم الشرعي فقط وتنكر ما عداه؛ ولا سيما العلم المادي الحديث الذي تُدينه وترفضه، لأنه –في نظرها- غير يقيني ويقود إلى الإلحاد، كما يدعي أنها ترى اشتمال القرآن على كل علم، وتقديم الدين إذا ما تعارض مع العلم. فنراه يقول مصوراً موقف السلفية –الماثل الآن في الصحوة الإسلامية- من العلم: "من منطلق إسلامي بما أن المتعالي وهو

الله تجلى في التاريخ، وبما أنه يعلو على العالم المادي الذي هو زائل وفان وليس بذي قيمة في ذاته، فإن العلم الوحيد الحقيقي هو العلم بالله وبكلام الله وبسنة نبيه التي تكمله وتتممه، وإذا كانت هناك قوانين تسير العالم المادي فالله وحده يعلمها، وهو الذي سطرها ويطبقها، ولا حاجة للمؤمن بأن يهتم إذن باستكشافها؛ إذ العالم ليس إلا مجالاً لنشاط الله المستمر ولنشاط الإنسان المتعبد والذي خُلق لكي يعبد الله، ويجب التأكيد على أن مفهوم (العلم) كان يعني في القرنين الأول والثاني العلم بصفة نقلية بالنصوص المقدسة؛ أي بالقرآن والسنة وأكثر فأكثر بالسنة خاصة، وهو مفهوم يتجابه مع مفهوم الفقه الذي كان يعني جانباً من ممارسة (الرأي)، فعندما يتكلم ابن سعد في (الطبقات) عن فلان واصفاً إياه بأنه (غزير العلم)، فقد كان قطعاً يريد إشعارنا بأنه غزير المعرفة بالحديث الصحيح. ثم

(1) المرجع السابق ص 115 – 116.
(2) المرجع السابق ص 116.
(3) المرجع السابق ص 119.

تطور المفهوم إلى أن أصبح يستوعب العلم بكل جوانب الشريعة من قرآن وحديث وفقه، ولا يضم غيرها من فروع المعرفة"[1].

ويقول أيضاً: "إن الإسلام الأولي الصافي لم يشأ أن يهتم لا بالحكمة ولا حتى بغيرها من أصناف المعرفة، وإن كان حقاً أن أصحاب الصحوة الإسلامية إنما مطمحهم الرجوع إلى إسلام القرن الأول، فمن حقهم أن يعتبروا أن لا وجود لعلم إسلامي غير علم الشريعة"[2]، ويقول كذلك: "في خصوص العلم المادي الغربي الصحوة الإسلامية تدينه لكونه علماً مادياً يجسر إلى الإلحاد وأنه علم غير يقيني، وعلى كل حال فالقرآن يحوي كل علم، وإذا ما تغرب العلم والدين فكلام الله يعلو عليه"[3].

نظرة شرعية في أدب فدوى طوقان

ترجمتها[4] :

- ولدت في نابلس في فلسطين، عام 1917م.
- تلقت تعليمها الابتدائي في نابلس، لكنها لم تتم تعليمها الثانوي، ولم تدرس دراسة أكاديمية لظروف اجتماعية، فتعهدها شقيقها إبراهيم بالرعاية والتثقيف الذاتي.
- التحقت عام 1962-1963م بدورات تعليم اللغة الإنجليزية والأدب الإنجليزي، في أكسفورد بإنجلترا.
- شاركت في عدد من المؤتمرات الأدبية، والمهرجانات الشعرية في الوطن العربي والخارج، مثل: مؤتمر السلام العالمي،

---

(1) بحث (الصحوة الإسلامية والثقافة المعاصرة) ص 286-287 بتصرف يسير، وهو بحث قدمه هشام جعيط إلى ندوة (الصحوة الإسلامية وهموم الوطن العربي) التي عقدها منتدى الفكر العربي بعمان بالأردن عام 1987م، ط الأولى 1988م.

(2) المرجع السابق ص 287 بتصرف يسير.

(3) المرجع السابق ص 287.

(4) مستفادة باختصار من : "أعلام الأدب العربي المعاصر" لكامبل (848-851). و" موسوعة أعلام المبدعين العرب" للدكتور خليل أحمد خليل (717/2-722). وكتاب "فدوى طوقان: شاعرة أم بركان" لهيام الدردنجي (ص 43 وما بعدها). وكتاب "فدوى طوقان: نقد الذات، قراءة السيرة" لريم العيساوي (ص 115-117).

ستوكهولم –السويد، مؤتمر الكتاب الإفريقيين الآسيويين، بيروت-لبنان.

- عضو مجلس أمناء جامعة النجاح في نابلس، وهي التي وضعت نشيدها الرسمي.

آثارها الشعرية:

1- ديوان "وحدي مع الأيام" دار النشر للجامعيين – القاهرة 1952م.
2- ديوان "وجدتها" –دار الآداب – بيروت 1957م .
3- ديوان "أعطنا حبًّا" –دار الآداب –بيروت 1960م .
4- ديوان "أمام الباب المغلق" –دار الآداب –بيروت 1967م.
5- ديوان "الليل والفرسان" –دار الآداب- بيروت 1969م.
6- ديوان "على قمة الدنيا وحيدًا" –دار الآداب –بيروت 1973م.
7- ديوان "تموز والشيء الآخر" –دار الشروق – عمّان 1989م.

-ترجمت منتخبات من شعرها إلى اللغات الأخرى، كالإنجليزية، والفارسية، فقد ترجم لها الدكتور "إبراهيم داود" إلى الإنجليزية تحت عنوان: Selected Poems of Fadwa Tuqan، منشورات جامعة اليرموك الأردنية، 1994م، وترجم "علي رضا نوري" بعض قصائدها إلى الفارسية في كتابه "حماسة فلسطين" –(طهران 1349هـ)، وترجم الدكتور "غلام حسين يوسفي"، والدكتور "يوسف بكّار" قصيدة "وجدتها" إلى الفارسية في كتاب "مزيده أي أثر شعر عربي معاصر"، (مختارات من الشعر العربي الحديث) – منشورات سبرك- طهران 1991م.

آثارها العلمية والنثرية:

1- أخي إبراهيم (نشرته أولاً بالمكتبة العصرية في يافا عام 1946م، ثم أعيد نشره كتصدير لديوان إبراهيم بطبعاته المختلفة) .

2- رحلة جبلية.. رحلة صعبة: سيرة ذاتية (نشر دار الأسوار – عكا، 1985م، ونشرته دار الشروق، عمّان 1985م)، وترجم إلى الإنجليزية.
3- الرحلة الأصعب: سيرة ذاتية –دار الشروق- عمّان، 1993م.

انحرافاتها :

تعد فدوى طوقان واحدة من رؤوس المتحررات في بلاد الشام؛ حيث سخرت قلمها في سبيل الثورة على أحكام الشريعة التي تسميها مخادعة "بالعادات والتقاليد" كشأن أمثالها من المتمردين والمتمردات .

فأبرز ما يطالعه القارئ في حياتها هو تململها من حال المرأة المسلمة، وتذمرها من الأحكام الشرعية المتعلقة بها، مع الخلط بينها وبين العادات الجائرة التي ما أنزل الله بها من سلطان، حيث سلطت على الجميع نقدها وثورتها.

وليتها اكتفت بنقد العادات المخالفة لشريعة الإسلام مما كان يعج به العالم العربي زمن شبابها، لكانت أحسنت وأجادت، ولكنها لتشبعها بروح التمرد ثارت على الصالح والطالح، وأقحمت شرائع الإسلام بتقاليد وعادات أهل ذاك الزمان.

وحال فدوى طوقان ليس ببعيد عن حال أقرانها من الكتاب والأدباء الذين حين تفتحت أذهانهم بالعلم والثقافة وجدوا مَنْ حولهم غارقًا في الخرافة والجهل؛ حيث كان التصوف ضاربًا أطنابه في ديار الإسلام، صادًا للنبهاء والمثقفين عن الدين الحق، بما يمارسه أتباعه من شعوذات ودجل واستغلال لعامة الناس، فانصرفوا بسببهم عن كل ما يمت للدين بصلة، واستعاضوا عن ذلك بتبنيهم للأفكار القومية والثورية التحررية.

وأنا لا أقول هذا اعتذارًا لهم؛ لأن المسلم مطالب باتباع الكتاب والسنة أينما كان، لا يصرفه عن ذلك جهل من حوله وابتداعهم.

الحاصل: أن فدوى طوقان كانت من هذه الفئة التي انصرفت عن الدين لما رأت سلوك وجهل من يدعي التدين من أفراد أسرتها؛ كجدتها الصوفية! .

ولنستمع إلى شيء من أقوالها التي ذكرتها في سيرتها الذاتية "رحلة جبلية.. رحلة صعبة" تشهد بما ذكرته من تذمرها من حال المرأة، وبغضها لمن تسبب في كبتها –كما تزعم- .

أقوالها عن أسرتها وحياتها الأولى :

-تقول عن أمها: "ليس لي مكان في ذاكرتها .. هنا كنت أشعر بشعور غير مريح، ولكنني لم أكن أستطيع توضيحه" (ص21).

وتقول عنها مدعية أنها تعيش حالة من الشقاء: "حين كبرت عرفت مصدر ذلك الشقاء الخفي؛ إنه الحصار والقهر الاجتماعي المفروض على المرأة" (ص 25).

وتقول عن جدتها: "كانت عندها مقاييس الحلال والحرام، اللائق وغير اللائق، عجيبة غريبة. لقد كانت تصرخ في وجهي إذا رأتني مرتدية ثوباً قصيرًا: هيا.. شمري عن فخذيك أكثر.. ستدخلين جهنم أنت وأمك التي خاطت لك هذه الملابس المشينة!

وكان هذا يشوش صفاء طفولتي وبساطتها. كما كان يبلبل عقلي الصغير.. أمن أجل ثوب قصير يدخلني الله جهنم مع أمي؟ وأتخيل الله ربًا قاسياً رهيبًا لا يرحم" !! (ص 37).

وتقول عن أبيها: "لم أكن أحمل لأبي عاطفة قوية، بل ظل شعوري تجاهه أقرب ما يكون إلى الحيادية ...الخ" (ص 135)

وتقول عن أخيها لما رآها تغازل !: "أصدر حكمه القاضي بالإقامة الجبرية في البيت حتى يوم مماتي، كما هددني بالقتل إذا أنا تخطيت عتبة المنزل" (ص55) .

وتقول عن أبيها الذي اكتشفها وهي تدخن!: "العاصفة الغاضبة التي أثارها في وجهي ساعة دخل الغرفة ذات يوم ووجدني متلبسة بجرم تدخين السجائر" (ص 129).

أما تذمرها من حالها فتقول: "في الفترة ما بين الثلاثينات والأربعينات لم يكن يُسمح لي بالخروج من المنزل إلا بصحبة بعض أهلي –أمي مثلاً أو عمتي وأخواتي وبنات عمي- لم يكن

هناك من متنفس غير الزيارات. ولم يكن هذا الجو يستهويني على الإطلاق" (ص 114).

"لقد كنت معزولة عزلة تامة عن الحياة الخارجية" (ص 132).

"كان والواقع المعاش في ذلك (القمقم الحريمي) مذلاً مهينًا، حيث تعيش الإناث وجودها الهزيل القاتم" (ص 129).

"في هذا البيت وبين جدرانه العالية التي تحجب كل العالم الخارجي عن جماعة (الحريم) المؤودة فيه انسحقت طفولتي وصباي وجزء غير قليل من شبابي" (ص 40).

"هذا العالم الذي كنت أعيش فيه ظل شديد الوطأة على نفسي، حتى لقد سيطر علي الشعور بالعبودية والقسر" (ص 95).

"إن المرأة القروية كانت تملك حرية الحركة بشكل أفضل وأكثر فعالية؛ بفضل سفورها..."! (ص133)

"ظل العزف والغناء بالنسبة لي تعبيرًا ومخرجًا رمزيًا لحاجاتي العاطفية المكبوتة... كنت أجد في الموسيقى والغناء – سواء في الاستماع إليها أو في ممارستها- تنفيسًا للتوتر الذي أعانيه" (ص 38).

"ظلت الموسيقى حتى اليوم تشعرني بالصفاء الروحي" (ص 67).

"عكفت على العزف على العود والغناء" (ص 81)، وفيها أيضاً أنها كانت تعزف العود بتشجيع من أخيها إبراهيم!

حياتها بعد التحرر:

تقول عن حياتها في القدس بعيدة عن أهلها: "كنت فرحة بعالمي الجديد، سعيدة ببعدي عن نظام الأسرة الصارم... إلى جانب هذا كله كانت هناك المكتبات العامرة، ودور السينما، والحفلات الغنائية العامة.. الخ" (ص 122).

"كان المجتمع المحيط بي مجتمعًا متحررًا" (ص122)

"النادي الثقافي المختلط الذي أسسه الدكتور وليد قمحاوي مع بعض الشباب الواعي (!) ... كنت واحدة من أعضاء النادي" (ص 143).

مدحها للإنجليز وبلادهم :

ومما يحزن المسلم أن هؤلاء الإنجليز الذين تمدحهم فدوى هم من تولى كبر التمكين لليهود في بلادها !!

تقول فدوى: "ليس هناك أجمل من الشعور بالحرية والتحرر من المنغصات المحيطة، تلك المنغصات التي يستحيل الفكاك من براثنها إلا بالبعد الجغرافي. لقد عرفت في إنكلترا فرحة السجين بلحظة الخروج إلى الفضاء والنور"

وتقول (ص 194): "كان أكثر ما أحببته: ذلك الطابع الإنكليزي المتجسد في الصوت الخفيض في أثناء الحديث، وفي الصمت المخيم في الأماكن العامة؛ كالحافلات وصفوف الانتظار...أما الحب فعلى قارعة الطريق، في الحدائق، في السينما، في كل مكان، والقبلة بين الجنسين سهلة التناول.." !! الخ مديحها لمن احتلوا ديارها وأهانوا أهلها وإخوانها، فالحمد لله على نعمة الإسلام والاعتزاز به.

نظرتها للدين وشيء من أفكارها :

-تقول الباحثة هيام الدردنجي: "ظلت فدوى تنظر إلى الدين كمجموعة من الطقوس، ولم نر أي أثر للإيمان الديني في أشعارها"[1]

وتقول فدوى عن نفسها : "لست متدينة، ولا أهتم بالطقوس. صلتي بأمور الدين وكتبه ليست متينة الروابط" (ص 219).

"إن قوى الشر؛ سواء أكانت غيبية أم اجتماعية أم سياسية تقف دائماً ضد الإنسان وتعمل على تحطيمه" (ص 10).

(1) فدوى طوقان: شاعرة أم بركان؟، (ص 62).

"انجـذبت بطبيعتـي التشـاؤمية إلـى الشخصـيات القلقـة المتشككة"(ص 154).

"كان كتاب (العهد القديم) من الكتب التي أعود إليها بين حين وآخر" (ص155).

"كان سلامة موسى والعقاد والمازني من الكتاب الذين فتحوا ذهني وعلموني ما لم أعلم.." (ص 153).

"مع سقوط أنظمة الحكم الرجعية في مصر وسوريا تنامت الحركات الشعبية في مصر والعراق، وبدأ الفكر الاشتراكي والماركسي يوغل في ضمير الشعوب العربية موجهًا كفاح الإنسان العربي ضد السيطرة الاستعمارية من جهة، وضد مفاهيم المجتمع التقليدي من جهة أخرى" (ص 142).

"الرجعية العربية تزداد قوة يومًا بعد يوم بفضل انبثاق الثروة في بقع من الرمال... والتقدمية العربية (!) لم تزل طفلة تفتقر للأسلوب والنظام" (ص232).

-وأخيرًا تقول فدوى : "أحس بعبث الحياة وانعدام غايتها" (ص217).

"بدت لي الحياة اعتباطية" (ص213).

"لم أكن يومًا راضية عن حياتي أو سعيدة بها" (ص 9) .

ولهذا فقد حاولت الإنتحار مرتين ! (انظر: ص 57 و135 من سيرتها).

وصدق الله القائل **(ومن لم يجعل الله له نورًا فما له من نور)**.

انحرافات متنوعة في ديوانها[1] :

1-اعتراضها على القدر:

تقول (ص32):

---

(1) الصادر عن دار العودة ببيروت .

أرحمة الله بعليا سمـــاه تقول أن يكتظ جوف الثرى؟
ويحرم المعوز قوت الحياة في عيشه المضطرب الأعسر

وتقول (ص33):

أليس في قدرته القادرة أن يمسح البؤس ويمحو الشقاء!
أليس في قوته القادرة أن يغمر الأرض بعدل السماء!

وتقول (ص 56):

النور أين النور هل قطرة تسيل منه في دجى يأسها
من أين والأقدار قد جففت منابع الأضواء من نفسها

وتقول (ص 261):

عام قريب، كانت حياتي قبله، شبحًا يدب على جديب، متعثرا بالصخر، بالأشواك، بالقدر الرهيب..

2-تأثرها بالمصطلحات النصرانية :

وقد بينت في بحث سابق تأثر أدباء الحداثة بالرموز النصرانية؛ نظرًا للفراغ الروحي الذي يعيشونه بسبب انصرافهم عن الإسلام وضعف تأثيره في نفوسهم؛ إضافة إلى اتخاذهم من أدباء الغرب النصارى قدوة لهم.

تقول فدوى (ص173):

وراحت تعانق جرح الحمى حمانا المسمَّر فوق الصليب

وتقول (ص 359):

هناك وراء الوراء بأعماق ذاتي هنالك يرسب شيء خفي
يظل خفيًا ولا شكل له يظل قويًا ولا لون له
يوجه سيري يخط دروبي ويرفع بين يديّ صليبه

وتنشئ قصيدة تسميها (إلى السيد المسيح في عيده) (ص499-501) تتوسل فيها إلى المسيح عليه السلام أن يحل قضية فلسطين !!

3-التشاؤم :

تقول (ص 131):

ماذا أرى؟ هذاك بوم غريب منطلق، جهم المحيا، وقاح
يحوم في الروضة حومًا مريب غدوّه متهم .. والرواح

4-امتهانها للفظ العبادة:

تقول (ص460):

فمن أي الكهوف بزغتَ
يا وجهًا عبدناه ..

5-تأثرها بالقومية وبعرابها الهالك جمال (الخاسر) الذي دبجت في رثائه قصيدة طويلة سمتها: "مرثية الفارس" (ص 602-605).

ألفاظ وقصائد كفرية :

1-تقول فدوى في إحدى قصائدها (ص 589):

وتلعلع في طيات السحب الرعدية
ضحكات الرب !

2-وتقول عن ممدوحها (ص 361):

اسمك لي
يا كلمة ماتني
تجاور اسم الله في قلبي !

3-وتكتب قصيدة بعنوان: "الإله الذي مات" ! (ص391-394).

4-وتكتب قصيدة أخرى بعنوان "الباب المغلق" (ص 441-450) تملؤها بالألفاظ الشنيعة التي تخاطب بها الله عز وجل، موحية إلى القارئ بأنه تعالى لا يستجيب لها، وأنه "مغلق أبوابه" أمامها، فلا جدوى من عبادته حينئذٍ!! إن لم يكن في نظرها خرافة! وقد حق فيها قوله تعالى (**نسوا الله فنسيهم**) .

فتأمل بعض كلمات قصيدتها القبيحة لتعلم ما سبق: تقول:

يا ملك الدنيا والناس
فسّر لي معنى أفعالك
كنت حبيبي، ملكي الأوحد
لا ألزم إلاَّ أعتابكَ

لا غير رحابك لي معبد
كنت حبيبي في قلبي
أحضن وجهك كل مساء
فإذا رفَّ على عينيَّ جناح الصبحْ
ألفيتك تملأ في قلبي تجويف القلب
تغمره بالدهشة، بالفرحْ
لكن أنت تغيّرتْ
لكن أنت تغيّرتْ
فاهتزَّت أعمدة المعبد
وانهارت قبب الأجراس

مات الملك

هوى، هوى عرش الملك
ومات في أنقاضه الملك
ليسقط الملك
ليسقط الملك (!!)
إلى أن تقول:
هل تسمعُني يا ربَّ البيت
أنا بعد ضياعي في الفلوات
بعيداً عنك أعود إليك
لكنَّ رحابك مغلقةٌ
في وجهي، غارقة في الصمتْ
لكنَّ رحابك كاسية
بتراب الموت
إن كنت هنا فافتح لي بابك لا –
تحجب وجهك عني
وانظر يتمي وضياعي بين –
خرائب عالمي المنهار
وعلى كتفي أحزان الأرضِ –
وأهوال القدَر الجبار

لا شيء هنا

عبثاً، لا رجع صدى لا صوت
عودي. لا شيء هنا غير الوحشة –
والصمتِ وظلّ الموت"

وبعد هذه الجولة في انحرافات هذه الشاعرة الحداثية المتحررة أيليق بإحدى الباحثات المسلمات أن تقول عنها :

"لقد أضاءت فدوى دروب الحياة للناس، وقدمت أنموذجًا كيف يمكن للذات أن تتجاوز العقبات والتحديات"[1] !!

لقد أساءت هذه الباحثة لنفسها، ولبست على الفتيات المسلمات وغررت بهن بترويج هذا النموذج المتحرر بينهن، وكان لها في الصالحات وعلى رأسهن أمهات المؤمنين غنية. وصدق الله تعالى **(أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير)؟**

أسأل الله الهداية والتوفيق لنساء المسلمين، وأن يصرف عنهن كيد الأشرار، وأن يسلك بهن سبيل الأبرار.

والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .

نظرة شرعية في ثلاثية تركي الحمد

(1) "فدوى طوقان: نقد الذات، قراءة السيرة" للباحثة ريم العيساوي –هداها الله- طبع: أندية الفتيات بالشارقة!!

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده :

كنت قد كتبت قبل حوالي ثلاث سنوات رسالة مطولة عن فكر وأدب تركي الحمد، ولكن لم يتيسر طبعها في حينه، إنما وجدتْ الانتشار –ولله الحمد- على شبكة الإنترنت بناء على طلبٍ من إخوة كرام رأوا في ذلك حلاً مؤقتاً للتصدي لانحرافات هذا الرجل. ثم بعد ذلك اقترح البعض أن تُخْتصر تلك الدراسة ويُكتفى منها بما ذكرته عن "ثلاثيته" لسببين وجيهين؛ هما:

1- أن "ثلاثيته" هي سبب شهرته بين الناس، ولولاها لما راح ولا جاء.
2- أن تأثير القصص في الناس أشد من تأثير المقالات الفكرية التي يعسر فهمها على كثيرين.

لهذا قمت بالاقتصار في هذه الرسالة على الحديث عن "الثلاثية" وما فيها من مضامين خطيرة يُسْتغرب صدروها من رجل يدعي الإسلام.

أما فكر الرجل ففي ظني أنه لا يستحق مزيدًا من الاهتمام؛ لعدم ثباته على مبدأ واحد، بل هو يتقلب تقلب الليل والنهار! فبينا تراه بعثياً يعلي قيمة الفكر الاشتراكي، إذا بك تجده بعدها مفكرًا قومياً، ثم تفاجأ به عن قريب قد انقلب كاتباً ليبرالياً ! ثم رابعةً كاتباً نفعيًا يدور مع مصلحته الخاصة.. وهكذا؛ فهو كما قيل:

يوماً يمانٍ إذا لاقيت ذا يمن وإن لقيت معدياً فعدناني!

والله يقول عن أصحاب هذا التلون والتردد: "**مذبذبين**" لا يثبتون على رأي بل يدورون مع أهوائهم.

والملاحظ في كتابات الدكتور تركي الحمد –هداه الله- استكباره عن الحق، ومراغمته لأهله، ورضاه بأن يتقلب بين تلك المذاهب والمبادئ دون أن يكون لدعوة الكتاب والسنة نصيب من ذلك.

ومن يتأمل تلك الكتابات يجدها تدور حول هذه الأفكار التي تتردد عنده كثيراً:

أولها: تشنيعه على العاملين للإسلام في هذا الزمان، وتسميتهم –ظلماً وزورًا- "بالإسلامويين"، ومحاولة إقامة الحاجز بينهم وبين عامة المسلمين. وتصويرهم بأنهم لا يمثلون الإسلام الصحيح. وكان الأولى به أن يعترف بفضلهم وبجهودهم ويشكرها لهم، ويقبل ما عندهم من الحق. أما ما خالفوا فيه الكتاب والسنة فيُرَدُّ عليهم.

ثانيها : ادعاؤه المتكرر بأن الحق المطلق لا يمتلكه أحد! وهذا –في ظني- من تأثير "الذبذبة" التي لازمت مواقفه. لأن هذا التنقل بين أهواء البشر أورثه شكاً فيها جميعاً، بعد أن خبرها وعرف المآخذ عليها. ثم نظر إلى دعوة الكتاب والسنة نظرته لتلك الأهواء![1]

ثالثها: أنه يخلط بين أمر "الدين" وأمر "الدنيا"، فمن كان متقدمًا في أموره "الدنيوية" كان عند الحمد المقدَّم في جميع الأمور ! وأصبحت "ثقافته" أو "حضارته" أولى بأن تحتذى من الآخرين.

وهذا الخلط جعله يهوي في دركات الضلال عندما فضل الثقافات الأخرى على دين "الإسلام" وإن كان يستر هذا الأمر العظيم بعدم استعماله كلمة "الإسلام" عند المفاضلة !

معارضاً بهذا حكم الله تعالى في قوله **(ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يُقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين)** وأنه تعالى قد ارتضى هذا الدين لعباده. وختم رسله بمحمد صلى الله عليه وسلم، وكتبه بالقرآن فمن ارتضى غير ذلك فهو لا شك من أكفر الكافرين.

أما تخلف المسلمين في أمر الدنيا فلا شأن للإسلام به، إنما هو من عند أنفسهم عندما انصرفوا عن الأخذ بأسباب العلم والقوة وغرقوا في الخرافات والخزعبلات؛ حتى فاتهم الدين الصحيح والدنيا المتقدمة، إلا من رحم الله.

فأمر الدنيا كلأٌ مباح لجميع البشر؛ كما قال تعالى: **(كلاً نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظوراً)**. فمن

---

(1) مقولة "الحق المطلق لا يمتلكه أحد" هي من المقولات "الكفرية" المعاصرة التي تسربت إلى عقول بعض المسلمين من مفكري الغرب، وقد وضحت ذلك في بحث بعنوان "أفكار عصرانية" أسأل الله أن ييسر نشره قريباً.

بذل أسبابها حصّلها بإذن الله، ولهذا تجد المتقدمين دنيوياً في عالمنا أصحاب أديان ومشارب شتى لا يختص الأمر بدين أو ثقافة محددة.

وليعلم الحمد بعد هذا أن التقدم الدنيوي لا يغني عند الله شيئاً ما لم يقترن ذلك بالدين الصحيح، وقد أهلك سبحانه كثيرًا من الأمم السابقة التي أعرضت عن الحق وكفرت به مع إخباره عنها بأنها قد بلغت شأناً عظيماً في أمور الدنيا. قال سبحانه لنبيه صلى الله عليه وسلم : (**وكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك أهلكناهم**).

الخلاصة: أن من أراد دراسة فكر الرجل ورغب في الرد عليه فلعله لا يغفل عن هذه الأمور الثلاثة التي ذكرتها، وهي ما يمثل معالم فكره .

والله أعلم ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه (أجمعين) .

تعريف بتركي الحمد [1]

هو : تركي حمد التركي الحمد ، المشهور بـ(تركي الحمد) من أسرة قصيمية انتقلت إلى المنطقة الشرقية ، وسكنت الدمام ، وكان والده يعمل في شركة (أرامكو) .

- من مواليد 10 /1952/3م الأردن ، الكرك " العقيلات " .
- درس الإبتدائية والمتوسطة والثانوية في مدينة الدمام .
- حصل على البكالوريوس في الاقتصاد والعلوم السياسية من جامعة الرياض عام 1975م .

---

(1) نقلاً عن المقابلة التي أجرتها معه قناة اقرأ الفضائية في يوم 1419/8/13 هـ ، ومجلة "فواصل "(العدد 50) وقد وصفته هذه المجلة - هدى الله القائمين عليها - بأنه " أحد الذين بنور أفكارهم تستضيئ العقول ، وأحد الذين بلمعان جواهرهم تنير الآفاق " !!! ومن كتب هذا الكلام حريّ به أن يقرأ هذا الكتاب الذي يبين له حقيقة هذا المفكر المنير للعقول ! لعله يتراجع عن مدحه السابق امتثالاً لقوله تعالى : { لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوآدون من حآد الله ورسوله }

ـ ثم سافر إلى الولايات المتحدة لمدة عشر سنوات كاملة ! حصل منها على الماجستير في العلوم السياسية من جامعة (كلورادو) عام 1979م .
ـ ثم حصل على الدكتوراه في العلوم السياسية ـ أيضاً ـ عام 1985م ، من جامعة جنوب كاليفورنيا .
ـ عمل أستاذاً للعلوم السياسية بجامعة الملك سعود منذ عام 1985م إلى عام 1995م.
ـ ثم طلب التقاعد المبكر ليتفرغ للكتابة. ![2]

مؤلفاته :

1- الحركات الثورية المقارنة عام 1986 م
2- دراسات أيدلوجية في الحالة العربية عام 1992م
3- الثقافة العربية أمام تحديات التغيير عام 1993م
4- عن الإنسان أتحدث 1995م
5- رواية ثلاثية بعنوان (أطياف الأزقة المهجورة)
   أ ـ العدامة .
   ب ـ الشميسي .
   ج ـ الكراديب .
6- كتاب (الثقافة العربية في عصر العولمة) .
7- رواية بعنوان (شرق الوادي) [3]
8- السياسة بين الحلال والحرام، (مجموعة مقالات).

ـ له العديد من المشاركات الصحفية عبر المقالات ، كمقالاته الأسبوعية في جريدة الشرق الأوسط ، أو مقالاته في جريدة الحياة ، أو مجلة الاتصال، وغيرها من المجلات السعودية وغير السعودية .

---

(2) سألت مجلة "فواصل " تركي الحمد عن سبب طلبه للتقاعد المبكر من الجامعة وتفرغه للكتابة ، فقال : "لأني شعرت أنني أستطيع أن أنتج فكرياً خارج الجامعة أكثر مما لو بقيت داخل الجامعة ، وأنا أقول لكم بصراحة شديدة جداً : إن الجامعات العربية بشكل عام تحولت إلى نوع من القيد على الفكر ... " !! فما هو هذا (الفكر المقيد) الذي يريد تركي التفرغ له ونشره بين الناس !؟ هذا ما ستعرفه ـ إن شاء الله ـ.

(1) صدرت قريباً وهي رواية رمزية مغرقة في الغموض، ولأجل هذا لم يستطع الدكتور غازي القصيبي نفسه فهمها! كما صرح بذلك للمجلة العربية .

ثلاثية تركي الحمد

ثلاثية تركي الحمد تسمى (أطياف الأزقة المهجورة) وهي من ثلاث حلقات متسلسلة تحكي قصة بطل واحد هو (هشام العابر) .
الحلقة الأولى : بعنوان (العدامة)[1]
الحلقة الثانية : بعنوان (الشميسي)[2]
الحلقة الثالثة : بعنوان (الكراديب)[3]

1 ـ العدامة :
بطل هذه الثلاثية هو (هشام بن إبراهيم العابر) شاب صغير السن يعيش مع والديه في مدينة الدمام في فترة الثمانينات الهجرية . وأما اصلهم فيعود إلى القصيم! .
وكان هذا الفتى الصغير مولعًا بالقراءة ومتابعة مايدور حوله من أحداث وأفكار في تلك الفترة الصاخبة بالشعارات ، فاعتنق لأجل هذا الفكر القومي الماركسي الذي كان متوهجاً ساحراً لكل متفتح على الحياة ، لا سيما بعد نجاح هذا الفكر (على اختلاف درجاته) في الاستيلاء على البلاد العربية، مما زاد من رصيد معتنقيه الذين رأوا فيه خير موحد للأمة العربية التي مزقها الاستعمار .

---

(1) وسأعتمد على الطبعة الثانية الصادرة عام (1998م) عن دار الساقي بلبنان . والعدامة حي مشهور من أحياء مدينة الدمام .
(2) وسأعتمد على الطبعة الأولى ، الصادرة عام (1997م)عن دار الساقي بلبنان . والشميسي شارع وحي مشهور في مدينة الرياض .
(3) وسأعتمد على الطبعة الأولى ، الصادرة عام (1998م) عن دار الساقي بلبنان ، والكراديب رمز للسجن .

لهذا : اعتنق هشام هذا الفكر وآمن به ، ثم استطاع أفراد تنظيم (حزب البعث بالسعودية !!) أن يضموه إليهم كعضو جديد في الحزب بعدما أعجبوا به وبأفكاره .

استمر هشام يحضر اجتماعات الحزب (السرية) ، ويشارك في نقاشاتهم وفي إعداد التقارير لهم عن الأحوال السياسية الجارية .

كما أنه استطاع أن يضم صديقه (عدنان العلي) إلى هذا الحزب ، إلا أنه برغم كل هذا يود التخلص من الارتباط بعضوية الحزب ، مع البقاء على أفكاره دون أن يشعر بأي تقييد .

سافر هشام إلى الرياض لتقديم أوراقه إلى كلية التجارة مؤملاً أن يدرس شيئاً عن الأفكار والأنظمة السياسية المختلفة . فاضطر للسكن في بيت خاله (المتدين) .

كان أولاد خاله يختلفون عنه كثيراً في أسلوب حياتهم وطريقة عيشهم ، حيث كانوا مقبلين على اللهو والتمتع بالحياة، ولم تكن الأفكار الفلسفية والأحداث السياسية تستهويهم لا سيما (عبدالرحمن) الذي تميز عنهم بحبه للمغامرات (النسائية) مع شربه للخمر (أو العَرَق) .

تغيرت أحوال هشام بسبب ابن خاله عبدالرحمن الذي أغراه بالتمتع بشبابه ومعاقرة الخمر والنساء، فانساق هشام معه تدريجياً إلى أن سقطت جميع المثل التي كان يراها في السابق من عينيه بفضل رعاية والديه له في الدمام . فأقبل على حياته الجديدة بنهم شديد وبعلاقات نسائية متتالية .

كان هشام قد سافر من قبل مع أهله إلى بلدهم الأصلي (القصيم) لزيارة جده وجدته .

وهناك تعرف هشام على (عبد المحسن التغيري) الذي عرَّف هشاماً على بقية زملائه من خلال (كشتات) البر . وهم (محمد الغبيرة) و(دعيس الدعيس) و(سليم السنور) و (صالح الطرثوث) و(مهنا الطعيري) وكانوا جميعاً من المهووسين بجمال عبد الناصر وبقوميته لا سيما (مهنا الطعيري) .

عاد هشام إلى الدمام مواصلاً ترقب أخبار الاعتقالات التي حدثت لأفراد الحزب والأحزاب والتنظيمات الأخرى المعارضة (

للحكومة السعودية) ومواصلاً أيضاً غزله المتبادل مع بنت الجيران (نورة) .

وبهذا انتهت الرواية الأولى من ثلاثية تركي الحمد .

لتبدأ بعدها أحداث الرواية الثانية (الشميسي) .

2 ـ الشميسي :

تكاد تكون أحداث رواية الشميسي مخصصة لحال هشام في مدينة الرياض، وهذا مايوحي به اسمها (الشميسي) الذي هو اسم شارع شهير في مدينة الرياض .

سجل هشام في كلية التجارة وانتقل إلى السكن عند خاله في الرياض ، وكثرت ملابسته للمحرمات من شراب ونساء بواسطة (عبد الرحمن) ابن خاله.

ثم ارتبط بعلاقة غير شرعية مع جارة خاله (سارة) أو (سوير) وأصبح يتردد عليها .

تفاجأ هشام بالتزام صديقه عدنان ، الذي اختار سبيل الخير مسلكاً له وارتبط مع شباب صالحين أثناء قدومه للدراسة الجامعية في الرياض ـ أيضاً ـ.

انتقل هشام للسكن في عزبة مع (عبد المحسن التغيري) الذي قدم الرياض من القصيم لكي يأخذ ـ أي هشام ـ حريته الكافية التي كانت مقيدة نوعاً ما في منزل خاله .

انتهت امتحانات نصف العام فذهب هشام إلى الدمام لزيارة أهله مواصلاً علاقته العاطفية مع (نورة) بنت الجيران بعد أن علم بزواجها .

رجع هشام إلى الرياض مواصلاً ـ أيضاً ـ مغامراته النسائية لا سيما مع (سوير) التي حملت منه !

جاء والده فجأة لزيارة الرياض لإخباره بأنه مطلوب من قبل رجال الأمن (المباحث) .

وبعد أخذ ورد قرر الوالد إخفاءه عن أعين الأمن عند أحد زملائه إلى حين استصدار جواز مزور له لكي يتمكن من الهرب

إلى بيروت[1] عن طريق البحرين ، ولكن رجال الأمن كانوا له بالمرصاد حيث قبضوا عليه وحققوا معه ثم قرروا ترحيله إلى جدة لمواصلة التحقيق (الجاد !) معه .

بهذا الحدث انتهت رواية الشميسي وهي الحلقة الثانية من ثلاثية تركي الحمد ، لتبدأ بعدها أحداث الحلقة الأخيرة من الثلاثية وهي رواية (الكراديب).

3- الكراديب :

هذه الرواية مخصصة لبيان أحوال هشام في السجن في جدة بعد أن حُقق معه ولكنه أبى الاعتراف بانتسابه إلى تنظيم (حزب البعث) ، فقرروا أن يلبث في السجن إلى حين ، حيث تعرف من خلال السجن على الشيوعي (عارف)، فبدأت بينهما نقاشات حول أفكار بعضهما مع شد وجذب ، لأن كل واحد منهما يؤيد فكرته لتصحيح الأوضاع.

اعترف هشام بما يريده السجانون فنقلوه من مكانه إلى مكان آخر أفضل منه. حيث تعرف ـ أيضاً ـ على (وليد) الذي يؤمن بالقومية كحل لأفراد الأمة ، و (عبد الله) الذي ينتمي إلى (الجبهة الديمقراطية) وهي جبهة منفصلة عن حزب البعث ، (ولقمان) الذي ينتسب إلى الإخوان المسلمين ! .

استمرت النقاشات بين هؤلاء الأربعة ، وكلٌ منهم يحاول أن يبين صحة نظرة واختياره هذا المسلك الذي سلكه ، وارتضاه دون غيره .

بعد مدة من الزمن تم الافراج عن هشام الذي عاد فوراً إلى الدمام ، ولكنه وجد كل شيء حوله قد تغير ولم يعد يحمل ذكرى الماضي لا سيما وأبوه قد انتقل إلى بيتٍ جديد بدل بيتهم القديم الذي عاش فيه سنيه الأولى .

بعد أخذ ورد قرر أهله أن يعود إلى مواصلة دراسته في الرياض ، فعاد إليها مندهشاً لمدى تغيرها عن عهده القديم بها ، في

---

(1) كانت ملجأ للمعارضين ذاك الزمان

مبانيها وفي أفرادها (وهو ينظر بعينين فقدتا بريقهما ، إلى أزقة كانت مأهولة ، فلم تعد إلا أزقة مهجورة تجوبها أطياف لاحياة فيها ، ولكنها لا تريد أن تموت) [1]، وبهذا انتهت أحداث الحلقة الأخيرة من ثلاثية تركي الحمد .

ملامح بطل الثلاثية : هشام العابر :

لنتبين ملامح (هشام العابر - أو تركي الحمد) في هذه الرواية سأقتطف بعض العبارات من الثلاثية تُكون لنا صورة متكاملة لشخصيته (صفاته وطموحاته):

1ـ هو شاب يحب القراءة : لاسيما قراءة الكتب (المحرَّمة) الفلسفية والماركسية .

(لقد خرج إلى الدنيا وهو لا يعرف إلا هواية واحدة ، ولذة واحدة هي القراءة، ويقرأ أي شيء ، وكل شيء تقع عليه يده) [2]

(أخذت القراءات الفلسفية والسياسية تجذبه كثيراً منذ أن أهداه أحد أصدقاء والده كتاب "طبائع الاستبداد ومصارع الإستعباد " لعبد الرحمن الكواكبي ، حتى أنه كان يقضي ليالي بطولها في قراءة النصوص الماركسية والقومية والوجودية وغيرها من التيارات الفلسفية والسياسية مما تقع عليه يده في المكتبات المحلية ، أو يحصل عليه مما هو غير متاح في المكتبات) [3]

(في المرحلة الثانوية أهمل الدراسة إهمالاً تاماً ، ولولا خشيته من جرح كبرياء والده وقلب أمه لما درس إطلاقاً ، وتفرغ لعالمه الجديد من القراءة واكتشاف النصوص المحرمة)[4]

(لم تعد الكتب المتوفرة في المكتبات المحلية ترضي شغفه بالعالم الجديد الذي اكتشف ، فكان في كل رحلة مع والديه إلى الدول المجاورة ، الأردن أو سوريا ولبنان يجلب معه بعضاً من تلك الكتب

---

(1) الكراديب (ص288)
(2) العدامة (ص9) .
(3) العدامة (ص9).
(4) العدامة (ص10) .

الممنوعة والمحرمة ، والتي تكون زاده المعرفي طوال الفترة اللاحقة) [1] .

(كان ينفق كل مصروفه على الكتب الماركسية غير المتاحة في بلده ، وخاصة مؤلفات آرنستوتشي غيفارا ، وريجس دوبريه ، وفرانز فانون ، بالإضافة إلى مؤلفات ماركس وانجلز وبليخانوف ولينين وترو تسكي وستالين ، التي تشكل الزاد الفكري الرئيسي .أما ما كان يهزه من الداخل فعلاً ، فقد كانت مؤلفات غيفارا التي كانت تدغدغ شيئاً ما داخل ذاته . كانت هذه الكتب ، بالإضافة إلى الأعمال الأدبية والروائية العالمية الخالدة ، تباع بأرخص الأسعار على أرصفة الشوراع في عمان ودمشق وبيروت ، وعلى عربات أشبه بعربات الخضار . التهم خلال رحلاته ، وبعد العودة ، كل روايات مكسيم غوركي خاصة ، وأهم الروايات الخالدة في الأدب الروسي عامة . قرأ " آنا كرنينا " و " البعث " لليو تولستوي ، " والجريمة والعقاب " "والأخوة كارامازوف " لفيدور دوستويفسكي ، و"الدون الهاديء" لميخائيل تشولوكوف . وقد أثارت فيه رواية " الأم " لغوركي أحاسيس وانفعالات عنيفة متداخلة ، من الغضب إلى الحماس إلى البكاء إلى العطف إلى القسوة إلى الرقة ، مما جعله يعيد قراءتها مرات ومرات. بكى عدة مرات مع العم توم في كوخه ، وعاش مع لانغ وزوجته في أرضهما الطيبة ، وتعاطف كثيراً مع مدام بوفاري بنفس القدر الذي حنق فيه على سكارليت أوهايرا . وكان يختلس لحظات طويلة يقرأ فيها ألبرتو مورافيا وبلزاك واميل زولا ، لا حباً في ذات هذه الأعمال دائماً ، ولكن بحثاً عن مشهد جنسي هنا ، أو وصف لعلاقة حميمة هناك ويتصور في لحظة حلم يقظة أنه البطل في كل هذه العلاقات. أما ذلك الوصف الأخاذ للحياة الاجتماعية في هذه الأعمال ، فلم يكن يهمه كثيراً ، إذ كان يعتقد أن الأدب الروسي لا يعلى عليه في هذا المجال كما قرأ بعض روايات تشارلز ديكنز ، وأعجبته خاصة " قصة مدينتين " ، التي اعتبراها

(1) العدامة (ص12)

، مع " الأم" أفضل أعمال يمكن كتابتها . كان ينفق مصروفه على هذه الكتب) [1].

2- هو يريد أن يكون مفكراً طليقاً ، لا يتقيد بأي دين أو مذهب سوى (العلم!) .

(يذكر ذات مرة أنه دخل في مجادلة مع مدرس الدين حول نظرية النشوء والإرتقاء لدارون ، حين شتم هذا المدرس النظرية واصفاً إياها بالفكر والإلحاد ، وشتم صاحبها واصفاً إياه باليهودية والمؤامرة اليهودية على الإسلام والمسلمين . يذكر يومها أنه قال للمدرس إن هذه النظرية إنتاج علمي ، والعلم هو سيد العصر شئنا أم أبينا . قد يخطىء دارون وقد يصيب بشأن أصل الإنسان وأصل الأنواع ولكن التطور حقيقة تفرض نفسها ، كما أن دارون ليس يهودياً لا أباً ولا أماً . يومها اتخذ منه مدرس الدين موقفاً عدائياً ، واصبح لا يناديه إلا بالفاسق . ولكن ذلك لم يكن يهمه كثيراً بل لم يكن يهمه على الإطلاق، مع ذلك الحماس وذلك الإنطلاق الذي وجده في عالمه الجديد)[2].

(أريد أن أكون مفكراً طليقاً ، لا مناضلاً سياسياً في تنظيم) [3].

3- هو ماركسي المذهب ، ليس كالماركسيين ، بل يحب المزج بين الماركسية والقومية العربية :

(أعجبته كتابات ياسين الحافظ وكذلك المنطلقات ، إذ وجد فيها مزيجاً أخاذاً ومثيراً من الماركسية والقومية . وجد فيها شيئاً كان يشعر أنه ينقص الكتابات الماركسية التي قرأ ، وكذلك الكتابات القومية على اختلافها . فقد سبق له أن قرأ " في سبيل البعث" لميشيل عفلق ، وبعض كتابات منيف الرزاز وصلاح البيطار ، والكتابات الناصرية القليلة مثل فلسفة الثورة ، لجمال عبد الناصر ، وكتابات أنور السادات حول ثورة يوليو وعبد الناصر ، وكذلك " بصراحة " محمد حسنين هيكل التي ينشرها في جريدة الأهرام كل

---

(1) العدامة (12-13) .
(2) العدامة (ص 14-15)
(3) العدامة (ص26) .

يوم جمعة ، ويستمع إليها من خلال إذاعة "صوت العرب " من القاهرة ، فقد كانت الأهرام ممنوعة من الدخول في بلده . كانت الكتابات الماركسية تركز على المسألة الاجتماعية والأممية ، وبقدر ما كان متحمساً للمسألة الاجتماعية ومؤمناً بها ، بقدر ما كان متردداً بشأن المسألة الأممية .إنه يشعر أنه قومي حتى النخاع ، والقومية تسري في عروقه . وتهزه خطابات جمال عبد الناصر ، وتثمله الشعارات القومية التي يطلقها البعثيون والناصريون والقوميون العرب . لكن رغم ذلك ، كان يحس أن هنالك شيئاً ناقصاً ، كان يشعر أن هؤلاء لم يعطوا المسألة الاجتماعية حقها من الإهتمام، وخاصة قضايا مثل الصراع الطبقي والإشتراكية العلمية والحتمية التاريخية . ولذلك اعتقد أن الفكر الماركسي ، رغم بعض التحفظات ، هو الذي من الممكن أن ينير الطريق ويعطي فلسفة متكاملة للحياة . أعجبته كتابات الحافظ والمنطلقات لأنها تمزج المسألة القومية بالإجتماعية . جامعة ما يشعر بميل إليه في فلسفة واحدة)[1]

(لا تعجبني أفكار عفلق والبيطار والرزاز . أعتقد أنها عاطفية أكثر من اللزوم ، رغم إيماني بإطارها العام . نحن بحاجة إلى فلسفة متكاملة . وأعتقد أن الماركسية هي الحل رغم النواقص التي من الممكن إكمالها) [2]

(إذا كان ما في المنطلقات هو فكر البعث ، فإني أجد نفسي فيه ، فهو يمزج القومية بالماركسية . . . وهذه هي قناعاتي) [3]

(أحس بالهلع والنفور من كل ما يمت إلى التنظيم وفكره بصلة . وبقيت علاقته الحميمية بالماركسية)[4]

هو يتبنى فكراً ماركسياً لا يعتقد بدور البطل في التاريخ ، بل هي التناقضات المادية والاجتماعية التحتية ، وانعكاساتها الفوقية السياسية والثقافية)[1]

---

(1) العدامة (61-62) .
(2) العدامة (63).
(3) العدامة (ص64) .
(4) العدامة (ص 224)

(الماركسية . . . هي الفكر العلمي الشامل القادر على منحنا مفاتيح التاريخ والمجتمع والسياسة ، ومن لديه هذه المفاتيح لا خوف عليه ولا هو يحزن) [2]

(الحقيقة أني ميال إلى الفكر الماركسي)[3]

(سوف يتعلم الماركسية على أصولها)[4]

(من قال لك إني شيوعي ؟ . . . أنا اشتراكي)[5] .

(أنا أميل إلى الماركسية ، ولكني لست شيوعياً)[6].

ولكن هشاماً برغم هذا الحسم (الماركسي) لتوجهه إلا أنه بقي متردداً متحيراً في أمره تصارعه أفكار شتى حول هذا الكون ، وخالقه ، وأحداثه ، مما لم يستطع أن يستوعبه فأصبح ينادي بتفاهة هذه الحياة وأهلها ، وعبثية أحداثها وأقدارها ، مع ترقب وتوجس لهجوم الموت (الغادر!) عليه :

(ليست الحياة إلا حفلة ماجنة يُدخن فيها الحشيش ويؤكل الخبز مغموساً بالنبيذ والعرق الراشح من أجساد أدمنت الجنس ، وأدماها الهوى ، ومزقت نفسها بوحشة أخلاقية .نحاول أن نضفي المثال والجمال على هذه الحفلة العابثة ، ولكن كل شيء ينكشف ولو بعد حين ، وتقف الحقيقة عارية من جديد ، كما ولدت عارية من قديم ... العدم يقف بالمرصاد ، والمجهول يتربص من بعيد ، والعجز يقيد المجتمع) [7]

(الموت قادم لا محالة .. إنه مصير ملموس ، وليس كمصير الأمة أو الطبقة، مشكوك فيه بقدر ما هو مشكوك في الأمة والطبقة ذاتهما . فلماذا الإحتياط ، ولماذا الخوف ؟ ... ولماذا هذه اللعبة السمجة ، لعبة القط والفأر ... ما نحن إلا ممثلون في مسرحية ،

---

(1) العدامة (ص 278)
(2) العدامة (283)
(3) العدامة (ص 57)
(4) العدامة (ص105)
(5) الشميسي (ص123) .
(6) الشميسي (ص24) .
(7) الكراديب (ص186)

وسواء طال دور أحدنا في هذه المسرحية أم قصر ، فإنه لايلبث أن ينتهي ، وتنتهي كل المسرحية في النهاية ...
ثم بعد تردد طفيف .

ـ ولو كان لي من الأمر شيئاً [1] في البداية ، لما اخترت الاشتراك في المسرحية من الأساس)[2].
(هل ما يجري هو حكمة خافية لاندريها ، أو أنه مجرد عبث اعتدنا عليه فأصبح نظاماً ، أم هو مزيج منهما ، أم لا هذا ولا ذاك ؟ أين المعنى في كل ذلك وما هو النظام ؟ لا أحد يدري ، ولن يدري أحد)[3].
(يالهذا الموت الجبان الغادر ... إنه يأخذ أجمل ما في الحياة ويضحك ويهجرنا حين نريده ، ويحل ضيفاً ثقيلاً حين لانريده ... ليت موسى لم يفقأ عين عزرائيل حين أتى لقبض روحه ، ولكنه قصم ظهره أو دق عنقه ... ولكن حتى لو مات عزرائيل ، هل يموت الموت ؟ ويقلع عن أفكاره هذه ويقتنع بأهمية الموت لا ستمرار الحياة ، ولكنه يكرهه ، ولا زال يعتقد بجبنه وغدره)[4].
(عليك الرحمة يابن آدم . ظننت نفسك أكرم الكائنات ، الذي طرد من أجله عابد الأزل من الرحمة والملكوت ، فاكتشفت أنك أتفه من ذبابة وأحقر من بعوضة، يا لك من معتوه يا ابن آدم ، أردت أن تكون إنساناً كما أراد لك من أنسنك ، ولكنك وجدت نفسك في عالم تداس فيه كصرصار تائه ، وتسحق فيه كذبابة وقحة) [5].
قلت : هذه أبرز ملامح (هشام العابر) : فهو يحب القراءة منذ صغره في الكتب (المحرّمة) الفلسفية والماركسية ، التي كانت ممنوعة ـ لضررها ـ في بلاده (السعودية) ولهذا كان يحرص على تحصيلها من عدة منافذ .

---

(1) هكذا ! والصحيح : شيءٌ .
(2) الكراديب (ص193) .
(3) الكراديب (ص215) .
(4) الكراديب (242) . وسيأتي خطأ تسمية ملك الموت بعزرائيل .
(5) الكراديب ، (252) .

ولأجل قراءته هذه فقد تعلق قلبه بالفكر الماركسي والفكر القومي الذي كان عالياً صوته شديداً هيجانه في تلك الفترة ، فحاول أن يمزج بين (القومية والماركسية) متأثراً ببعض قيادات ومنظري (حزب البعث) .

ولأجل هذا انضم (هشام) ـ على كرهٍ وتمنع ـ إلى هذا الحزب ، لأنه يود أن يكون مفكراً طليقاً ، بدلاً من حصره في صرامة التنظيمات .

وكانت نظرته إلى الحياة سوداوية تشاؤمية ، لأنه لم يعرف لها هدفاً ، ولم يفقه حكمة الله من خلقها ، وجعل الخلق يتوارثونها ، لم يعد يرى منها سوى أنها حياة لا قيمة لها ، تجري أحداثها وأقدارها بعبثٍ لا حكمة فيه .

ويتضح بعد هذا الموجز عن هشام العابر (أو تركي الحمد !) وأفكاره أن الحديث ـ دون تطويل ـ سيكون حول :

6 ـ بيان تنقص الحمد في ثلاثيته :

أ ـ لله .

ب ـ وملائكته .

جـ ـ وكتبه .

د ـ ورسله .

هـ ـ ودينه .

و ـ وعباده الصالحين .

7 ـ مباحث أخرى .

تركي الحمد يتنقص في ثلاثيته :
الله وملائكته وكتبه ورسله ودينه وعباده الصالحين

تنقص الحمد لله ـ عز وجل ـ :

لم يقدر تركي الحمد الله ـ عز وجل ـ حق قدره ولم يعظمه كما يعظمه عباده المؤمنون ، بل تحدث عنه في روايته وكأنه يتحدث عن بشرٍ مثله حديث الند للند بعبارة مملوءة بالتحدي والسخرية ـ والعياذ بالله ـ ، وإن كان قد أخفى أشدها بالأسلوب الرمزي الذي عهدناه من هذا الصنف من البشر عندما يخوضون في مثل هذه الأمور .

فالحمد جاء في روايته بلهجة غريبة شاذة عن أهل هذا المجتمع في حديثهم عن ربهم ـ سبحانه وتعالى ـ حيث تجرأ في ذلك بصورة وقحة فاجرة .

وهو مشابه في هذه الجرأة لتيار الحداثة في ديار المسلمين الذين كانوا أول من ترددت هذه الظاهرة (الكفرية) في أشعارهم وأحاديثهم ، حيث لم يتورعوا عن الحديث عن الله ـ عز وجل ـ بألفاظ سوقية بشرية ، فمن ذلك على سبيل المثال :

قول صلاح عبد الصبور في قصيدته (الناس في بلادي)

(يا أيها الإله ،
كم أنت قاسٍ موحش
يا أيها الإله) [1].

وقول الشاعر (الماركسي) البياتي :

(الله في مدينتي يبيعه اليهود
الله في مدينتي مشرّد طريد)[2] !!

وقول معين بسيسو :

(وطرقت جميع الأبوا ب
أخفتني عاهرة
ووشى بي قديس

---

(1) ديوانه (ص30-31) .
(2) ديوانه (ص 526).

كان الله معي
لكن الله هناك
يدلي بشهادته .. في مركز بوليس) [1] !!
وقول توفيق زياد :
(ومداخن الأفران
قائمة .. كآلهة المنايا)[2]!!
وقول محمود دريش :
(نرسم القدس
إلهً يتعرى فوق خطٍ داكن الخضرة
أشباه عصافير تهاجر) [3]!!
وهكذا .. في عبارات (كفرية) كثيرة تتناثر في أشعارهم القذرة [4]

وفي ظني أن هذه الظاهرة السيئة قد وفدت إلى ديار المسلمين عبر شعراء اليهود والنصارى وكتابهم ، الذين تُرجمت أشعارهم وعباراتهم وكانت مصدراً رئيساً لشعراء المسلمين .

وأولئك اليهود والنصارى ـ كما هو معلوم ـ لا يعظمون الله حق تعظيمه ، ولا ينزهون اسمه عن لغوهم وباطلهم .

وسبب ذلك ـ والعلم عند الله ـ هو تأثرهم بما جاء في كتبهم الدينية المحرّفة (لا سيما التوراة) عند الحديث عن الله ـ عز وجل ـ وصفاته حيث تتحدث تلكم الكتب (المقدسة !) عن الله وصفاته كحديثها عن الخلق وصفاتهم، فجعلوا (المولى سبحانه وتعالى في صورة بشر حقود ، سريع الغضب، كثير الندم) [5].

---

(1) ديوان (ص 440) .
(2) ديوانه (ص184) .
(3) ديوانه (ص398) .
(4) انظر لفضح شعراء الحداثة كتاب (الحداثة : مناقشة هادئة لقضية ساخنة) للدكتور محمد خضر عريف . وكتاب (الحداثة في ميزان الإسلام) للشيخ عوض القرني .
(5) ((الله جل جلاله والأنبياء عليهم السلام في التوراة والعهد القديم)) للدكتور محمد البار ، (ص5) .

فمن ذلك قولهم في (سفر التكوين ، الإصحاح الثاني) عن الله ـ عز وجل ـ : (وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل ، فاستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمله ...)[1]!

ومن ذلك إخبارهم عن الله ـ عز وجل ـ بأن اليهود عندما تاهوا نزل الله ـ عز وجل ـ فهداهم إلى طريق الخروج ! (جاء في سفر الخروج "وارتحلوا من سكوت ، ونزلوا في إيثام في طرف البرية . وكان الرب يسير أمامهم نهاراً في عمود سحاب ليهديهم في الطريق ، وليلاً في عمود نار ليضيء لهم ...)[2].

ومن ذلك زعمهم أن الله يبكي ويلطم وجهه ـ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ـ [3]وأنه ـ تعالى ـ يصارع يعقوب عليه السلام ـ [4]!! وأنه ـ تعالى ـ اعترف بخطئه أمام كبير الأحبار[5]!! وأنه ـ تعالى ـ يندم ويحزن وينسى[6]!!

إلى آخر تلك الصفات السيئة التي ألصقها اليهود ـ لعنهم الله ـ برب العالمين ـ سبحانه وتعالى ـ

يقول الدكتور محمد البار بعد أن ذكر هذه الافتراءات :

(ومما تقدم نخلص إلى أن صفات الله سبحانه وتعالى في التوراة والتلمود ، لا يمكن أن تكون صفات الله خالق الأكوان ومدبرها .. بل لا يمكن أن تكون إلا من صفات أراذل البشر .

هذا قليل من كثير من هذه الافتراءات والغثاء والكذب ، والتجديف في وصف المولى سبحانه وتعالى .. والتوارة والعهد القديم والتلمود كلها مليئة بهذه الأوصاف المنكرة والسجايا الخبيثة

---

(1) المصدر السابق (ص21) .
(2) المصدر السابق (ص23) .
(3) المصدر السابق (27) .
(4) المصدر السابق (30) .
(5) المصدر السابق (30)
(6) المصدر السابق (31) .

التي لا يمكن أن يوصف بها إلا أحط البشر وأراذلهم ، فكيف يمكن أن يوصف بها المولى سبحانه وتعالى؟!)[1] .

وقال الدكتور سعود الخلف ـ حفظه الله ـ بعد أن أورد شيئاً من تلكم الأكاذيب :

(فهذه الأمثلة من أوضح الأدلة على التحريف ، فإن الله عز وجل موصوف بصفات الكمال المطلق وكل ما يشعر بالنقص فالله عز وجل منزه عنه، فتضمين اليهود كتابهم صفات تشعر بوصف الله بصفات لا تليق بمقام الألوهية والربوبية والكمال المطلق ، دليل واضح على التحريف والتبديل إذ لا يمكن أن يتضمن الكتاب الذي نزل من عند الله ما يطعن فيه جل وعلا .

وبأمثال هذه الافتراءات من قبل متقدميهم تجرأ متأخروهم على الافتراء على الله ، واعتقادهم أنهم أبناء الله وأحباؤه ، وأن الله لا يعذبهم، وفي هذا يقول الله عز وجل: {وقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إلا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ} [2]) [3].

قلت : فهذه العقيدة الفاسدة قد أخذها كتاب وشعراء أهل الكتاب من كتبهم (المحرفة) فأضحوا يرددونها في نثرهم وأشعارهم دون أي خوف أو خجل من رب العالمين ، لأن كتبهم (المقدسة !) قد جرأتهم على نقل وترديد هذا الاستخفاف والطعن بربهم ـ عز وجل ـ وأسقطت هيبته من نفوسهم .

ثم جاء من بعدهم (نصارى) العرب [4] فنقلوا تلك العقيدة في كتاباتهم ونظمهم .

وعن هؤلاء الكفرة أخذها كتابنا وشعراؤنا الذين (يدعون) الإسلام ، فخاضوا فيها تقليدا لأولئك دون أن يعصمهم عن هذا الخوض المنكر رهبة من الله ـ عز وجل ـ

فأصبحنا نسمع ونقرأ عبارات لبعض الشعراء (المسلمين !) تضاهي في كفرها عبارات اليهود والنصارى ، ويندى لها جبين

---

(1) المصدر السابق (41)

(2) سورة آل عمران ، الآية 24.

(3) دراسات في الأديان : اليهودية والنصرانية (ص93) .

(4) كيوسف الخال ، وجورج شحاده ، وجبرا إبراهيم جبرا ، وإيليا حاوي وغيرهم .

المسلم الموحد ، ويأسى على حال إخوانه الذين تابعوا الكافرين في طعنهم برب العالمين ، مصداقاً لقولε في هذا الصنف " لتتبعن سنن الذين كانوا قبلكم حذو القذة بالقذة . حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه " قيل : اليهود والنصارى ؟ قال ε " فمن ؟ "[1] أي ليس إلا هم .

وقد دخل شرذمة من كتابنا وشعرائنا هذا الجحر الذي أخبر عنه الرسولε بل زادوا عليه بأن طعنوا في خالقهم ـ عز وجل ـ متابعة لمن هم شر البرية ـ كما سبق

يقول الدكتور أنس داود في كتابه (الاسطورة في الشعر العربي الحديث):

(لجأ شعراؤنا إلى الكتب المقدسة وبخاصة التوراة والإنجيل وقلما استفادوا من القرآن في هذا السبيل ، ربما لأنهم يعيشون في أمة إسلامية لا تستسيغ مثل هذه النظرة الفنية إلى أقدس مقدساتها الدينية ، ولأن الكتاب المقدس كان مصدر استلهام فني في الشعر الأوربي بمثل ما استلهم هؤلاء الشعراء أساطير الأقدمين . ولأن ثمة نسباً ـ كما نرى ـ بين كتاب كالتوراة ومجموعات الأساطير المتوارثة في قوة تصويرها لنوازع الإنسان ، وتجسيدها للأهواء البشرية حتى حين تتحدث عن الأنبياء لا تتحدث عنهم هذا الحديث المتطهر الذي تجده في القرآن ، بل نجد لديهم فيضاً من الغرائز ، وغلبة للشهوات أحياناً ولجوءً إلى الحيل والخديعة ، وغير ذلك مما نجده في الحديث عن داود وعن سليمان وغيرهما من الأنبياء مما يقربهم من الشخصيات الأسطورية في نوازعها الجارفة وسلوكها كل مسلك)

قلت : ثم جاء (الحمد) منضماً إلى هذا الركب ومتحدثاً في ثلاثيته عن ربه عز وجل بعبارات بشعه لا تصدر عن مؤمن فمن ذلك :

---

(1) أخرجه البخاري ومسلم .

قوله على لسان هشام : (أراد أن يتحدث مع عارف ، لكنه فقد الرغبة في الحديث . الله ، الحتمية ، الجبرية ، العلم .. كلها أشياء يتعلق بقشة منها . يريد الخروج ، فمن يوفر له ذلك ، فهو الله)[1].

وقوله عنه : (يحس أنه هنا منذ أن حشر الإله الروح في جسد آدم) [2].

وقوله : (دائماً المستقبل الذي لا يجئ ، والتاريخ الذي لا نعيه ، والله الذي لا نراه، يقفون وراء كل شيء ، ويبررون كل شيء) [3].

وقوله : (واستسلم لحلم يقظة جميل ... تصور نفسه من بني إسرائيل أو سام ، وود لو كان أسيره إلى الأبد . تصور أنه يوشع نفسه ، أو سوبرمان ذاته . قادر على إيقاف الزمن ذاته . لا شيخوخة ولا موت ولا ألم ولا ... تحقيق . تصور أنه الله ذاته ... ولم لا ... ما فرقه عن الحلاج والسهروردي وابن العربي ؟ [4] نحن الله والله نحن ... كانت تلك رسالة موسى والمسيح ومحمد ، ولكن أكثر الناس لا يدركون ، فجعلوه ابن الله إنه ذات الله الآن ، فماذا يفعل ؟ هل يجعل الكون أكثر راحه ، وينشر السعادة بين البشر ؟ ولكن ... ما هي السعادة ؟ ! سعادة سقراط أم أفلاطون أم أرسطوا أم ديوجين أم أبقور أم زينون أم كونفيشيوس أم بوذا أم وأم ، وأم ... جملة أمَّات لا نهاية لها . كالحياة ذاتها . ثم لو نشر السعادة وقضى على الألم ، فهل يكون للسعادة نقيض الشقاء أو نقيض الألم ، فكيف يمكن إدراك السعادة إذا ختفى الألم ؟ حتى الجنة بدت له عديمة اللذة في تلك اللحظة كما بدت جهنم عديمة الألم . الخمرة لا تسكر ذاتها ، والجمرة لا تحرق نفسها ... البراز لا يتأذى من رائحة نفسه ، والفل لا يستمتع بريح ذاته . لابد من البراز لاكتشاف لذة الفلة ، ولا بد من الفلة لاكتشاف قذارة البراز . ولذلك كان هناك جنة ونار معاً ، الله وشيطان ، نبي وفرعون ، وكل في قدر يسبحون... تحقيق

---

(1) الكراديب (ص154) .

(2) الكراديب (213).

(3) الكراديب (ص 130).

(4) الصواب (ابن عربي) بدون (أل) وهو الصوفي الملحد المشهور ، أما (ابن العربي) فهو الفقيه المالكي صاحب كتاب " العواصم " .

السعادة وحدها ، يعني توحيد الألوان . وعندما تتوحد الألوان ، تختفي ... المعنى في الاختلاف ، والعماء في التجانس . مشكلة ... وجود الحياة بشكلها الحالي مشكلة ... وجعلها أجمل وأحلى وأعدل مشكلة، لم لا تكون ذات الحياة هي المشكلة ؟ لو كان ذات الله ، لألغى الحياة ذاتها . لألغى هذه المسرحية المملة ، وصرف ممثليها وألغى تلك الأدوار المقررة المعروفة . لا حرية مع الوجود ، فكل الحرية في العدم ...) [1].

وقوله : (الله أعلم ! مسكينٌ أنت يالله ... دائماً نُحَملك مانقوم به من أخطاء) [2].

وقوله على لسان (الشيوعي) عارف : (إن الانتحار هو تحد للإله نفسه .

ثم وهو يضحك بسرعة :

ـ هذا إن كان هناك إله ... الانتحار يا صديقي يعني أني قد اخترت الجحيم ورفضت النعيم بملء إرادتي ... فالنعيم الحق هو ما أختاره أنا ، لا ما يختاره لي ما ليس أنا ... الجحيم هو النعيم حين أختاره أنا ، والنعيم هو الجحيم حينما يختاره غيري لي أنا .

ويضحك عارف مرة أخرى ، ثم يعتدل في جلسته ، وقد اتسعت عيناه ، وبرقت عينه السليمة ، وقال وهو ينظر إلى هشام وقد اكتسى وجهه بعلامات نصر ما :

ـ الانتحار نصر على الله . ففي الانتحار تفوت الفرصة على الله أن يختار لك مصيرك . فأنت تدخل النار بإرادتك حين تنتحر وتعلم أن مصيرك هو النار . ليس الله هو من أدخلك النار ، بل أنت من فعل ...

وابتسم هشام وهو يقول :

ـ ولكن افرض أن الله أدخلك الجنة بالرغم من انتحارك ، ألا يكون قد فوت عليك الفرصة واختار لك بالرغم منك ؟

وضحك عارف بحبور وهو يقول :

---

(1) الكراديب (ص137- 138) .

(2) الكراديب (ص62) .

ـ كلا ... فإذا دخلت النار فبإرادتي ، وإذا أدخلني الله الجنة فأكون قد فرضت إرادتي عليه ... لقد توعدني بالنار فيما لو انتحرت ، ولكنه أدخلني الجنة برغم الوعيد . لقد فرضت إرادتي عليه ، وجعلته يغير وعيده ، لقد أصبحت نداً له . أبعد هذا الانتصار انتصارا؟ ...
ـ ولماذا لا يكون هو قَدَّر عليك الاختيار منذ البدء ؟
ـ أكون قد فضحت اللعبة كلها حينذاك .
وعاد عارف إلى الاسترخاء وهو يردد :
ـ الانتحار هو النصر النهائي على كافة أشكال السلطة وأنواعها) [1].

الحمد يصرف (العبادة) لغير الله :

ومن تنقصه لخالقه ـ عز وجل ـ أنه امتهن لفظ (العبادة) وجعلها في غير موضعها ، وهو عبادة الله وحده لا شريك له ، وإنما جعلها في عبادة البشر بعضهم لبعض .
حيث قال على لسان (عشيقته !) سويّر :
(أنا أعبدك يا هشام ، والعبد لا يشرك مع معبوده شيئاً .
وبدون هدف أو غاية أوقصد قال بشيء من المزاح ، وقد أحس بالزهو يسيطر عليه من الداخل :
ـ ولكن الشرك لا يكون إلا بالله . هو المعبود الوحيد .
وكنمرة متوحشة ، نظرت إليه بعينيها المبللتين ، وقد زادتا اتساعاً على اتساعهما ، وهي تقول :
ـ إذا أنت ربي ... ترحمني وتعذبني .وكل شيء منك مقبول ومحمود .
ولم يستطع الإحتمال فعلاً ، فقال بتلقائية :
ـ أستغفر الله العظيم ... أستغفر الله العظيم .
ردّد ذلك وشعور من الزهو وشيء لا يعرفه ، أشبه ما يكون بالذنب ، يمتزجان في داخله . كانت يدها قابضة على يده ، فمدَّ يده الأخرى وأخذ يربت على خدها ويتحسسه بلذَّة ، فيما ارتمت هي في أحضانه بعنف ، وأخذت تشمه بصوت مسموع ، وهي تردد :

---

(1) الكراديب (ص 78- 79) .

ـ أحبُّك ... أحبُّك يا هشام ... أعشقك ... أعبدك) [1].

تنقص عظيم :

ومن تنقصه لله ـ عز وجل ـ

قوله متحدثاً عن هشام وهو يحلم في منامه :

(وأخذ يسير على غير هدى في الصحراء ، وقشعريرة البرد تستولي عليه . كل شيء يوحي أنه لا يسير ، رغم أنه يسير . النجوم هي النجوم ، والصحراء والظلام عديمة الأبعاد لا يريد أن تنجلي ، واختفت البداية ، وتلاشت النهاية، فلا يدري أهو يسير أم يهيأ له أنه يسير . ولاح له بصيص نور من بعيد ، وأحس بالفرح الغامر رغم أنه يعلم أنه يحلم . وأخذ يغذ السير ، فيما النور يزداد سطوعاً وتتعدد ألونه ، أخضر وأحمر و أصفر ، ويتخللها لون أزرق باهت . وأخيراً وصل إلى حيث النور ، ثم فجأة أشرقت الشمس وهي تضحك بشكل هستيري لم تكن ذات الشمس التي يعرف ، فقد كانت شديدة الحرارة عديمة النور ، فرغم سطوعها ، إلا أن الظلام الحالك ما زال سائداً . وأخذ دماغه يغلي من الحرارة الشديدة ، إلا أن جسمه كان يرتعش برداً ، وأخذت النجوم ترسل سهاماً فضية في كل مكان ، حيث تتكسر بصوت أقرب إلى الرنين على صخور لا يراها ، ولكنه يعلم أنها هناك .

وفي خضم كل ذلك ، كانت نسمات هواء منعش تأتي من واحة وارفة الظلال تنبعث منها تلك الأضواء التي رآها من بعيد .كانت محاطة بأسلاك شائكة من كل جوانبها ، فلم يستطع الدخول . وأخذ يحوم حولها ، حتى تبين له الباب من بعيد .أتجه إليه ، وأراد الدخول بعجلة ، إلا أنه في اللحظة تلك ، برز له شخص من حيث لا يدري ، يحمل سوطاً طويلاً ، وملامح غريبة ، فقد كان له وجه ثور ، في رأس وجسم بشريين ، له مخالب في يديه ورجليه أشبه بمخالب الكلب ، وفي مؤخرته يبرز ذيل لولبي أشبه بذيل الخنزير ، استوقفه هذا الكائن وهو يخور قائلاً :

---

(1) الشميسي (ص169) .

ـ إلى أين أيها الإنسان ؟
ـ أريد المأوى والطعام والسلام ... هل هذا كثير ؟
ـ وهل تعتقد أن الدخول بهذه البساطة ؟ ... الواحة واحتي ، ولا يدخلها إلا من يدفع الثمن . وثمنها بخس جداً ... قبول شروطي .
ـ واحتك ؟ ... شروطك ؟ ... من أعطاك إياها ؟
ـ قوتي هي من أعطاني إياها ... إنها لي وحدي .
ـ القوة لا تصنع حقاً.
ـ الحاجة أساس الحق .
ـ ونخر الكائن الغريب ، ثم قال بنفاد صبر :
ـ قوتي هي الحق هنا ، وإن كنت في شك من ذلك ، فحاول الدخول رغماً عني.

ولم يجد بداً من الاستسلام ، فقد كانت الحرارة والبرودة والظلام والصحراء لا تطاق ، فقال :
ـ حسنا ... وما هي شروطك ؟

وافتر وجه الكائن عن بسمة رضا واسعة ، وأخذ اللعاب اللزج يسيل من بين أسنانه الضخمة ، فيما تحول أنفه إلى اللون الأرجواني وهو يقول :
ـ الآن أصبحت عاقلاً وحكيماً .

ثم استطرد :
ـ ليس لي إلا شرط واحد لا غير ... أن تطيعني في كل ما آمرك به ، ولك أن تتمتع بالماء والهواء والثمار والسلام .
ـ ياله من سعر باهظ !
ـ ويالها من ثمار طيبة !
ـ وإن رفضتُ؟
ـ ليس لك إلا الصحراء والجوع والعطش وكلاب الطريق .
ـ ولكني لا أستغني عن الحرية ...
ـ ونخر الكائن مرة أخرى وهو يقول :
ـ الحرية ... ماهي الحرية ؟ مجرد كلمة .
ـ ولكن في البدء كان الكلمة .
ـ وما نفع الكلمة مع الجوع والقلق .

ـ وما نفع الشبع والسكينة مع العبودية ؟
وأخذ الكائن ينخر ويهز سوطه في الهواء ، وهو يقول :
ـ دعك من هرائك هذا ... أمامك خياران ، إما أن تقبل شرطي وتدخل واحتي ، أو أن تعود إلى الضياع في الصحراء .
وأخذ يفكر في الخيارين وهو يختلس النظرات إلى داخل الواحة لقد كانت مظلمة مثل الصحراء حوله ، رغم الألوان التي كانت تحيط بها ، وتلك الأضواء التي يراها من هو بعيد ، ولكنها تختفي حالما يصلها أحدهم . ومن الداخل كانت تتراءى أشباح أهل الواحة رغم الظلام ... وجوه حمراء ، وكروش منتفخه ، وأعين فقدت بريق الحياة ، وهم يأكلون طوال الوقت . وهيئ له أن وجوههم قد بدأت تتحول إلى شيء أقرب إلى وجه الكائن الذي يقف أمامه .
ـ ولكن قل لي ...
قال هشام موجها حديثه للكائن :
ـ لماذا الظلام دامس في الواحة رغم الألوان والأنوار التي تتراءى من بعيد ؟
وضحك الكائن ، وهو يمتص بعض لعاب سال من جانب فمه ، قال :
ـ الظلام في كل مكان ، ولكن الطعام هنا فقط .
ـ ولكني أرى بصيص نور في الأفق يوحي بانبلاج الفجر في الصحراء ، ولا أرى ذلك البصيص في الواحة !
ـ النور مزعج للعين ، ونحن لا نحبه هنا فهو مفسد للسكينة والطمأنينه . ليس ألذ وأجمل من هدوء الليل ، وصمت الظلام .
ـ لم لا تقول إنك أنت من يكره النور ، كي لا يرى أحد وجهك المسخ .
وهناك ثار الكائن ، وأخذ ينخر بشدة ، ورفع السوط في الهواء يريد أن يهوي به على جسد هشام ، الذي فر من أمامه وهو يقول :
ـ سأضرب في الصحراء غير آبه بالشقاء ... فلابد للصحراء من نهاية ، ولا بد لليل من فجر ، ولا بد أني واجد واحتي مهما طال

الزمان ... واحتي سوف تكون بلا سياج ولا ظلام ، ولا أمساخ بشر ... وإن مت قبل ذلك ، فسوف أموت وأنا حر .

وتابع طريقه إلى عمق الصحراء فيما الشمس توقفت عن ضحكها ، وانكفأت على نفسها ، والكائن يضحك من بعيد ويقول بصوت كالرعد :

ـ لن تجد أفضل من واحتي هذه ، كل الواحات مثل واحتي ... سوف تعود إلي مهما طال بكل التجوال ، طالباً الصفح والغفران ، مستجدياً أن أقبلك عبداً من عبيدي ، وساعتئذ ... ستعرف من أنا .

وصاح هشام من بعيد :

ـ كلا ... كلا لن أعود إلى واحتك إلا بعد أن يشرق فيها النور ويخلع السياج وتعود إلى الناس وجوههم .

وابتلعته الصحراء ، وقهقهة الكائن تدوي وراءه كالرعد ، والشمس عادت إلى ضحكها وحرقتها ، ولكنه يسير وهو يرى خيوط الفجر من بعيد)[1].

قلت : تأمل ـ أخي المسلم ـ هذا الحلم الذي صاغه الحمد على لسان هشام جيداً ، ثم تساءل معي كما تساءلت :

ـ ماهي هذه الواحة المحاطة بالأسلاك الشائكة ؟

ـ من هو هذا الشخص (البشع !) الذي ساومه هشام على دخول الواحة ؟

لقد صاغ الحمد فكرته التي يريد إيصالها للقارئ بأسلوب رمزي شأنه في ذلك شأن أهل الرمزية الذين يروجون لفكرهم بتلك العبارات الغامضة خوفاً من عاقبة التصريح (بالكفر) لا سيما في ديار التوحيد . وقد تابع الحمد هنا (شيخه) نجيب محفوظ في كفره عندما تحدث في روايته الشهيرة (أولاد حارتنا) عن الله ـ عز وجل ـ وعن أنبيائه بأسلوب رمزي[2] قاء من خلال بما يحمله قلبه من

---

(1) الكراديب (ص22- 26) .

(2) حيث رمز إلى الله ـ عز وجل ـ بالجبلاوي ، وإلى آدم عليه السلام بأدهم ، وإلى موسى عليه السلام بجبل ، وإلى عيسى عليه السلام برفاعة ، وإلى محمد ε بقاسم ، إلى (العلم) الذي يدعو إليه نجيب محفوظ بديلاً عن الدين ! بعرفة . انظر : (دراسة المضمون الروائي في أولاد حارتنا) لعبد الله المهنا .

كفر وحقد تجاه رب العالمين ـ تبارك وتعالى ـ وتجاه أنبيائه ـ عليهم الصلاة والسلام ـ

فجاء الحمد يهرع من ورائه مستعرضاً قدراته في (تمرير) كفرياته في مثل هذا الحلم .

فالشخص البشع في نظر الحمد ـ هو الله ـ عز وجل ، وتعالى عن قول الحمد علواً كبيراً ـ . !!

والواحة المحاطة بالأسلاك الشائكة هي الجنة ومافيها من سعادة واطمئنان .

فالحمد يريد أن يقول لنا بأن من أراد دخول الجنة فليلتزم بعبودية الله ـ عز وجل ـ وطاعة أوامره ، وأما من أنف من هذه العبودية واختار الحرية ! كما يزعم الحمد فلا بد أن يزهد في هذه الجنة (أو الواحة) ويضرب في أعماق الصحراء لعله يجد مصدراً آخر للسعادة لا تكون ضريبته فقدان الحرية !

وقد اختار الحمد الطريق الثاني وهو الاستنكاف عن عبادته سبحانه وتعالى، وقد قال تعالى في كتابه الحكيم عن هذا الصنف من البشر : {وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا(172)فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنْكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا}[1].

فمن استنكف عن عبادة الله وفرَّ منها طالباً الحرية كما يزعم ! فإنه لن يجد من دون الله ولياً ولا نصيراً ، فالمرد ـ وإن طال الزمان ـ إلى الله الذي : {إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ} [2].

ونحن نقول للحمد : من لم يرض بعبادة الله سبحانه وتعالى فإنه لا شك سيعبد غيره؛ لأن الإنسان لا يخرج عن العبودية بأي حال . فمن لم يعبد الرحمن عبد الهوى والشيطان ، ولذلك قال تعالى : {أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ} [3].

---

(1) سورة النساء ، الآيات : 172-173 .
(2) سورة الأنعام ، الآية 72 .
(3) سورة الجاثية ، الآية 23 .

قال ابن كثير : (أي إنما يأتمر بهواه ، فما رآه حسناً فعله ، وما رآه قبيحاً تركه) [1].

فهو وإن ادعى أنه قد ترفع عن (عبودية) الله المستحق لها فإنه قد جعل تلك العبودية في غير محلها باتخاذه إلهه هواه .

وقال تعالى{أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَابَنِي آدَمَ أَنْ لا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ} [2] .

فمن لم يعبد الله عبد الشيطان ، وعبادته ـ أي الشيطان ـ تكون باتخاذ الشيطان نفسه إلها [3]، أو بعبادة ما يزين عبادته من الأصنام والأحجار والصور و... الخ ، حتى وصل بأتباع الشيطان أن يعبدوا فرج المرأة ـ والعياذ بالله ـ

الحاصل : أن من تكبر عن عبادة الله أذله الله بأن صيره عبداً لهوىً أو شيطان أو مخلوق مثله .

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ : (وكذلك من رفه بدنه وعرضه وآثر راحته على التعب لله وفي سبيله ، أتعبه الله سبحانه أضعاف ذلك في غير سبيله ومرضاته ، وهذا أمر يعرفه الناس بالتجارب .

قال أبو حازم : " لما يلقى الذي لا يتقي الله من معالجة الخلق أعظم مما يلقى الذي يتقي الله من معالجة التقوى "

واعتبر ذلك بحال إبليس . فإنه امتنع من السجود لآدم فراراً أن يخضع له ويذل ، وطلب إعزاز نفسه ، فصيره الله أذل الأذلين ، وجعله خادماً لأهل الفسوق والفجور من ذريته ، فلم يرض بالسجود له ، ورضي أن يخدم هو وبنوه فساق ذريته.

وكذلك عباد الأصنام ، أنفوا أن يتبعوا رسولاً من البشر ، وأن يعبدوا إلهاً واحداً سبحانه ، ورضوا أن يعبدوا آلهة من الأحجار .

وكذلك كل من امتنع أن يذل لله ، أو يبذل ماله في مرضاته ، أو يتعب نفسه وبدنه في طاعته ، لابد أن يذل لمن لا يسوى ، ويبذل له ماله ، ويتعب نفسه وبدنه في طاعته ومرضاته ، عقوبة له ، كما

---

(1) تفسير ابن كثير (4/ 162)

(2) سورة يس ، الآية : 60 .

(3) كعبدة الشيطان الذين ظهر أمرهم قريباً .

قال بعض السلف " من امتنع أن يمشي مع أخيه خطوات في حاجته أمشاه الله تعالى أكثر منها في غير طاعته")[1].

وقال ـ رحمه الله ـ مبيناً أهمية عبادة الله وحده للعبد :

(اعلم أن حاجة العبد أن يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً في محبته ولا في خوفه ولا في رجائه ، ولا في التوكل عليه ، ولا في العمل له ، ولا في الحلف به ، ولا في النذر له ، ولا في الخضوع له ، ولا في التذلل والتعظيم والسجود والتقرب؛ أعظم من حاجة الجسد إلى روحه والعين إلى نورها بل ليس لهذه الحاجة نظير تقاس به ، فإن حقيقة العبد روحه وقلبه ولا صلاح لها إلا بإلهها الذي لا إله إلا هو ، فلا تطمئن في الدنيا إلا بذكره ، وهي كادحة إليه كدحاً فملاقيته ، ولا بد لها من لقائه ، ولا صلاح لها إلا بمحبتها وعبوديتها له ورضاه وإكرامه لها ، ولو حصل للعبد من اللذات والسرور بغير الله ما حصل لم يدم له ذلك ، بل ينتقل من نوع إلى نوع ومن شخص إلى شخص ويتنعم بهذا في وقت ثم يعذب ولا بد في وقت آخر ، وكثيراً ما يكون ذلك الذي يتنعم به ويلتذ به غير منعم له ولا ملذ بل قد يؤذيه اتصاله به ووجوده عنده ويضره ذلك . وإنما يحصل له بملابسته من جنس ما يحصل للجرب من لذة الأظفار التي تحكه ، فهي تدمي الجلد وتخرقه وتزيد في ضرره ، وهو يؤثر ذلك لما له في حكها من اللذة ، وهكذا ما يتعذب به القلب من محبة غير الله هو عذاب عليه ومضرة وألم في الحقيقة لا تزيد لذته على لذة حك الجرب ، والعقل يوازن بين الأمرين ويؤثر أرجحهما وأنفعهما ، والله الموفق المعين ، وله الحجة البالغة كما له النعمة السابغة)[2].

وقال شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ مفصلاً هذا المعنى :

(" العبادة " هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه : من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة ، فالصلاة والزكاة ، والصيام ،

---

(1) إغاثة اللهفان (2/ 194- 195) وقد قال ـ رحمه الله ـ في نونيته عن مدعي الحرية !

فروا من الرق الذي خلقوا له
وبلوا برق النفس والشيطان

(2) طريق الهجرتين (ص103- 104) .

والحج ، وصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وبر الوالدين ، وصلة الأرحام ، والوفاء بالعهود ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . والجهاد للكفار والمنافقين ، والإحسان إلى الجار واليتيم والمسكين وابن السبيل والمملوك من الآدميين والبهائم .والدعاء والذكر والقراءة ، وأمثال ذلك من العبادة .

وكذلك حب الله ورسوله ، وخشية الله والإنابة إليه وإخلاص الدين له والصبر لحكمه ، والشكر لنعمه ، والرضا بقضائه ، والتوكل عليه ، والرجاء لرحمته ، والخوف لعذابه ، وأمثال ذلك هي من العبادة لله .

وذلك أن العبادة لله هي الغاية المحبوبة له والمرضية له ، التي خلق الخلق لها، كما قال تعالى : {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ} وبها أرسل جميع الرسل كما قال نوح لقومه : {اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ} .

وكذلك قال هود وصالح وشعيب وغيرهم لقومهم وقال تعالى : {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ}[1] وقال تعالى {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلا رِجَالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى}[2] وقال تعالى {وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون}[3] كما قال في الآية الأخرى {يَاأَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ }[4] وجعل ذلك لازماً لرسوله إلى الموت كما قال {وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ}[5] .

وبذلك وصف ملائكته وأنبياءه فقال تعالى : {وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلا يَسْتَحْسِرُونَ(19)يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لا يَفْتُرُونَ}[6]وقال {إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ

(1) سورة النحل ، والآية : 36.
(2) سورة يوسف ، الآية : 109
(3) سورة الأنبياء ، الآية : 92 .
(4) سورة المؤمنون : الآية 51
(5) سورة الحجر ، الآية 99
(6) سورة الأنبياء ، الآية 20 .

يَسْجُدُونَ}[1]وذم المستكبرين عنها بقوله : {وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ}[2]ونعت صفوة خلقه بالعبودية له فقال تعالى : {عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا}[3]وقال {وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا} [4]الآيات ولما قال الشيطان {قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ} قال الله تعالى {إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ}[5].

وقال في وصف الملائكة بذلك : {وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ(26)لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ} إلى قوله {وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ}[6]. وقال تعالى : {وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا(88)لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا(89)تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا(90)أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا(91)وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا(92)إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلا ءَاتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا(93)لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا(94)وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا} [7].

وقال تعالى عن المسيح ـ الذي ادعيت فيه الإلهية والنبوة { إِنْ هُوَ إِلا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ} [8]، ولهذا قال النبي ε في الحديث الصحيح : ((لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم فإنما أنا عبد فقولوا : عبد الله ورسوله))[9].

وقد نعته الله " بالعبودية " في أكمل أحواله فقال في الإسراء : {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلا}[10]قال في الإيحاء:{ فَأَوْحَى إِلَى

---

(1) سورة الأعراف ، الآية 206
(2) سورة غافر ، الآية 60 .
(3) سورة الأنسان ، الآية 6
(4) سورة الفرقان ، الآية 63
(5) سورة الحجر ، الآيتان ، 39، 40 .
(6) سورة الحجر ، الآية 42 .
(7) سورة مريم ، الآيات 88- 95
(8) سورة الزخرف ، الآية : 59 .
(9) أخرجه البخاري ومسلم .
(10) سورة الإسراء ، الآية ، 1.

عَبْدِهِ مَا أَوْحَى}[1]. وقال في الدعوة :{وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا}[2]. وقال في التحدي :{وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ }[3]. فالدين كله داخل في العبادة .

وقد ثبت في الصحيح[4]أن جبريل لما جاء إلى النبي ε في صورة أعرابي وسأله عن الإسلام قال : " أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً". قال : فما الإيمان ؟ قال : " أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت وتؤمن بالقدر خيره وشره " . قال : فما الإحسان ؟ قال : " أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك " ثم قال في آخر الحديث " هذا جبريل جاءكم يعلمكم دينكم " فجعل هذا كله من الدين .

" والدين " يتضمن معنى الخضوع والذل . يقال : دنته فدان أي : ذللته فذل ويقال يدين الله ، ويدين لله أي : يعبد الله ويطيعه ويخشع له ، فدين الله عبادته وطاعته والخضوع له .

و" العبادة " أصل معناها الذل أيضاً ، يقال طريق معبد إذا كان مذللاً قد وطئته الأقدام .

لكن العبادة المأمور بها تتضمن معنى الذل ومعنى الحب ، فهي تتضمن غاية الذل لله بغاية المحبة له ، فإن آخر مراتب الحب هو " التتيم " وأوله " العلاقة " لتعلق القلب بالمحبوب ، ثم " الصبابة " لانصباب القلب إليه ، ثم " الغرام " وهو الحب اللازم للقلب ، ثم " العشق " وآخرها " التتيم " يقال : تيم الله أي : عبد الله ، فالمتيم المعبد لمحبوبه .

ومن خضع لإنسان مع بغضه له لا يكون عابداً له ، ولو أحب شيئاً ولم يخضع له لم يكن عابداً له ، كما قد يحب ولده وصديقه ، ولهذا لا يكفي أحدهما في عبادة الله تعالى ، بل يجب أن يكون الله

---

(1) سورة النجم ، الآية : 10 .
(2) سورة الجن ، الآية : 19 .
(3) سورة البقرة ، الآية : 23 .
(4) أخرجه البخاري ومسلم .

أحب إلى العبد من كل شيء ، وأن يكون الله أعظم عنده من كل شيء ، بل لا يستحق المحبة والذل التام إلا الله .

وكل ما أُحب لغير الله فمحبته فاسدة ، وما عُظم بغير أمر الله كان تعظيمه باطلاً ، قال الله تعالى : {قُلْ إِنْ كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ} [1]، فجنس المحبة تكون لله ورسوله ، كالطاعة فإن الطاعة لله ورسوله) [2].

قلت : وأما ادعاء الحمد بأن عبودية الله وجنته ليس فيها نور ، وإنما النور والفجر ! في حريته (المزعومة) فهو من تلبيس الشيطان عليه ، ومن انتكاس قلبه حتى أصبح يبصر الأشياء على خلاف حقيقتها فغدا النور عنده ظلاماً ، والظلمة نوراً، وهذا حال أهل الباطل الذين يرون باطلهم حقاً والحق باطلاً منذ العهود القديمة . ولا أملك أن أقول للحمد في هذا المقام إلا ما قاله ابن القيم ـ رحمه الله ـ : (فأهل الأرض كلهم في ظلمات الجهل والبغي إلا من أشرق عليه نور النبوة ، كما في المسند وغيره من حديث عبد الله بن عمرو عن النبي ε قال : " إن الله خلق خلقه في ظلمة وألقى عليهم من نوره فمن أصابه من ذلك النور اهتدى ومن أخطأه ضل " [3] فكذلك أقول : ولذلك بعث الله رسله ليخرجوا الناس من الظلمات إلى النور ، فمن أجابهم خرج إلى الفضاء والنور ، ومن لم يجبهم بقي في الضيق والظلمة التي خلق فيها ، وهي ظلمة الطبع وظلمة الجهل والهوى وظلمة الغفلة عن نفسه وكمالها وما تسعد به في معاشها ومعادها .

فهذه كلها ظلمات ، خلق فيها العبد ، فبعث الله رسله لإخراجه منها إلى نور العلم والمعرفة والإيمان والهدى الذي لا سعادة للنفس

---

(1) سورة التوبة ، الآية : 24 .

(2) الفتاوي (10/ 149- 153) .

(3) أخرجه الإمام أحمد في مسنده : (176/2 - 197) ، وأخرجه الترمذي في كتاب الإيمان : (ص18) .

بدونه البته . فمن أخطأه هذا النور أخطأه حظه وكماله وسعادته ، وصار يتقلب في ظلمات بعضها فوق بعض ، فمدخله ظلمة ومخرجه ظلمة وقوله ظلمة وعمله ظلمة وقصده ظلمة، وهو متخبط في ظلمات طبعه وهواه وجهله ، ووجهه مظلم وقلبه مظلم، لأنه مبقى على الظلمة الأصلية ، ولايناسبه من الأقوال والأعمال والإرادات والعقائد إلا ظلماتها ، فلو أشرق له شيء من نور النبوة لكان بمنزلة إشراق الشمس على بصائر الخفاش .

بصائر غشاها النهار بضوئه

ولاء مها قطع من الليل مظلم

يكاد نور النبوة يلمع تلك الأبصار ، ويخطفها لشدته وضعفها ، فتهرب إلى الظلمات لموافقتها لها ، وملاءمتها إياها .

والمؤمن علمه نور وقوله نور ، ومدخله نور ومخرجه نور وقصده نور ، فهو يتقلب في النور في جميع أحواله ، قال الله تعالى : { اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لا شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} [1]) [2].

الحلف بغير الله في روايته :

ومن تنقصه لله ـ عز وجل ـ أنه استهان بالحلف بغيره ـ عز وجل ـ فذكره في روايته متغافلاً عن قدحه في عقيدة الإنسان وأنه من الشرك الأصغر[3]، مصداقاً لقوله ε: "من حلف بغير الله فقد أشرك " [4]وقال ε : " من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت" [5].

---

(1) سورة النور ، الآية : 35 .

(2) هداية الحيارى (ص591- 593) .

(3) قال الشيخ ابن باز ـرحمه الله-: "الحلف بغير الله من الشرك الأصغر .. ، وقد يكون شركاً أكبر إذا قام بقلب الحالف أن هذا المحلوف به يستحق التعظيم كما يستحقه الله" . (فتاوى ابن باز ـ 2/ 727 ـ ط دار الوطن .

(4) أخرجه أبو داود والترمزي . قال الشيخ ابن باز في فتواه السابقة "بإسناد صحيح" .

(5) أخرجه البخاري ومسلم .

قال الحمد على لسان عبد الرحمن مخاطباً ابن عمته هشام (أخبره أن ما يشعر به شيء طبيعي لشخص يشرب لأول مرة ، وأنه سوف يعتاد الشراب ولن يفعل به شيئاً بعد ذلك .إلا أن هشام صاح : " أول وآخر مرة ورأس أبوك...")[1].

الحمد يعتقد أن الله في كل مكان !!!

ومن طوام تركي الحمد في روايتة أنه -وهو الذي درس عقيدة السلف في بلاد التوحيد- يعتقد عقيدة الأشاعرة في أن الله موجود في كل مكان ! ! ! وهذا من أغرب الأمور التي مرت علي أثناء دراستي لثلاثيته . مما جعلني أتفكر كثيراً في كيفية تسرب هذه البدعة الغريبة على بلادنا إلى ذهن الحمد وروايته ، ثم اكتشفت أنه قد نقلها - بغباء - من ثلاثية نجيب محفوظ ، دون أي تفكير بمدى صحتها !!! وهذا من الأدلة على أن الحمد مجرد ببغاء لنجيب محفوظ يردد ما يقوله في ثلاثيته ولو كان مخالفاً للنقل والعقل كهذه المسألة .

قال الحمد متحدثاً عن والد هشام :

(وضحك أبوه إحدى ضحكاته النادرة ، ثم عاد إلى وقاره وهدوئه المعتادين وهو يقول بحزم : اسمع يا ولدي ... إن الله موجود في كل مكان ، والتقوى في النية الطيبة والسلوك الطيب مع الناس ، ...) [2]

قلت :هذه عقيدة باطلة يدين بها متأخرو الأشاعرة ، والذي عليه سلف الأمة أن الله مستوٍ على عرشه فوق سماواته ، كما قال تعالى : { الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} [3] وقال : {ءَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي

---

(1) الشميسي (ص45) .
(2) الشميسي (ص 136) .
(3) سورة طه ، الآية : 5 .

السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ}[1] وقال:{ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ }[2]... والأدلة على هذا كثيرة ليس هذا موضع التوسع فيها . فانظرها في كتاب (العلو) للذهبي و (مختصره) اللألباني ، و(علو الله على خلقه) للدكتور موسى الدويش ، و(إثبات علو الله ...) للشيخ حمود التويجري ـ رحمه الله ـ ، و (الرحمن على العرش استوى) للشيخ عبد الله السبت ، و(الرحمن على العرش استوى بين التنزيه والتشويه) للدكتور عوض منصور.

أما أن الحمد قد أخذ هذه العقيدة البدعية من نجيب محفوظ فلأن هذا الآخر قد ذكرها في ثلاثيته ـ التي هي عمدة الحمد ـ على لسان أحمد عبد الجواد .

حيث قال له الحمزاوي : (ربنا موجود) فرد عليه أحمد عبد الجواد : (نعم! -ومشيراً إلى الجهات الأربع- في كل مكان)[3].

الحمد يرى أن عبودية الله كالأغلال !!

من تنقص الحمد لله عز وجل ، أنه لم يرض بعبوديته ، وإنما آثر عليها (الحرية) كما يدعي ! وهي في حقيقتها ليست (حرية) وإنما (عبودية) من نوع آخر ، إما للهوى أو الشيطان كما سبق .

يقول الحمد متحدثاً عن هشام : (وطافت في ذهنه تجربته الدينية العميقة حين ذهب إلى المسجد مع ا لفجر ، وصلى بعمق غريب ولذيذ لأول مرة في حياته ، بعد تجربته الجسدية مع رقية فقد كانت صلواته السابقة مجرد حركات جسدية لا روح فيها ، ومجاملات اجتماعية بعض الأحيان . ورغم أنه يشعر بالضآلة حين يجامل في مثل هذه الأمور ، إلا أنه لا يستطيع إلا أن يجامل ، فالله غفور رحيم ، ولكن عباده لا يعرفون الرحمة والغفران ، لقد أحس بعد تلك التجربة العنيفة بتمزق لم يستطع إحتماله ، فكان بحاجة إلى أب رؤوف رؤوف يلقي بحمله عليه ... أب ليس ككل الآباء . أب

---

(1) سورة الملك ، الآية : 16 .
(2) سورة النحل ، الآية : 50 .
(3) بين القصرين (ص448) .

يسامح على الخطأ والخطيئة ، ويأخذ بيده إلى الراحة بعد العذاب ، والصفاء بعد القلق وذاك الوخز المؤلم في الداخل ... ولكن شتان بين حاله مع رقية ، وهذا الإنقلاب العجيب في حال عدنان ... كل إنسان يبحث عن أب رحيم قادر ، وأم حنون في الأزمات والملمات، والكل يبحث عن كتف عطوف قوي يبكي عليه ويلقي عليه بأحماله ، ولكن القليل هو من يريد أن يبقى باكياً على ذلك الكتف ، فهو لذيذ حقاً ، ولكن الألذ منه أن تخطئ وتصيب، فاللذة في وجود نقيضها وليس في مجرد وجودها .شيء لذيذ وجميل أن تجد من يكون مسؤولاً عنك طوال الوقت ، ولكن السعر باهظ جداً ... إنه الحرية ذاتها . الطفل وحده من يدفع هذا السعر بالرغم منه ، ولكن من يريد أن يبقى طفلاً طوال الوقت ؟! الكل يجد الدفء في حضن الأم ، والقوة في الأب ، ولكن قلةً من يريدون البقاء في ذلك الحضن وعلى الكتف ... ويبدو أن عدنان واحد من هؤلاء) [1].

قلت : ومقصوده واضح لا يحتاج إلى إعمال ذهن ، وهو دليل استكباره عن عبادة ربه ـ كما سبق ـ وقد قال تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ) [2] .

تنقصه للملائكة الكرام :

أما تنقص الحمد واستخفافه بالملائكة المكرمين؛ فمن ذلك قوله متحدثاً عن هشام في السجن :

(ثم نظر إلى النافذة ، وتلك النجوم التي تتبدى من ورائها على استحياء ، وهو يتصور أن يأتي ملاك رحمة من هنا أو هناك فينقله على جناحيه إلى حيث نسمة هواء طليقة . ولكن حتى الملائكة اختفت في هذه اللحظة ، ويبدو أنها نفسها تخاف الدخول إلى هذا المكان ، وليس إلا الرعب والسكون والانتظار)[3]!!

---

(1) الشميسي (ص70 - 71) .
(2) سورة غافر ، الآية : 60 .
(3) الكراديب (ص19) .

قلت : كيف تخاف الملائكة الدخول في هذا المكان أو غيره ، وهي معك أينما سرت . قال تعالى عن الإنسان : (مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ)[1].

وقال سبحانه : (لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ) [2].

وقال تعالى : (أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ)[3] .

فالملائكة المكرمون قد خُصَّ بعضهم بأنه لا يفارق الإنسان في جميع أحواله ـ كما سبق ـ ولكن الحمد لا يفقه هذا بعد أن اعتاد لسانه على الجرأة عند حديثه عن كل شيء مقدس، متأثراً بالكفرة الفجرة ـ ولا حول ولا قوة إلا بالله ـ .

تنقص الحمد للقرآن :

أما سخريته بالقرآن ، وبآيات الله ، فهو أنه يضعها في غير موضعها ، بأسلوب هازل .

فمن ذلك قوله :

(حانت التفاتة من عبد الرحمن نحو الكيس الذي يحمله هشام ويشد عليه بقوة ، فقال وهو يضحك : " ما تلك بيمينك يا هشام ؟ " وابتسم هشام ...)[4] فهو يشير إلى قوله تعالى لموسى ـ عليه السلام (وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَامُوسَى) [5]

وقوله : (وهز هشام رأسه وهو يبتسم محيياً ، فيما أخذ الآخرون يتضاحكون ويتغامزون فيما بينهم ويقولون : "شرَّفت الكراديب " "وما منكم إلا واردها ") [6].

---

(1) سورة ق ، الآية :18 .
(2) سورة الرعد ، الآية ، 11 .
(3) سورة الزخرف ، الآية : 80 .
(4) الشميسي (ص39) .
(5) سورة طه ، الآية : 17 .
(6) الكراديب (ص 37) .

وهو يشير إلى قوله تعالى عن النار : (وإن منكم إلا واردها) [1].

قلت : لا يجوز أن يُنزل القرآن في غير منزله الذي أراده الله له ، وأن يُسْتدل به بهذه السخرية [2].

وقد سئلت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والافتاء عن (استعمال بعض آيات القرآن في المزاح ما بين الأصدقاء ؟) فأجابت بأنه (لا يجوز استعمال آيات القرآن في المزاح) [3].

بغضه للقرآن :

يقول الحمد متحدثاً عن ذكريات هشام ، وصديقه عدنان : (كانا في الصف الرابع الابتدائي ، وكانت مادتي القرآن الكريم والتجويد أصعب وأبغض المواد عند التلاميذ) [4]!!

قلت : أما (أصعب) فقد قال تعالى : (وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ) [5].

وأما (أبغض) فهذه التي يريد الحمد ! والسؤال : لماذا كان كلام الله الذي فيه الهدى والنور أبغض المواد !؟ وكان الحب كله للكتب الفلسفية والماركسية و(المحرَّمة) ؟!

وصدق الله إذ يقول : (وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلا خَسَارًا) [6].

تنقصه للأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ :

لقد أسرف الحمد على نفسه كثيراً واقتحم لجة الكفر والضلال عندما تعرض لأنبياء الله تعالى ـ عليهم الصلاة والسلام ـ واصفاً

---

(1) سورة مريم ، الآية : 71 .
(2) للسيوطي رسالتان حول هذا الموضوع بعنوان (تنزيه الأغبياء عن تسفيه الأنبياء) و(رفع البأس وكشف الالتباس في ضرب المثل من القرآن والاقتباس) انظرها في (الحاوي) (309/1) و (344/1) . وهي في من اقتبس من القرآن جاداً لا هازلاً .
(3) فتاوى اللجنة (4/ 56) .
(4) الشميسي (ص(68) .
(5) سورة القمر ، الآية : 17 .
(6) سورة الإسراء : الآية ، 82 .

إياهم بكل منقصة جرياً وراء أكاذيب اليهود والنصارى التي استولت على ذهنه عند حديثه عنهم ـ عليهم السلام ـ فقد نسخت قراءاته لكتب اليهود والنصارى والملاحدة كل تعظيم غرسه القرآن في صدره حول الأنبياء والرسل .

ولنستمع إلى (هرائه) مع التعليق عليه بما تيسر .

قال الحمد على لسان هشام :

(قتل قابيل هابيل من أجل المرأة ، وخرج آدم من الجنة من أجل المرأة ، وأذنب من أجل المرأة ، وسخر سليمان الجن من أجل المرأة ، وقال رسولنا الكريم [1]:" حُبب إليَّ من دنياكم الطيب والنساء وجُعلت الصلاة قرة عيني " ومزامير داود كلها عن المرأة ، وسكر لوط في التوراة من أجل المرأة ، وأبطل المسيح حد اليهود من أجل مريم المجدلية ، وخاف إبراهيم من فرعون مصر من أجل المرأة ، وكانت المرأة وراء مباركة يعقوب بدلاً من عيسو ...)[2] .

قلت : لقد تضمن هذا النص من الحمد عدة فتراءات على أنبياء الله ـ عليهم السلام ـ حيث لم يتورع ـ هداه الله ـ عن متابعة اليهود والنصارى في تلفيق التهم والنقائص لخير البشر ـ عليهم السلام ـ ولتفنيد ذلك أقول :

ـ أما قابيل وهابيل فإنهما لم يكونا من الأنبياء، هم بشر كغيرهم ، فلا شأن لنا بهما . ومع هذا فإن تركي الحمد لم يذكر إلا قولاً واحداً في قصتهما ولم يذكر القول الثاني .

فهو ألمح إلى القول الأول الذي يفيد بأن قابيل قتل أخاه هابيل بسبب المرأة فقررا أن يتقربا إلى الله بقربان فمن تقبل منه كانت المرأة من نصيبه فتقبل من هابيل ولم يُتقبل من قابيل ، فقام قابيل بقتل هابيل .

والقول الثاني الذي لم يذكره الحمد هو أنهما قررا أن يقوما بتقديم قربان إلى الله ـ عز وجل ـ فعمد قابيل إلى أسوأ ماله فقدمه

---

(1) لا لزوم لهذه المخادعة بعد الذي خطته يمينك !

(2) الكراديب (ص122) .

قرباناً ، وعمد هابيل إلى أحسن ماله فقدمه ، فتقبل منه ولم يتقبل من أخاه قابيل ، فحسده قابيل وقام بقتله .

وفي هذا يقول ابن جرير الطبري ـ رحمه الله ـ : (عن ابن عباس قال : كان من شأنهما أنه لم يكن مسكين يتصدق عليه وإنما كان القربان يقربه الرجل، فبينما ابنا آدم قاعدان إذ قالا : لو قربنا قرباناً ! وكان الرجل إذا قرب قرباناً فرضيه الله عز وجل أرسل إليه ناراً فأكلته ، وإن لم يكن رضيه خبت النار ، فقربا قرباناً . وكان أحدهما راعياً وكان الآخر حراثاً ، وإن صاحب الغنم قرب خير غنمه وأسمنها . وقرب الآخر أبغض زرعه ، فجاءت النار فنزلت بينهما ، فأكلت الشاة وتركت الزرع . وإن ابن آدم قال لأخيه : أتمشي في الناس وقد علموا أنك قربت قرباناً فتقبل منك ورد عليّ ؟ فلا والله لاتنظر الناس إلي وإليك وأنت خير مني فقال : لأقتلنك ! فقال أخوه : ماذنبي ؟ إنما يتقبل الله من المتقين)[1] .

قلت : فهذا القول الثاني لم يشر إليه الحمد هو الذي يشهد له القرآن العظيم عندما تحدث عن قصة ابني آدم حيث قال تعالى : (وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ(27)لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ(28)إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ(29)فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ(30) فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ قَالَ يَاوَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْأَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ(31))[2].

ولذا قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ بعد سياقه الأثر السابق عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ : (فهذا الأثر يقتضي أن تقريب القربان

---

(1) تفسير الطبري (10/ 203 شاكر) .
(2) سورة المائدة ، الآيات : 27-31 .

كان لاعن سبب ولا عن تدارئ في امرأة كما تقدم عن جماعة ممن تقدم ذكرهم ، وهو ظاهر القرآن)[1] .

فالحمد لم يسق إلا القول الذي يتماشى مع هواه ، علماً بأن هذه الروايات جميعها لم تصح مرفوعه إلى النبي ε ، وإنما هي تنقل عن أهل الكتاب الذين أمرنا بعدم تصديقهم أو تكذيبهم إلا ما عارض شرعنا فإننا نكذبهم فيه ـ ولا كرامة ـ.

بل إن القرآن والسنة الصحيحة لم تذكر (قابيل وهابيل) وإنما ذكرت بأن القصة حدثت لابني آدم فقط دون تفصيلات . كما في سورة المائدة ، وكما في قوله ε في الصحيحين : " لا تُقتل نفس ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كِفْل من دمها ، لأنه أول من سنَّ القتل " .

ـ أما قول الحمد بأن آدم ـ عليه السلام ـ قد خرج من الجنة من أجل المرأة فالذي في القرآن أن (الشيطان) قد وسوس لآدم وحواء جميعاً بالأكل من الشجرة ، وفي آيات أخرى يخبر الله بأن الشيطان قد وسوس لآدم بذلك دون ذكر لحواء .

قال تعالى : (وَقُلْنَا يَاآدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ(35)فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ)[2].

وقال سبحانه : (قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ(18)وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظالمين) [3].

---

(1) تفسير ابن كثير (2/ 45) .
(2) سورة البقرة ، الآية 35، 36 .
(3) سورة الأعراف ، الآية : 18-19 .

وقال عز وجل : (وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا(115)وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلا إِبْلِيسَ أَبَى)[1].

فهذه الآيات فيها أن الشيطان وسوس لهما جميعاً (فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ) (فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ)؛ وفي سورة طه أنه وسوس لآدم أولاً (فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ) .فهي تشهد لمن قال بأن الوسوسة كانت لهما جميعاً حيث أغراهما الشيطان بنيل الخلد في الجنة وأن يكونا كسائر الملائكة . ولم يذكر فيها أن حواء هي التي أغرت آدم على الأكل من الشجرة كما تقول ذلك الروايات الإسرائيلية. ولهذا قال الشيخ أحمد شاكر ـ رحمه الله ـ : (دأب الكتاب والأدباء في عصرنا هذا على فرية أن آدم عليه السلام خدعته حواء حتى أكل من الشجرة ، يصطنعون قول الكاذبين المفترين من أهل الكتاب ، بما حرفوا وكذبوا)[2].

قلت : ولكن من يقول بأن حواء أكلت من الشجرة قبل آدم ، أو أنها سهلت له الأكل منها يستشهد بحديث رواه البخاري في صحيحه ويحمله على هذه القصة ، وهو أنه ε قال : " لولا حواء لم تخن انثى زوجها " . قال الحافظ ابن حجر في شرحه لهذا الحديث : (وقوله " لم تخن انثى زوجها " فيه إشارة إلى ما وقع من حواء في تزيينها لآدم الأكل من الشجرة حتى وقع في ذلك ، فمعنى خيانتها أنها قبلت ما زين لها ابليس حتى زينته لآدم ، ولما كانت هي أم بنات آدم أشبهنها بالولادة ونزع العرق فلا تكاد امرأة تسلم من خيانة زوجها بالفعل أو بالقول وليس المراد بالخيانة هنا ارتكاب الفواحش حاشا وكلا ولكن لما مالت إلى شهوة النفس من أكل الشجرة وحسنت ذلك لآدم عد ذلك خيانة له ، وأما من جاء بعدها من النساء فخيانة كل واحدة منهن بحسبها ، وقريب من هذا الحديث " جحد آدم فجحدت ذريته " وفي الحديث إشارة إلى تسلية الرجال فيما يقع لهم من نسائهم بما وقع من أمهن الكبرى ، وأن ذلك من طبعهن فلا يفرط

---

(1) سورة طه 115، 116 .
(2) عمدة التفسير (1/ 136) .

في لوم من وقع منها شيء من غير قصد إليه أو على سبيل الندور ، وينبغي لهن أن لا يتمكن بهذا في الاسترسال في هذا النوع بل يضبطن أنفسهن ويجاهدن هواهن ، والله المستعان) [1].

وقال ابن كثير ـ رحمه الله ـ : (وكانت حواء أكلت من الشجرة قبل آدم وهي التي حدته على أكلها ، والله أعلم ، وعليه يحمل الحديث الذي رواه البخاري ...) ثم ذكر الحديث السابق[2] .

قلت : ومع هذا فلا يحسن أن يقال بأن آدم خرج من الجنة بسبب المرأة ، وإنما يقال بأنه ـ عليه السلام ـ خرج من الجنة بسبب مخالفته لنهي الله ـ عز وجل ـ بوسوسة من الشيطان مما ترتب عليه ابتلاؤه وذريته من بعده . وكان هذا قبل أن يتوب الله عليه ، ويصطفيه كأول نبي على وجه الأرض .

ـ أما قول الحمد بأن داود ـ عليه السلام ـ أذنب من أجل المرأة فهذا من افترائه متابعة لأشياخه اليهود الذين افتروا على داود ـ عليه السلام ـ في توراتهم المحرفة بأنه عليه السلام قتل أحد قواده بواسطة الخدعة حيث جعله في مقدمة الجيش لكي يتزوج بامرأته التي أُعجب بها داود ـ عليه السلام ـ بعد أن رآها عريانه !!! كما جاء في (سفر صموئيل الثاني ، الاصحاح 11) .

وقد تسللت هذه الكذبة الشنيعة من اليهود إلى تفاسير المسلمين عبر الاسرائيليات التي أخذوها منهم دون تمحيص لها .

حيث تذكر هذه القصة المكذوبة في تفسير قوله تعالى : (وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ)[3] .

وقد أجاد ابن كثير ـ رحمه الله ـ عندما قال عند هذه الآية : (قد ذكر المفسرون ها هنا قصة أكثرها مأخوذ من الإسرائيليات ، ولم يثبت فيها عن المعصوم حديث يجب اتباعه) [4] ثم ضعف القصة السابقة بأن في سندها (يزيداً الرقاشي) أحد الضعفاء في الحديث عند الأئمة .

---

(1) فتح الباري (6/ 424) .
(2) البداية والنهاية (1/ 78) .
(3) سورة ص ، الآية : 24 .
(4) تفسير ابن كثير (4/ 34) .

وقبله قال شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ :

(قد عرف كلام اليهود في الأنبياء وغضهم منهم ، كما قالوا في سليمان ما قالوا ، وفي داود ما قالوا)[1] .

وقال القاضي عياض: (لا تلتفت إلى ما سطره الإخباريون من أهل الكتاب ، الذين بدلوا وغيروا ، ونقله بعض المفسرين ولم ينص الله تعالى على شيء من ذلك في كتابه ، ولا ورد في حديث صحيح) قال: (وليس في قصة داود وأوريا خبر ثابت) [2].

وقال الشيخ محمد أبو شهبه في كتابه (الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير) : (والمحققون ذهبوا إلى ما ذهب إليه القاضي . قال الداودي : ليس في قصة داود وأوريا خبر يثبت ، ولا يظن بنبي محبة قتل مسلم)[3] .

وقال الدكتور البار بعد أن ذكر هذه القصة المكذوبة : (يالها من جريمة بشعة حقيرة تزعم التوراة (المحرفة) أن داود عليه السلام ارتكبها ، وهو لاريب منها برئ)[4].

قلت : شتان بين هذه القصة التي تصف نبي الله داود ـ عليه السلام ـ بالقتل والمخادعة في سبيل امرأة ، وبين قول الله تعالى عنه (اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ(17)إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالإِشْرَاقِ(18)وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ(19)وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ)[5] .

فقد وصفه تعالى بالقوة في العلم والعمل وأبان ذلك ε بقوله عنه بأنه " كان يصوم يوماً ويفطر يوماً ، ولا يفر إذا لاقى "[6]. وقال عنه " أحب الصلاة إلى الله صلاة داود ، كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه ، وينام سدسه " [7]

---

(1) الفتاوى (15/ 149) .
(2) الشفا (158/2)
(3) ص 268 .
(4) الله جل جلاله والأنبياء عليهم السلام في التوراة (ص361) .
(5) سورة ص ، الآية : 17-20
(6) أخرجه البخاري (3419) .
(7) أخرجه البخاري (3420) .

فأين هذا الوصف العالي من و صف التوراة المحرفة التي استساغ الحمد أن يتأثر بها وينقلها تشويهاً لصورة نبي الله ـ عليه السلام ـ !؟

ـ أما قول الحمد بأن سليمان ـ عليه السلام ـ قد سخَّر الجن من أجل المرأة ، فهذا من كذبه الذي يعرفه صغار المسلمين الذي يقرأون القرآن .

فسليمان ـ عليه السلام ـ لم يسخر الجن بنفسه ، وإنما الذي سخرها الله ـ عز وجل ـ .

قال تعالى عن سليمان : (قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ(35)فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ(36)وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ(37)وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ(38)هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ(39)وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ) [1].

وأما قصته ـ عليه السلام ـ مع (بلقيس) ملكة اليمن التي يلمح إليها الحمد فهي أن سليمان غضب منها ومن قومها عندما أرسلوا له المال والهدايا لعله يكف عنهم . فأمر من حوله من الجن والإنس بأن يحضروا له عرش بلقيس الذي لا يكاد يوجد مثله في عظمته ، فقال : (قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ) ولكن سليمان لم يقنع بهذا ، فقال (الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ) وهو كاتبه آصف بن برخيا كما يُروى عن ابن عباس : (أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ) أي : أن تنظر مد بصرك فلا تكل إلا والعرش عندك : (فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ) أي سليمان : (هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ)[2] .

أما سبب احضار العرش فليس لأجل المرأة كما يزعم الحمد ـ كذباً وافتراءً ـ وإنما لأجل أن يظهر سليمان عظمة ملكه لها ، وأنه

---

(1) سورة ص ، الآيات : 35-40 .

(2) سورة النمل ، الآيتان : 39-40 .

نبي من عند الله ، قد سخر له الإنس والجن فتستجيب لدعوته لها إلى دين التوحيد بعد أن كانت تسجد هي وقومها للشمس .

قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ : (إن سليمان أراد باحضار هذا السرير إظهار عظمة ما وهب الله له من الملك وما سخر له من الجنود الذي لم يعطه أحد قبله ولا يكون لأحد من بعده وليتخذ ذلك حجة على نبوته عند بلقيس وقومها لأن هذا فارق عظيم أن يأتي بعرشها كما هو من بلادها قبل أن يقدموا عليه)[1].

ـ أما قول الحمد بأن نبينا قد حُبب إليه النساء ، فهذا صحيح ، وقد ورد في هذا قوله : ((حبب إليّ من دنياكم النساء والطيب وجعلت قرة عيني الصلاة))[2].

وليس معنى هذا ما قد يظنه الحمد أو غيره من الجهلة أن هذه المحبة لأي امرأة ولو لم تحل له ـ والعياذ بالله ـ وإنما هذا خاص بزوجاته وما ملكت يمينه، وليس في هذا أي نقص لمرتبته ـ عليه الصلاة والسلام ـ بل هو بيان لكمال رجولته .

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ : (أما محبة الزوجات فلا لوم فيها ، بل هي من كماله ، وقد امتن سبحانه على عباده فقال : (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)[3].فجعل المرأة سكناً للرجل يسكن قلبه إليها ، وجعل بينهما خالص الحب ، وهو المودة المقرونه بالرحمة) قال : (ولا ريب أن النبي صلى الله عليه وسلم قد حُبب إليه النساء ، كما في الصحيح عن أنس عن النبي : "حبب إلي من دنياكم النساء والطيب ، وجعلت قرة عيني في الصلاة" قال : (فمحبة النساء من كمال الإنسان ، قال ابن عباس : خير هذه الأمة أكثرها نساء) قال : (فعشق النساء ثلاثة أقسام : قسم هو قُربة وطاعة ، وهو عشق امرأته وجاريته ، وهذا العشق عشق نافع ، فإنه أدعى إلى المقاصد التي شرع الله لها النكاح ، وأكف للبصر

---

(1) تفسير ابن كثير (376/3) .
(2) أخرجه أحمد والنسائي ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (3124) .
(3) سورة الروم ، الآية : 21.

والقلب عن التطلع إلى غير أهله ، ولهذا يُحمد هذا العاشق عند الله، وعند الناس)[1].

ـ أما قول الحمد بأن مزامير داود ـ عليه السلام ـ كلها عن المرأة ، فهذا كذب منه ، يريد به التهويل. قال الدكتور محمد البار ـ حفظه الله ـ وهو ممن اعتنى بدراسة المزامير :

(تنسب المزامير إلى مجموعة من أنبياء بني اسرائيل وأدبائهم وشعرائهم ، وتشتمل على 150 مزموراً ، منها 73 منسوبة إلى داود عليه السلام ، والأخرى منسوبة إلى موسى وسليمان ـ عليهما السلام ـ وإلى آساف وبني قورع وراجح وهيمان وأتيان ويدوتون)

وقال : (رغم أنه لم تثبت نسبة أي من هذه المزامير الموجودة لداود أو غيره، إلا أنها أصبحت جزءً من الفولكلور الشعبي اليهودي)[2].

وقال : (تُقسم المزامير إلى ثلاث مجموعات أساسية تندرج تحتها مجموعات أصغر . وهذه المجموعات الثلاث هي :

1 ـ مجموعة التسابيح .

2 ـ مجموعة صلوات الاستغاثة .

3 ـ مجموعة التعليم)[3] .

قلت : يتضح من هذا أن المزامير كلها عن دين اليهود وتسابيحهم وصلواتهم، وليست كما يزعم الحمد بأنها (كلها عن المرأة) !!!

والذي نعتقده ـ كمسلمين ـ هو ماجاء في القرآن الكريم أن الله قد آتى داود ـ عليه السلام ـ كتاباً مقدساً هو (الزبور) قال تعالى : (وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا) [4].

ونعتقد أن داود ـ عليه السلام ـ قد وهبه الله صوتاً جميلاً يترنم به عند تسبيحه الله فتردد الجبال والطير معه .

---

(1) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (ص393-395 ـ 399) .
(2) المصدر السابق (ص386) .
(3) المصدر السابق (ص388 ـ 392) .
(4) سورة الإسراء ، الآية : 55 .

قال تعالى : (إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالإِشْرَاقِ)[1]، وقال: (يَاجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ)[2]، وأما قوله لأبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ : "يا أبا موسى ، لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود"[3].

فقد قال الخطابي : (قوله (آل داود) يريد داود نفسه ، لأنه لم ينقل أن أحداً من أولاد داود ولا من أقاربه كان أعطي من حسن الصوت ما أعطي)[4] وقال الحافظ ابن حجر : (المراد بالمزمار الصوت الحسن ، وأصله الآله ، أطلق اسمه على الصوت للمشابهة)[5].

ـ أما قول الحمد (وسكر لوط في التوراة من أجل المرأة) !!

فهذا من أقبح تشنيعاته على أنبياء الله ، والتعريض بهم بخُبثٍ وسوء طوية ، حيث لم يُعقب على هذا الكذب بما يبينه ، وإنما ساقه متأثرًا به متابعةً لأحفاد القردة .

ثم أعاده في موضع آخر من روايته مبيناً قصده ، حيث قال على لسان هشام ـ كما سيأتي ـ (وزنت بنات لوط مع أبيهم)!!

وهذا الكذب الفاحش قد أخذه الحمد من التوراة (المحرّفة) حيث جاء فيها ـ كما في سفر التكوين ، الاصحاح 19: 30- 38 ـ أن ابنتي لوط ـ عليه السلام ـ قامتا بإسقائه خمراً حتى سكر ، ثم اضطجعتا معه ، فحبلتا منه !!!

وهذه الكذبة لا يُستغرب صدورها من قوم قد قال الله ـ تعالى ـ عنهم: ((أَفَكُلَّمَا جَاءكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ))[6] فمن كذب بعض الرسل وقتل بعضهم الآخر لا يستغرب عليه أن يفتري الكذب عليهم .

---

(1) سورة ص ، الآية :18 .
(2) سورة سبأ ، الآية : 10 .
(3) أخرجه البخاري (5048) .
(4) فتح الباري (8/ 711) .
(5) فتح الباري (8/ 712) .
(6) سورة البقرة ، الآية : 87.

قال ابن حزم ـ رحمه الله ـ بعد أن ذكر هذه القصة المفتراة: (هذه فضائح الأبد، وتوليد الزنادقة والمبالغين في الاستخفاف بالله تعالى وبرسله عليهم السلام)[1]

وقال ابن القيم رحمه الله ـ:

(ومن قدحهم [2]في الأنبياء : ما نسبوه إلى نص التوراة ، أنه لما أهلك الله أمة لوط لفسادها ، ونجى لوطاً بابنتيه فقط ، ظن ابنتاه أن الأرض قد خلت ممن يستبقين منه تسلاً . فقالت الصغرى للكبرى : إن أبانا شيخ ، ولم يبق في الأرض إنسان يأتينا كسبيل البشر ، فهلمي نسقي أبانا خمراً ونضاجعه ، لنستبقي من أبينا نسلاً ، ففعلتا ـ بزعمهم ـ فنسبوا لوطاً النبي عليه السلام إلى أنه سكر حتى لم يعرف ابنتيه ثم وطئهما وأحبلهما وهو لا يعرفهما ...)[3].

ـ أما قول الحمد بأن المسيح ـ عليه السلام ـ أبطل حد اليهود من أجل مريم المجدلية ، فلعله يشير إلى اتهام اليهود لمريم ـ رضي الله عنها ـ بالزنا من أجل حملها بعيسى ـ عليه السلام ـ دون زوج ، ومن ثمّ تكلم عيسى في المهد مبرئاً أمه من هذه التهمة الشنيعة التي وبخ الله اليهود لأجلها بقوله ـ تعالى ـ (وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا)[4] فما دخل هذه الحادثة بما يتحدث عنه الحمد ؟!

ـ أما قول الحمد (وخاف إبراهيم من فرعون مصر من أجل المرأة) فيشير إلى ما ما أخرجه البخاري في صحيحه عن النبي ε متحدثاً عن إبراهيم ـ عليه السلام ـ : ((بينما هو ذات يوم وسارة إذ أتى إلى جبار من الجبابرة ، فقيل له : إن ها هنا رجلاً معه امرأة من أحسن الناس ، فأرسل إليه فسأله عنها فقال : من هذه ؟ قال : أختي . فأتى سارة قال : ياسارة ليس على وجه الأرض مؤمن غيري وغيرك ، وإن هذا سألني عنك فأخبرته أنك أختي ، فلا تكذبيني . فأرسل إليها ، فلما دخلت عليه ذهب يتناولها بيده فأُخذ : فقال : ادعي الله لي ولا أضرك ، فدعت الله فأطلق . ثم تناولها الثانية فأُخذ

---

(1) الفصل في الملل والأهواء والنحل (1/ 224) .
(2) أي اليهود عليهم لعنة الله .
(3) إغاثة اللهفان (2/ 342- 343) .
(4) سورة النساء ، الآية : 156 .

مثلها أو أشد ، فقال : ادعي الله لي ولا أضرك ، فدعت فأطلق . فدعا بعض حجبته فقال : إنكم لم تأتوني بإنسان ، إنما أتيتوني بشيطان ، فأخدمها هاجر. فأتته وهو قائم يصلي ، فأومأ بيده : مهيم ؟ قالت : رد كيد الكافر ـ أو الفاجر ـ في نحره ، وأخدم هاجر)) [1]

قلت : وفي هذا الحديث بيان عصمة الله لابراهيم وزوجه أن تمسهما يد ظالم ، حيث كف سبحانه كيد هذا الملك عنهما .

ـ أما قول الحمد بأن المرأة كانت (وراء مباركة يعقوب بدلاً من عيسو) فيشير إلى ما جاء في الإسرائيليات التي دخلت علينا من أهل الكتاب وقد ذكرها المؤرخون في قصة يعقوب ـ عليه السلام ـ

قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ في البداية والنهاية :(ذكر أهل الكتاب أن اسحق لما تزوج رفقا بنت بتوابيل في حياة أبيه كان عمره أربعين سنة وأنها كانت عاقراً فدعا الله لها فحملت فولدت غلامين توأمين أولهما سموه عيصو وهو الذي تسميه العرب العيص وهو والد الروم ، والثاني خرج وهو آخذ بعقب أخيه فسموه يعقوب وهو إسرائيل الذي ينتسب إليه بنو إسرائيل .

قالوا : وكان اسحق يحب العيصو أكثر من يعقوب لأنه بكره وكانت أمهما رفقا تحب يعقوب أكثر لأنه الأصغر .

قالوا : فلما كبر اسحق وضعف بصره اشتهى على ابنه العيص طعاماً وأمره أن يذهب فيصطاد له صيداً ويطحنه له ليبارك عليه ويدعو له ، وكان العيص صاحب صيد فذهب يبتغي ذلك فأمرت رفقا ابنها يعقوب أن يذبح جديين من خيار غنمه ويصنع منهما طعاماً كما اشتهاه أبوه ويأتي إليه به قبل أخيه ليدعو له ، فقامت فألبسته ثياب أخيه وجعلت على ذراعيه وعنقه من جلد الجديين لأن العيص كان أشعر الجلد ويعقوب ليس كذلك ، فلما جاء به وقربه قال : من أنت ؟ قال : ولدك . فضمه إلى وجهه وجعل يقول : أما الصوت فصوت يعقوب وأما الجس والثياب فالعيص ، فلما أكل وفرغ دعا له أن يكون أكبر إخوته قدراً وكلمته عليهم وعلى الشعوب بعده وأن يكثر رزقه وولده .

---

(1) أخرجه البخاري (3358) .

فلما خرج من عنده جاء أخوه العيص بما أمره به والده فقربه إليه فقال له: ما هذا يا بني ؟ قال : هذا الطعام الذي اشتهيته فقال : أما جئتني به قبل الساعة وأكلتُ منه ودعوتُ لك ؟ فقال : لا والله . وعرف أن أخاه قد سبقه إلى ذلك)[1].

قلت : فهذه من أحاديث أهل الكتاب ، لاتصدق ولا تكذب ، وإن صحت ففيها بيان محبة الأم لابنها وحرصها على أن يكون محظياً عند والده ، ولاحرج في هذا.

تنقصات أخرى :

وقال الحمد في موضع آخر من روايته : (رحماك يارب الكون ... لماذا
خلقت حام طالما أن سام هو الحبيب ؟ ولماذا فضلت سام وصببت اللعنة على حام ؟ ما ذنبه إذا سكر نوح ، وزنت بنات لوط مع أبيهم ، في كتاب يقولون إنه كلماتك وإرادتك ؟)[2].

وفي قول الحمد مخاطباً ربه (لماذا خلقت حام ؟) سوء أدب ، ووقاحة ، وعدم تعظيم له سبحانه ، حيث وجه إليه سؤاله تعنتاً واعراضاً ، وقد قال تعالى : (لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ)[3].

وهو يشير بقوله : (لماذا فضلت سام وصببت اللعنة على حام ؟ ما ذنبه إذا سكر نوح ؟) إلى ما ورد في التوراة (المحرّفة)[4] التي هي عمدة الحمد في قدحه بأنبياء الله ! من أن نوحاً ـ عليه السلام ـ شرب من الخمر فسكر وتعرى داخل خبائه ، فأبصره ابنه حام (أبو كنعان) ، وأخبر أخويه (سام ويافث) ، فأخذ (سام ويافث) الرداء وسترا عورة أبيهما دون أن ينظرا إليها ، فلما أفاق نوح وعلم بذلك لعن حاماً وابنه كنعان ، ودعا أن يكون عبداً لأخويه، ودعا لسامٍ بالبركة من الله .

---

(1) البداية والنهاية (194/1) .
(2) الكراديب (ص137) .
(3) سورة الأنبياء ، الآية : 23 .
(4) (سفر التكوين ـ الإصحاح 9 : 20 ـ 27) ، وانظر (الفِصَل ...) لابن حزم (1/ 211) .

وهذه احدى كذبات اليهود وتشويههم لصورة الأنبياء في كتبهم المحرفة ، التي نقل منها الحمد دون تورع أو خجل ، ولكن بمكرٍ وخبث ، ومحاولة منه لا سقاط المثل والرموز ـ كما سبق ـ بأسلوب حقير يناسب طبعه وعقليته التي لا تقيم وزناً لأي شيء مقدس ـ كما يحاول أن يدّعي ـ !

قال الدكتور سعود الخلف ـ حفظه الله ـ بعد إيراده هذه القصة المكذوبة على نوح ـ عليه السلام ـ : (وهذا محض كذب وافتراء ، فإن الله عز وجل قد وصف عبده نوحاً في كتابه المهيمن بقوله : (ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا)[1])[2].

ـ وأما قوله القبيح (وزنت بنات لوطٍ مع أبيهم) فقد بينت كذبه ـ فيما سبق ـ وأنه مُتلقىً عن أبناء القردة ، من الذين جعلهم الحمد قدوته ، واتبع آثارهم في تعريضه بأنبياء الله ـ عليهم السلام ـ دون خوف من الله ـ عز وجل ـ الذي قال عن أنبيائه ـ عليهم السلام ـ (أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ)[3].

ـ وقال الحمد على لسان هشام في السجن: (يحس أنه هنا منذ أن حشر الإله الروح في جسد آدم . إنه يحس في داخله أنه كان معاصراً لقابيل وهو يقتل أخاه ، ولنوح وهو يصارع أمواج الطوفان ، وليونس وهو يصيح في بطن الحوت، ولأيوب والدود ينخره ، وليوسف في الجب ، والمسيح هو يصيح مصلوباً ، والنبي الأمي وهو يشكو)[4].

قوله (حشر الإله الروح في جسد آدم) هو من سوء أدبه مع ربه، وفيه اعتراض خفي على خلق آدم _ عليه السلام _ وكان الأولى به أن يقول : (نفخ الإلة الروح في آدم) كما أخبر القرآن : (إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ(71)فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ) [5].

---

(1) سورة الإسراء ، الآية : 3 .
(2) دراسات في الأديان : اليهودية والنصرانية (ص94) .
(3) سورة الأنعام ، الآية : 90 .
(4) الكراديب (ص213) .
(5) سورة ص : الآية : 71، 72 .

الحمد يعتقد صلب المسيح ـ عليه السلام ـ !!!

وكل هذا يهون أمام الطامة العظمى التي فاه بها الحمد ، وهي قوله : (والمسيح وهو يصيح مصلوباً) !!! فهو يخالف بقوله هذا نصوص الشريعة واجماع المسلمين من أن المسيح ـ عليه السلام ـ لم يصلب بل رفعه الله إليه وألقى شبهه على غيره ممن صلب ، قال تعالى : (وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ) [1].

والذي دعا الحمد إلى هذه الزلة العظيمة هو ـ كما سبق ـ متابعته لليهود والنصارى الذين يزعمون أن المسيح ـ عليه السلام ـ قد صلب ، وقد رد الله عليهم قولهم هذا في القرآن الذي يفترض أن يكون الحمد قد قرأه وآمن به! قال تعالى عن اليهود : (وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ) [2]. وهذه العقيدة وهي عدم صلب المسيح ـ لا يخالف فيها أي مسلم ، عامياً كان او عالماً ، وإنما خلاف بعضهم في أنه هل رفع ـ عليه السلام ـ بجسده كما عليه الجمهور وهو الصحيح لأنه موافق لقوله تعالى : (بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ)[3].

أم أنه تعالى توفاه بالنوم ثم قبض روحه كما يقبض أرواح البشر ، كما يختاره بعض العقلانيين من أمثال محمد عبده ومدرسته [4].

أما أنه عليه السلام قد صلب فهذا لم يفه به سوى المغضوب عليهم والضالين (وأذنابهم !) لأنه مصادم لما علم بالضرورة من دين الإسلام ، وهو تكذيب لله ـ عز وجل ـ

فهل يعي الحمد خطورة قوله هذا ؟! أم يتمادى في تجاوزه كل ما هو قطعي تحت دعاوى (الحرية !)؟ عندها نقول له : (يَاأَيُّهَا

---

(1) سورة النساء ، الآية : 157 .
(2) سورة النساء ، الآية : 157 .
(3) سورة النساء ، الآية : 158 .
(4) انظر : تفسير المنار (6/ 18) .

الرَّسُولُ لا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ)[1].

تنقص آخر لأنبياء الله :

قال الحمد على لسان هشام :

(نحن نحاول أن نفهم سر ما يجري ، ولكننا ننتهي إلى صخرة سيزيف ، ويبقى السر طلسماً قاتلاً من طلاسم سليمان الحكيم ، وتعويذات وزيره آصف بن برخيا العابثة ...) [2].

قلت : أما صخرة سيزيف فهي أسطورة يونانية لا شأن لنا به ولا بصخرته التي يحاول الصعود بها .

ـ أما قوله : (ويبقى السر طلسماً قاتلاً من طلاسم سليمان الحكيم) ! فهو افتراء منه تابع فيه اليهود الذين اتخذهم قائده ودليله في روايته ، فالقول ما قالوا ، والرأي ما رأوا ، والرواية ماروا ، وإن كان فيها تنقص أو شتيمة لأنبياء الله ورسله ، فكل هذا لا يهم (التوراتي) تركي الحمد ! الذي شابه قلبه قلوبهم في حملها الغل على أكرم الخلق فأصبح يهذي بما تهذي به يهود .

ومن ذلك متابعته لهم في اتهام سليمان ـ عليه السلام ـ بأنه ساحر !!! وقد رد الله هذا الكفر بقوله تعالى مدافعاً عن نبيه سليمان : (وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا)[3] .

قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ : (ان سحرة اليهود ـ فيما ذكر ـ كانت تزعم أن الله أنزل السحر على لسان جبريل وميكائيل إلى سليمان بن داود ، فأكذبهم الله بذلك واخبر نبيه محمداً ε أن جبريل وميكائيل لم ينزلا بسحر ، وبرأ سليمان ـ عليه السلام ـ مما نحلوه من السحر ، وأخبرهم أن السحر من عمل الشياطين) [4].

---

(1) سورة المائدة ، الآية : 41 .
(2) الكراديب (ص214).
(3) سورة البقرة ، الآية : 102 .
(4) تفسير ابن كثير (1/ 141) .

ـ وأما قوله(وتعويذات وزيره آصف بن برخيا العابثة) ! فلا أدري ما الداعي لكلمة (العابثة) ! أم أن الحمد أصبح لا يرى في كل شيء إلا العبث ؟

والذي ورد في تفسير قوله تعالى: (قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ) [1] أن آصف بن برخيا وكان يعلم اسم الله الأعظم دعا الله به فاستجاب دعاءه، وليس ذلك تعويذات عابثة كما يزعم (العابث) تركي الحمد .

سخرية الحمد وتنقصه شعائر الإسلام :

أما سخريته بشعائر الدين ، وتهوينه من أمرها؛ فمن ذلك أنه أخبر عن هشام بأنه (صلى الفجر مع خاله دون اغتسال) [2]!!

وقوله مهوناً أمر الصلاة : (حتى والده لم يكن يؤدي الفروض في المسجد أكثر الأحيان ، كأكثر أهل الدمام ، بل كان يؤديها في المنزل غالباً ، وذلك على عكس أهل الرياض والقصيم ..) [3] .

وقوله : (وبقي هشام وحيداً لا يدري ما يفعل ، هل يلحق خاله إلى المسجد ، أم يواصل النوم مثل أبناء خاله .. وأخيراً عزم على مواصلة النوم ، فلا ريب أن الأبناء أدرى بحال الدار ، واستلقى على فراشه ، وأخذ النسيم البارد ورطوبة السحر يداعبان أجفانه . وعندما كان المؤذن ينادي : " الصلاة خير من النوم ... الصلاة خير من النوم " ، كان قد أغفى تماماً) [4].

وقوله : (إنه لا يحب القصيم كثيراً . ففي الدمام أصحابه والأجواء التي اعتاد عليها والبحر ، وفي القصيم لا أصداء ولا بحر

---

(1) سورة النمل ، الآية : 40 .
(2) الشميسي (ص 44) .
(3) الشميسي (ص 136).
(4) العدامة (ص93) .

، وفوق كل ذلك صلاة الفجر التي لا بد أن يؤديها جماعة في المسجد مع جده .عندما يلذ للعين الرقاد)[1].

سخريته وتنقصه أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم :

فمن ذلك قوله على لسان وليد مخاطباً هشاماً :

(أنت تتحدث عن الموت وكأنه كائن مجسد ، وليس حادثه أو حالاً .

وضحك هشام باقتضاب وهو يقول :

ـ وما أدراك أنه ليس كائناً ؟ .. ألا يقولون إن الملاك عزرائيل هو قابض الأرواح ؟ أوليس ذاك الهيكل العظمي الأسود هو الموت بعينه ؟ ألا يقولون إنه بعد انتهاء الحساب يوم القيامة يؤتى بالموت على شكل خروف فيذبح على الحدود بين الجنة والنار ؟

ثم وهو يضحك :

ـ لقد ذكرتني بنزار وقصائده المتوحشة .

ثم وهو يعتدل في جلسته :

ـ ولكن أتدري ما يحيرني يا وليد ... هل يمكن للموت أن يموت ؟ كيف يموت من هو ميت أصلاً ؟ وإذا كان الموت يميتنا ، فمن يميت الموت ؟ ... الله ؟ .. هو الحياة ذاتها فكيف يمكن للحياة أن تميت ؟ .. حقاً يا لها من حيرة) [2].

قلت : أما تسميته ملك الموت بعزرائيل فهو من جهله ، لأنه لم تصح هذه التسمية في أي من الأحاديث الصحيحة [3]، و الله ـ عز وجل ـ سماه في القرآن ملك الموت ولم يذكر له اسماً غيره .

قال تعالى : (قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ) [4].

---

(1) العدامة (ص 252) .

(2) الكراديب (ص192) .

(3) قال الشيخ الألباني في (أحكام الجنائز ـ ص156) : "أما تسميته ـ أي ملك الموت ـ بعزرائيل فمما لا أصل له ، خلافاً لما هو المشهور عند الناس ، ولعله من الإسرائيليات !" وقال الشيخ بكر أبو زيد في (معجم المناهي اللفظية ـ ص238) : "لا يصح في تسمية ملك الموت بعزرائيل حديث".

(4) سورة السجدة ، الآية : 11 .

وأما قوله : (ألا يقولون إنه بعد انتهاء الحساب يؤتى بالموت على شكل خروف ...الخ) فهو من سخريته بأحاديث النبي ε ، وإلا فإنه يعلم أنهم لا يقولون ، وإنما القائل هو محمد ε [1]، الذي قال في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري ومسلم : " يجاء بالموت كأنه كبش أملح ، فيوقف بين الجنة والنار فيقال : يا أهل الجنة! هل تعرفون هذا ؟ فيشرئبون وينظرون ويقولون : نعم ، هذا الموت . ثم يقال : يا أهل النار ! هل تعرفون هذا ؟ فيشرئبون وينظرون ويقولون : نعم هذا الموت . قال : فيؤمر به فيذبح ، ثم يقال :يا أهل الجنة خلود فلا موت ، ويا أهل النار خلود فلا موت " ثم قرأ رسول الله ε : (وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ) [2].

أما تحيره : كيف يموت الموت ؟ فقد أجاب عنه العلامة ابن القيم ـ رحمه الله ـ بقوله تعليقاً على الحديث السابق : (وهذا الكبش والاضجاع والذبح ومعاينة الفريقين ذلك حقيقة لا خيال ولا تمثيل ، كما أخطأ فيه بعض الناس خطأ قبيحاً وقال : الموت عرض والعرض لا يتجسم ، فضلاً عن أن يذبح .

وهذا لا يصح ، فإن الله سبحانه ينشئ من الموت صورة كبش يذبح ، كما ينشئ من الأعمال صوراً معاينة يثاب بها ويعاقب ، والله ينشئ من الأعراض أعراضاً ومن الأجسام أجساماً ، فالأقسام الأربعة ممكنة مقدورة للرب تعالى ، ولا يستلزم جمعاً بين النقيضين ولا شيئاً من المحال ، ولا حاجة إلى تكلف من قال: إن الذبح لملك الموت! فهذا كله من الاستدراك الفاسد على الله ورسوله والتأويل الباطل الذي لا يوجبه عقل ولا نقل ، وسببه قلة الفهم لمراد الرسول ε من كلامه ، فظن هذا القائل أن لفظ الحديث يدل على أن نفس العرض يذبح ، وظن غالط آخر أن العرض يعدم ويزول ويصير

---

(1) ومن جهله بحديث النبي ε أنه يعزو إليه حديثاً لا أصل له وهو قوله : " السلام سنة ورده واجب " !!! وهذا من أقوال (بعض) الفقهاء ، وليس هو من حديث النبي ε كما يتوهم الحمد !

(2) سورة مريم ، الآية : 39 .

مكانه جسم يذبح ، ولم يهتد الفريقان إلى هذا القول الذي ذكرناه ، وأن الله سبحانه ينشئ من الأعراض أجساماً ويجعلها مادة لها ، كما في الصحيح عنه ε " تجي البقرة وآل عمران يوم القيامة كأنهما غمامتان " الحديث ، فهذه هي القراءة التي ينشئها الله سبحانه غمامتين) [1].

بغض الحمد لعباد الله الصالحين :

كما أن الحمد أبغض ربه ـ عز وجل ـ وملائكته ، وأنبياءه وكتبه ، وشرائعه ، فإنه حتماً سيبغض عباده الصالحين ، وسيبغض ما يصدر عنهم من أقوال أو كتابات .

وإليك ما يشهد لهذا :

يقول الحمد متحدثاً عن هشام :

(أخذ يقلب الكتاب الذي أعطاه إياه عدنان ، " المنقذ من الضلال " للغزالي كان لا يحب هذا النوع من الكتب)[2] .

وهذا النوع من الكتب يعني به الكتب الإسلامية التي تقربه من الخير ، وتباعده من الشر فهو لا يطيقها ، ولا يحبها ، بل يهرع إلى كتب أحبابه من الفلاسفة والماركسيين الذين يجد عندهم ما يروي ظمأه ، ويوافق طبعه فالطيور على أشكالها تقع.

ويقول الحمد على لسان مهنا :

(أرجو أن لا تتحدث عن البعثيين أو القوميين العرب أو حتى الدراويش من الاخوان المسلمين ... كل هؤلاء سذج ومزيفون) [3].

ويقول على لسان والد هشام متحدثاً مع ابنه :

---

(1) حادي الأرواح (ص344- 345) .

(2) الشميسي (ص66) .

وليعلم أن كتب الغزالي عليها مؤخذات كثيرة من إسراف في علم الكلام ، وترغيب في التصوف ، واستشهاد بالضعيف . وقد بين هذا العلماء المحققون ، (انظر : أبو حامد الغزالي لعبد الرحمن دمشقية ، والعقيدة السلفية في مسيرتها التاريخية للشيخ محمد المغراوي) ،والحمد لا يفرق في بغضه للكتب الإسلامية بين الغث والسمين، فهو يعمم حكمه ذلك دون أي تفريق كما قد يفهم (البعض) .

(3) العدامة (ص283) .

(ولكن ما لقيت إلا البعثيين كي تصبح منهم ... أطقع ناس ... ولا أخرط منهم إلا الشيوعيين والإخوان)[1] !!

ويقول عن (الاخواني) لقمان :

(يا لك من منافق يالقمان ... تخدم ألف إله وإله ، ثم تقول لا إله إلا الله ... قاتل الله الحياة ، فهي النفاق بعينه قاتل الله الحياة فهي التي تجعلنا عبيداً دون أن نريد ، وأسياداً ونحن نريد ولا نريد . قاتل الله حياة تذلنا فيها لقمة ، وتأسرنا كلمة ، وتستعبدنا شهوة ، ويموت فيها الطيبون .. ثم نقول لا إله إلا الله)[2] .

قلت : جماعة الإخوان إحدى الجماعات الإسلامية الشهيرة التي يعرفها معظم الناس، نشأت في مصر ثم امتدت إلى معظم بلاد العالم . وهي جماعة عليها مؤاخذات كثيرة من عدم اهتمام بنشر العقيدة السلفية ، أو تعليم للعلم الشرعي النافع ، وإنما همها (التجميع) والوصول إلى الحكم بأي طريقة[3].

ومع هذا فلا نؤيد (الماركسي) (البعثي) تركي الحمد في طعنه بها ، فشتان بين جماعة إسلامية (مقصرة) وبين جماعات ومذاهب (كافرة) عدوة للإسلام والمسلمين .

هذا عن نقده واستهزائه بجماعة الإخوان المسلمين، أما غيرهم من عباد الله (الملتزمين) فقد نالهم ما نال أولئك من سخرية لاذعة بأسلوب مبطن . يقول الحمد عن (عدنان العلي) صديق هشام : (لم يكن عدنان يأتي إلى المقصف وحده ، فغالباً ما كان يرافقه زميلان من ذوي اللحى المتروكة وشأنها دون تهذيب ، وبعض الأحيان يزدادون إلى خمسة ، يشربون الشاي ويتحدثون بهمس لا يكاد يسمع ، وكان أكثر ما أثار استغراب هشام هو أنهم لا يبتسمون أبداً ، وإذا حدث ذلك من أحدهم ، غطى فمه بطرف غترته وكأنه يعتذر ، ثم يعود إلى تلك الملامح التي لا توحي بشيء) [4].

---

(1) الشميسي (ص385- 386) .

(2) الكراديب (ص184) .

(3) انظر للزيادة : (دعوة الإخوان المسلمين في ميزان الإسلام) لفريد الثبيت ، و وقفات مع كتاب للدعاة فقط) لمحمد العجمي و (حوار هادئ مع إخواني) لأحمد الشحي .

(4) الشميسي (ص73) .

قلت : تأمل هذه السخرية المتكلفة التي أراد الحمد إيصالها إلى ذهن قارئه، بأن كل من التزم بدين الله ، فهو لا شك سيكون متجهماً لا يبتسم ، وإذا ابتسم فإنه سيعتذر من ابتسامته !! ونسي أن هؤلاء الملتزمين هم أول من يعمل بحديث النبي ε ، " تبسمك في وجه أخيك لك صدقه " [1] ولا يجدون غضاضة في هذا التبسم لأنه سنة نبيهم محمد ε ، فلماذا تعمد الحمد قلب الحقائق ، الأجل أنهم لم يبتسموا في وجه (ماركسي) (بعثي) !؟ أم أنه الحقد الذي يحمله في صدره على كل (ملتزم) فأراد تفريغ بعضه في روايته هذه عبر هذا الأسلوب المبطن ؟ ثم تأمل ـ أخي القارئ ـ سخريته بسنة محمد ε (اللحية) بهذا الأسلوب الحقير(اللحى المتروكة وشأنها دون تهذيب) !! وهو تهويل منه ومبالغة ، لأن الجميع لا يكاد يجد مثل هذا الصنف المتخيل ، فلماذا تقليل الكثير وتكثير القليل يا تركي !؟ ولم يكتف الحمد بهذه السخرية السابقة باللحية لأنها لم تشف غيظه من أهل الإسلام ، فرددها مرة أخرى عندما قال متحدثاً عن هشام :

(ثم فتح الباب عن وجه أحد زملاء عدنان بلحيته الكثه ، ورأسه الحليقة تماماً) [2].

فزاد على سخريته باللحية اتهام الصالحين بأنهم يرون السنة حلق الرأس ، ولهذا هم يحلقون رؤسهم اتباعاً لها ، وهذا كذب عليهم وهو اتهام قديم قال به أعداء دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله ـ عندما اتهموه وأتباع دعوته بأنهم يحلقون رؤسهم ، ويأمرون من اتبعهم بحلق رأسه ! ، ولهذا فهم من الخوارج الذين قال فيهم النبي ε : "سيماهم التحليق " [3]! ثم جاء الحمد مردداً هذه التهمة الباطلة متابعة منه لأعداء الدعوة التي شرق بها العلمانيون والملحدون.

وهذا الاتهام باطل ، لأن الشيخ محمد بن عبدالوهاب وعلماء الدعوة وأتباعها يتبعون في هذه المسألة أحاديث النبي ε التي تجعل

---

(1) أخرجه الترمذي (1/ 354) وصححه الألباني في الصحيحة (572) .
(2) الشميسي (ص194) .
(3) أخرجه مسلم

أمر الشعر من أمور العادات التي يتبع فيها المرء عادة بلده في ابقاء الشعر أو حلقه . وإنما ينهى عن القزع ، وهو حلق بعض الشعر وترك بعضه لنهي النبي ε عن ذلك .

قال الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب ـ رحمه الله ـ راداً على من ادعى بأن علماء الدعوة يكفرون من لم يحلق شعر رأسه !! : (إن هذا كذب وافتراء علينا ، ولا يفعل هذا من يؤمن بالله واليوم الآخر ، فإن والردة لا تكون إلا بإنكار ما علم بالضرورة من دين الإسلام ، وأنواع الكفر والردة من الأقوال والأفعال معلومة عند أهل العلم ، وليس عدم الحلق منها ، بل ولم نقل أن الحلق مسنون ، فضلاً عن أن يكون واجباً ، فضلاً عن أن يكون تركه ردة عن الإسلام !

والذي وردت السنة بالنهي عنه هو القزع ، وهو : حلق بعض الرأس وترك بعضه ، وهذا الذي نهينا عنه ، ونؤدب فاعله)[1] .

مباحث أخرى

ـ تنقص الحمد قبيلة النبي ε
ـ حقده على حكومة المملكة العربية السعودية
ـ محبته للرافضة .
ـ المواقف الجنسية في ثلاثيته .
ـ العبارات الوقحة .

تنقص الحمد قبيلة النبي صلى الله عليه وسلم :

لم تسلم قبيلة قريش ـ وهي أفضل القبائل ـ من لمز الحمد في روايته حيث قال على لسان عارف:

(طز في قريش يا صاحبي ... ولماذا يجعل نزار قريشاً مثلاً أعلى ؟.. ألأنها قبيلة النبي ؟ ... والنعم بأبي القاسم ولكن قريشاً لا ..

(1) الدرر السنية (10/275- 276) ط 5.

لقد جعلوا كل تاريخنا تاريخاً لقريش . ألم يكن هناك غير قريش في الساحة ؟) [1].

قلت : قبحك الله وأخزاك ! فقبيلة قريش التي تطعن فيها هي قبيلة محمدε (الذي تدعي الفخربه !!) [2] هي القبيلة التي كان منها أفضل الخلق بعد الأنبياء ـ عليهم السلام ـ وهم صحابة رسول الله ε ، من أمثال أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وسعد وطلحة وعبد الرحمن والزبير ... وغيرهم ـ رضوان الله عليهم ـ وهي القبيلة التي قال فيها ε : "إن الله اصطفى كنانة من ولد اسماعيل ، واصطفى قريشاً من كنانه ، واصطفى من قريش بني هاشم ، واصطفاني من بني هاشم " [3].

وأما ادعاؤك بأنهم جعلوا تاريخنا تاريخاً لقريش ، فكأنك تعرض بتوليهم أمر الأمة منذ الخلفاء الراشدين مروراً بالدولة الأموية وانتهاء بالعباسيين ، وهذا ليس مغمزاً فيهم وإنما فخر لهم أن قادوا الأمة ، ونشروا الإسلام ـ على تفاوت بينهم في ذلك ـ متبعين قول الرسول ε : " إن هذا الأمر في قريش ، لا يعاديهم إلا كبه الله على وجهه ، ما أقاموا الدين " [4].

قال الإمام أبو عمرو الداني حاكياً أقوال أهل السنة :

(ومن قولهم إن الإمامة في قريش مقصورة عليهم دون غيرهم من سائر العرب والعجم ، لقوله ε : " الأئمة من قريش ، ولا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي في الناس اثنان " ولإجماع المسلمين بعده ε على أن ولوا قريشاً) [5] .

أي ما أقاموا الدين كما في الحديث الذي قبله .

حقد الحمد على حكومة المملكة العربية السعودية :

---

(1) الكراديب (ص125).
(2) ولولا الخوف لطعن فيه !!!
(3) أخرجه مسلم (2276) .
(4) أخرجه البخاري (3500) .
(5) الرسالة الوافية لمذهب أهل السنة .. (ص 134) .

لم يعد خافياً على أحد أن التيارات الماركسية والشيوعية وما سار في ركبها هي جميعها حاقدة على الدولة السعودية المسلمة ، حيث كانوا يعدونها ـ في زمن الشعارات ـ أم الدول المتخلفة الرجعية !! لأنها لا زالت تحكم بالإسلام. فكانوا يُسَخرون كل طاقاتهم في سبيل محاربتها أو تغيير حكومتها إن استطاعوا . ولذا فقد سخروا إعلامهم للنيل منها ، والسخرية بها وبحكامها ، وسخروا كوادرهم لمحاولة تجنيد عملاء لهم فيها (كهشام العابر !!) لعلهم يقومون بانقلاب فيها ويسقطون حكومتها ، كما فعلوا في بعض الدول العربية .

كل هذا فعلوه لكن الله ـ عز وجل ـ رد كيدهم في نحرهم ، وأرجعهم خائبين خاسرين بفضله تعالى ثم بفضل جهود الملك فيصل ـ رحمه الله ـ وإخوانه الذين حاربوا (شراذم) الشيوعيين والبعثيين والقوميين ، وشردوهم ، ومزقوهم شرَّ ممزق ، واستماتوا في سبيل حماية دينهم وبلادهم من عبث العابثين وإن غلفوا ذلك بدعوى (التقدم) و (والتحضر) .

ثم دار الزمان دورته ، فإذا بهذه الدولة (الرجعية) ـ عند هؤلاء المنحرفين ـ ـ أعني السعودية ـ تصبح أعز دولة في عالمنا ديناً ودنيا ، حيث جمعت بين الدين الصحيح وهو (الدعوة السلفية) وبين التطور الدنيوي (المتواصل) [1].

أما تلكم الدول (التقدمية) ! ـ في نظر الحمد ـ فإنها حين أفاقت من سكرة الشعارات ، وجدت نفسها بلادين (صحيح) ولا دنيا (متقدمة) ، فدينها التقليد والخرافة[2]، ودنياها البؤس ، والشقاء . كما هو مشاهد لكل أحد. فبدأ الذين اساؤا للسعودية يعيدون النظر في حساباتهم ويتراجعون عن مواقفهم الخاطئة معها بعد أن انقشعت غشاوة الغوغاء والشعارات عنهم .

---

(1) ونسأل الله أن يستمر هذا الجمع بين (الدين والدنيا) وهو سهل على من اتقى الله . وأن نتخلص مما يخالف شرع الله ـ ولو كان قليلاً ـ ليستمر تألقنا.

(2) إلا بقية من المخلصين في تلك البلاد الذين ساروا على طريقة السلف الصالح في دينهم ، وهم الآن في ازدياد ـ بحمد الله ـ

ولم يبق منهم على طريقته الأولى سوى (حزب البعث) الذي لا زال يعيش أسيراً لتلك الفترة السابقة ، ولا زال يحاول النيل بما استطاع من الدولة السعودية : (حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ) [1] .

كل هذا أقوله مقدمة لما جاء في ثلاثية الحمد من نيل من الدولة السعودية، حيث صاغ كيده بأسلوب غير مباشر لأنه يعلم أنه لا يستطيع (المواجهة!).

يقول الحمد متحدثاً عن أحد اجتماعات (حزب البعث) في السعودية !

(ثم فجأة قال منصور بهدوء ودون أن ينظر إليه :

ـ ما رأيك في الحكومة يا هشام ... ؟

سؤال مباغت لم يكن يتوقعه ، مثل قنبلة ألقيت فجأة . لم يحر جواباً ، أحسّ بالاضطراب ، ولاذ بالصمت . غير أن منصور عاود إلقاء قنابله ، موجهاً عينيه الثاقبتين إلى عين هشام مباشرة وهو يقول :

ـ لا داعي للإجابة . . . أنا أجيب عنك . . . إنها حكومة فاسدة لا هم لها إلا مصلحتها ، ونهب خيرات الشعب الذي لا حقوق له . . . إن الشعب مجرد عبيد أو رعايا على أفضل الأحوال ليس إلا . . .)[2] .

قلت : لا يستطيع الحمد أن يطعن في (الحكومة السعودية) صراحة ، ولذا فقد صاغ طعنه ـ بهدف إيصاله إلى القراء ـ على لسان منصور (البعثى) .

فحكومتنا عند الحمد (حكومة فاسدة لا هم لها إلا مصلحتها ، ونهب خيرات الشعب الذي لا حقوق له . . إن الشعب مجرد عبيد أو رعايا على أفضل الأحوال) !

ولهذا فالمطلوب ليس مناصحتها، إنما إسقاطها واستلام (حزب البعث) للسلطة بدلاً منها، حيث سيقوم هذا الحزب (العادل !

---

(1) سورة البقرة ، الآية : 109 .

(2) العدامة (ص23) .

) بإقامة حكومة (ديمقراطية !) تساوي بين الناس دون نظرٍ إلى (أديانهم !) ، وتوزيع الثروة بينهم بالتساوي !!

وسوريا والعراق خير شاهد على هذا !!!

وقال الحمد في روايته على لسان (الرفيق حديجان !)

(يا رفيق فهد . . . لقد تحدثنا عن الأمة كثيراً ، ولكن ماذا بشأن قطرنا هذا ، كيف السبيل إلى تحرره ؟)[1]

فالهدف هو تحرير (السعودية) واسقاط راية التوحيد ، ورفع راية (البعث) بدلاً منها ! (تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ)[2].

محبة الحمد للرافضة :

من أغرب الأمور في ثلاثية الحمد أنه يدعي أن الشيعة (الرافضة) كانوا على الحق ! ويوافق الروافض ـ الذين تربى في أحضانهم ـ في زعمهم أن أبا بكر وعمر عثمان ـ رضي الله عنهم ـ قد غصبوا الخلافة من على ـ رضي الله عنه ـ !! رغم أنه ـ كما يقول ـ لا يهتم بهذه المسألة التاريخية .

يقول الحمد : (قال منصور وهو يضحك بعصبية ، ثم أضاف : على فكرة ! ما رأيك في مسألة السنة والشيعة ؟

وبدون تردد أجاب : الحقيقة لا تهمني المسألة كثيراً ، ولا حتى قليلاً ، أنا أعتقد أنها شيء من مخلفات الماضي . مالنا ولعلي وعثمان ومعاوية . نحن أبناء اليوم ، ولدينا من الهموم ما يكفي)[3].

ويقول في موضع آخر : (نظر إلى راشد قائلاً :

ـ على فكرة يا أستاذ راشد . . . هل أنت شيعي ؟

وانتفض راشد ، وكأن ماساً كهربائياً أصابه ، قائلاً بحدة :

ـ كلا . كلا ، لماذا ؟

ـ لاشيء .لا شيء . أرجو المعذرة ...

---

(1) العدامة (ص120) .

(2) سورة البقرة ، الآية : 111 .

(3) العدامة (ص37 - 38) .

وندم على طرحه مثل هذا السؤال ، وحاول الاعتذار مرة أخرى قائلاً:

ـ أرجو ألا تفهمني خطأ . لا فرق عندي بين هذا المذهب أو ذاك . بل إني لا أهتم بكل المذاهب الدينية) [1].

ويقول على لسان (الشيوعي) عارف :

(كان الشيعة مع الحق . كانوا مع علي بن أبي طالب ، في مواجهة عمر وأبي بكر وعبيدة ، أصحاب المؤامرة لنزع الحق من أهله . عليك بمناقشات السقيفة وأنت تعلم أين الحق

ـ معك حق .

قال هشام :

ـ معك حق من الناحية التاريخية)[2] !!

فالحمد لا يهتم بمسألة الخلاف بين السنة والشيعة ، وإن تحدث فيها فإنه سيؤيد (الرافضة) !

فما أجمل أن نقول له : (الصمت حكمة) !! [3] .

وأنا لم أطل في دحض هذه المقولة من الحمد ، لأنه يكفي ذكرها للناس لبيان بطلانها ، وبيان ما يكنه الحمد نحونا (أهل السنة) من شنآن .

المواقف الجنسية :

من الأمور التي تلفت الأنظار في ثلاثية تركي الحمد هو طغيان المواقف (الجنسية) فيها ، فهي تزكم أنف القارئ بتكرارها

---

(1) العدامة (ص 51) .

(2) الكراديب (ص125- 126) .

(3) الكتب التي تحدثت عن بطلان مذهب (الرافضة) كثيرة جداً . من أبرزها كتاب (منهاج السنة) لشيخ الإسلام ابن تيمية، الذي فند شبهاتهم العقدية و(التاريخية) المزعومة ، التي يرددها المعاصرون منهم وممن وافقهم !

وتتاليها ، بل وتكلفها الواضح من قبل الحمد ، ولهذا فقد أخذت حيزاً كبيراً من الثلاثية ! فمن ذلك :

1- إبراز موقف (عبد الرحمن) ابن خال (هشام) وكأنه لا هم له في الدنيا إلا شرب الخمر والزنا بالمومسات وعلى رأسهن المومس (رقية). حيث تكررت أحاديث عبد الرحمن مع هشام حول مغامراته معهن هادفاً استدراجه إلى الوقوع في شباكهن كما وقع هو ، وهذا ما حدث .

2ـ قيام (عبد المحسن التغيري) رفيق هشام في العزبة بالزنا بإحدى جاراته واكتشاف هشام لهذا الحدث بعد مراقبته للعزبة حيث رأى إحدى النساء تخرج من عند عبد المحسن ، وتدخل (أحد المنازل المقابلة)[1] .

3ـ تصوير هشام في الرياض بعد وقوعه في المحرمات وكأنه (زير) نساء ، فهو قد زنا برقية ، ثم أتبعها بإحدى جارات خاله وهي سارة أو سويَّر ! ثم مثلثاً ببنت جيرانهم في الدمام : نورة !! وهذه المواقف مع تفاصيلها الدقيقة ! قد استهلكت صفحات كثيرة من رواية الشميسي.

4- تصوير علاقة هشام ببنت خاله (موضي) بأنها علاقة إعجاب من جانبها ثم نفاجأ بأن موضي المتحجبة ، العاقلة ، الرصينة . . . . الخ الصفات المثالية تقوم بحركة (غريبة) مع ابن عمتها بعد أن علمت بعلاقته مع سويِّر ، بعد أن قرر الذهاب إلى الدمام ، فلنستمع إلى الحمد وهو يقول متحدثاً عن موضي :

(ثم نهضت وهي تمسح عينيها بطرف غدفتها ، واتجهت إلى الباب وهي تقول : " المهم أن تعود إلينا سالماً ... ليحفظك الله ... " ، وأسرعت في الخروج . ولكنها ما لبثت أن عادت مرة ثانية ، ووقفت عن الباب وهي تقول :

ـ هشام ... هل لو كشفت لك وجهي أكون قد تجاوزت حدودي ؟

ـ ليس بيننا حدود يا موضي ... ستبقين موضي العزيزة سواء تحجَّبت أو كشفت...

---

(1) الشميسي (ص34) .

وبحركة مفاجئة ، أزالت موضي غدفتها كاشفة عن وجهها ، ثم تقدمت منه ، وطبعت قبلة سريعة على خدَّه ، ونظرت إليه بعينين حمراوين مبتلتين ، وغادرت بخطوات مرتبكة)[1] .

قلت : فحتى موضي التي صُورت في الثلاثية وكأنها محافظة وابنة عائلة تسقط في مقدمات الرذيلة مع ابن عمتها ، حيث كشفت له عن وجهها ، ثم تجرأت ـ (لاحظ : هي لا هو !!) بتقبيله ! ولا نعلم ماذا سيحدث لو بقي هشام ... أو تبعها !! .

5ـ الوصف الدقيق منه للمواقف (ا لجنسية) السابقة بشكل مقزز ، كما في وصفه لزنا عبد الرحمن وهشام بالمومس (رقية) في طريق خريص !

وكما في وصفه لرؤية هشام لعليان زوج سوير وهو يجامعها !

6ـ تصويره لأفراد شلته بأنهم أصحاب تمرس بالعلاقات النسائية ، يقول تركي عنهم: (كانوا يتحدثون عن مزنة وبدرية وهيلة وعائشة وعواطف وابتسام ومنى، وهو لا يجد ما يقول ... كان يود الحديث عن نورة وعن رقية ، وقصص عن موضي يؤلفها... ولكن شيئاً كانت يمنعه ، فكان يصمت ، ويغرق نفسه في مبادئ القانون والإقتصاد ، حتى أصبح يسمى بفأر الكتب ، أبو أربع عيون ... ورغم الوصف الذي كان يضايقه ، فقد كان محل ثقة الجميع وحبهم . كانوا يقصدونه لفهم ما استغلق عليهم فهمه من مواد ، أو في حل مشاكلهم العاطفية ، وكانوا يستشيرونه في جمال فتياتهم وهم يجلبون صورهن في الجيوب ...)[2] .

7ـ وصفه لنساء شارع (الحب) في الدمام ، حيث يقول: (ولفت نظره إحداهن ، كانت تسير الهوينا وقد التفت بعباءتها ، ووضعت حجاباً رقيقاً على وجهها لا يستر شيئاً منه .لم تكن جميلة الوجه ، ولكنها كانت ممتلئة إلى حد البدانة ، بردفين ضخمين يفرِّق بينهما فج واضح وعميق ، يجعلهما في حالة من التأرجح الدائم . وأثار

---

(1) الشميسي (ص202- 203) .
(2) الشميسي (ص 72) .

منظر عجيزتها المترجرجة جوارح هشام ، وارتفعت حرارته وأخذ ينظر إليها بشبق ، وهو يدخن سيجارة بعمق ، وأحست المرأة بنظراته ، فنظرت إليه بدورها وابتسمت بإغراء ، ولكنه عدل عن مغازلتها في آخر لحظة ، وسار في طريقه على عجل . لكم غيرته الرياض ... لقد عاش في الدمام طوال حياته ، وجاء إلى شارع الحب أكثر من مرة ، ولكنه لم يلاحظ ما لا حظه اليوم ، ولم يدر في خلده ما دار)[1] .

8ـ قوله في وصف رؤية هشام لموضي ابنة خاله :

(وعادت موضي مرددة : " زين ... زين ... اتبعني " واخذت في صعود درجات السلم المقابل للمجلس وهو يتبعها ... لم يستطع إلا ملاحظة استدارة عجيزتها وهي تصعد الدرج أمامه ... أثاره المنظر ولكنه أشاح بوجهه عن ردفيها اللذين كانا في حالة اهتزاز شديد مع كل درجة تصعدها ، فحاول تشتيت ذهنه)[2].

قلت : فهذه المواقف (الجنسية) الكثيرة ، مع محاولة تضخيمها وتكلفها (أحياناً) توحي للقارئ بأحد أمرين متلازمين :

الأمر الأول : أن تركي الحمد يتكلم عن واقع عاشه أو رآه خلال حياته الماضية فانطبع في ذهنه ومخيلته فارتبط كل حديث عن الماضي بتلك الأحداث والمغامرات (الجنسية) لأن الإنسان لا يستطيع مهما فعل أن ينفصل كلياً عن ماضيه بل تبقى صور كثيرة (يراها مهمة) تتخايل بين عينيه عند كل ذكرى ماضية .

فإذا قلنا بهذا الأمر فإن الحمد لم يعد يرى أثناء دراسته في الرياض سوى هذه المواقف (الجنسية) التي أثرت فيه، واستهلكت منه وقتاً (وجهداً !) .

الأمر الثاني : الذي يهدف إليه الحمد من خلال تضخيم هذه المواقف ، وإبرازها، وتكلف بعضها ـ كما سبق ـ هو محاولةٌ لا سقاط جميع المثل التي يعتقدها الناس ، وأن الإنسان مهما ادعى الصلاح أو المثالية فإنه مجرد حيوان يجري خلف شهواته مهما حاول اضفاء

---

(1) الشميسي (ص 129) .
(2) العدامة (ص107) .

هالة الشرف والعفة على شخصيته ، وما هذه الهالات المفتعلة التي يعيشها الناس مع بعضهم إلا ستار وقناع يخفون وراءه ألواناً عديدة من الآثام والسقوط ، فلو تأملنا الثلاثية جيداً للمحنا فيها هذا الهدف الذي يسعى إليه الحمد، بل تجرأ فيه كثيراً .

نلمح ذلك في التالي :

1ـ سقوط هشام في الإثم خلال عيشته بالرياض بعد أن كان يعيش مثاليات زائفة في الدمام مع والديه .

2ـ سقوط سوير زوجة عليان في الرذيلة مع هشام .

3ـ سقوط نورة ابنة جيرانهم في الدمام في الرذيلة معه .

4ـ سقوط موضي ابنة خاله في أول درجات الرذيلة .

5ـ عبارات كثيرة يطلقها الحمد في ثلاثيته تنبئ عن هذا الهدف ، ومن ذلك :

أ ـ قول الحمد على لسان عبد الرحمن ابن خال هشام بعد أن وصف له زناه بإحدى النساء : (من قال لك إن كل من تسكن عند أهلها عذراء) [1].

ب ـ قوله واصفاً حال هشام في الرياض : (وفي الرياض سقطت باقي المثل التي زرعتها أمه في ذاته) [2].

ج ـ قوله واصفاً مدينة الرياض على لسان عبد الرحمن : (كل شيء ممكن في الرياض) [3] بعد أن قال هشام : (كنت أظن أن الخمر غير موجود في الرياض).

د ـ قوله ـ على لسان عبد الرحمن موجهاً خطابه إلى هشام : (سأجعلك تكتشف الرياض كما لم تكتشفها من قبل . ساريك رياضاً غير الرياض) [4].

هـ ـ قوله ـ أيضاً ـ : (في الرياض كل شيء ممنوع ، وكل شيء مباح)[1].

---

(1) العدامة (ص79) .
(2) العدامة (ص167).
(3) العدامة (ص88) .
(4) العدامة (ص 100) .

و ـ وقوله ـ أيضاً ـ على لسان عبد الرحمن : (ديرة عجيبه فعلاً ... كل شيء حرام وممنوع . وكل شيء مباح بشكل لا يتصور) [2].
ز ـ قوله على لسان هشام متحدثاً مع نفسه : (عليك الرحمة يا ابن آدم . ظننت نفسك أكرم الكائنات ، الذي طرد من أجله عابد الأزل من الرحمة والملكوت ، فاكتشفت أنك أتفه من ذبابة ، وأحقر من بعوضة) [3].
ح ـ قوله : (لقد مات أبوك آدم ، ولم يبق إلا إبليس ذو الصولجان ، كلهم اليوم لإبليس ساجدون ، ومن أجله يسعون) [4].
إذن فتركي الحمد يريد أن يقول لنا بأن جميع البشر سقطة منحرفون فاسدون فلا نغتر بالمثاليات الزائفة والأقنعة المخترعة يخفون وراءها حقيقتهم ، فهو يريد منا أن لا نتمسك بأي فضائل أو مثاليات .
فهي فلسفة (معرّية) [5] شابه بها رهين المحبسين حينما يقول :

وزهدني في الخلق معرفتي بهم
وعلمي بأن العالمين هباء

فالفكرة واحدة وهي عدم الاغترار بأي فضيلة أو مثاليات يتنكر الناس وراءها ، لأننا إذا دققنا في الأمر لم نجد إلا شياطين وأبالسة في مسوح بشر ، مما ينتج عنه أن تسقط من أعيننا كل الصور الجميلة والمثالية والشريفة والعالية التي رسمناها في مخيلتنا عن أفضل البشر سواء أكانوا من الأنبياء أم من أفضل القرون بعدهم ، أي الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ وأخزى من أبغضهم ! ـ
فإذا سقطت صور الأفراد المثالية من أعيننا سقطت تبعاً لها مجتمعاتهم التي كنا نظنها فاضلة !! حتى جاء الدكتور الفيلسوف ليحذرنا من الاغترار بهذا الوهم ، ويبين لنا أن لا فضيلة ترجى من

---

(1) العدامة (ص169) .
(2) الشميسي (39) .
(3) الكراديب (ص252) .
(4) الكراديب (ص253) .
(5) نسبة إلى أبي العلاء المعري أعمى القلب والبصر ! الذي ألح على هذه المسألة في أشعاره التشاؤمية .

(بني آدم) ! فهم ما داموا من أبناء آدم لا شك مخادعون منافقون يخفون حقيقتهم خلف حجاب من الفضيلة والمثالية المزيفة .

إذن : لا تطالبونا بأن نترسم خطى القرون الثلاثة المفضلة التي أثنى عليها رسول الله ε ولا تنخدعوا بمظاهر الصلاح التي يبديها بعض الناس لكم سواء أكانوا من العلماء أو الدعاة أو الصالحين ، فإنها قد تتكشف عن انحرافات ومفاسد لا تتخيلونها .

ومما يثير العجب تركيزه على إظهار مدينة (الرياض) وكانها من مدن الفجور والفاحشة أمثال: بانكوك أو .. أو .. من المدن التي يعرفها أهل الفساد ! وكأنه يقول لنا بأن هذه المدينة التي هي قاعدة بلادنا وعاصمتها ومنبع الخير فيها بما تضمه بين جنباتها من رجال ونساء صالحين إن هي إلا مدينة كغيرها من المدن (الفاسدة) التي يعرفها الناس ويزدرونها .

فكما أسقط الحمد الرموز البشرية من أفراد ومجتمعات من مخيلتنا فهو سيتبع ذلك باسقاط مثاليات المكان ... ليخبرنا بأن لا مكان مقدَّس أو مطهَّر . ويضرب لذلك مثلاً بمدينة الرياض، التي نحسن الظن فيها وفي أهلها .

قد يقول قائل بأن سياق الثلاثية هو الذي اضطر الحمد إلى ذلك ، لأن هشاماً لم يتعرف على حياة المعصية إلا في الرياض ، فهو في الدمام صغير ، وفي جدة في السجن ، فلم يبق إلا الرياض .

قلت : قد: قال هذا فنعذر الحمد لو كان موقفاً واحداً أو عبارة واحدة ذم فيها الرياض. أما وهو قد كرر هذا الذم وألح عليه بشكل غريب ومفتعل فإن وراء الأكمه ما وراءها ، وحق لمدينة الرياض أن تقول له :

ولو كان سهماً واحداً لا تقيته

ولكنه سهمان ثانٍ وثالث

الحاصل : أن الحمد قد هوَّن جانب الانحراف ، والسقوط في الرذيلة ، وجعله يهيمن على أبرز شخصيات ثلاثيته ، شأنه في ذلك شأن

نجيب محفوظ في ثلاثيته ـ كما سبق ـ [1] لأنهما جميعاً يصدران من مصدر واحد هو مصدر (الماركسية!) الذي لا يقيم معتنقوها أي وزن للأخلاق ، بل يسعون إلى هدمها في نفوس الناس ، حتى يتساوى ـ في نظرهم الزنا بالنكاح ـ ، والفضيلة بالرذيلة . يقول الشيخ عبد القادر شيبة الحمد : (الخُلُق الوحيد الذي آمن به الشيوعيون هو وجوب مخالفة سائر الأنظمة الأخلاقية ، ومحاربة عموم أنواع الآداب المرعية في المجتمعات الإنسانية ، وبخاصة ما كان منها نتيجة للأوامر الإلهية، وقد قادهم هذا الشذوذ الخلقي إلى هتك الأسرة ، ومحاربة ناموس الزواج، ورأوا أن هدم ذلك من أقوى دعائم الشيوعية فتساوي الزواج والزنا في نظامهم) [2].

نسأل الله العفو والعافية ، أن لا يجعلنا ممن قال فيهم : (إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ) [3]

العبارات الوقحة :

استخدم الحمد في ثلاثيته عبارات (وقحة) لم تتعود آذاننا على سماعها ممن تأدب بآدبنا .

فمن ذلك أنه يتحدث عن مخلوقات الله ـ وهي الشمس ـ واصفاً إياها بالوقاحة ! وهو أولى بهذا الوصف ، لأن الشمس مخلوق مسخَّر في جو السماء يسير بانتظام ويدل على عظمة الخالق ـ سبحانه ـ فكان الأحرى بالحمد أن يتفكر في خلقها ، ويستدل به على عظمة ربه ، لا أن يتفاحش بهذا الكلام البذيء .

يقول الحمد :

(عندما كانوا يهبطون طلعة ديراب على خط الحجاز ، كانت الشمس قد بدأت تبزغ على استحياء ، وعندما وصلوا إلى مرات

---

(1) مع فارق واحد بينهما ، هو أن محفوظاً يتعذر عن مومساته ، بأن الظروف الاقتصادية أجبرتهم على ذلك ، فلا تلوموهنَّ ، شأنه في ذلك شأن الماركسيين الأقحاح !

(2) مقال بعنوان (الشيوعية) في مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة السنة الثانية (عدد3) .

(3) سورة النور ، الآية : 19 .

كانت قد بدأت في ممارسة وقاحتها وإرسال تلك الأشعة النارية الرهيبة)[1]!

ويقول :

(وأخذت الشمس في ممارسة وقاحتها ، وتتحول إلى جحيم لا يُطاق)[2]!

ومن وقاحة الحمد أنه تحدث عن أمه (أي أم هشام !) في روايته بحديث لا يصدر عن عاقل .. فتأمله وتعجب من سخافته حين يقول : (وصب هشام ربع البيالة عَرَقاً ، ثم أضاف إليه الكولا ، وأخذ رشفة سريعة استطعمها في فمه ، ثم تجرع ربع البيالة تقريباً ، ولم يحس إلا وقد اشتعل حلقه بالنار انتقلت إلى جوفه ، وأخذ اللعاب ينساب بشدة في فمه ، والرغبة في التقيؤ ، ولكنه تمالك نفسه ، وازداد إفراز اللعاب في فمه ، ثم أحس ببعض الراحة في جوفه ، ودوار في غاية اللذة يغزو رأسه من الداخل . وشرب ربعاً آخر فأحس أن نهراً يجري في فمه ، لم يكن الحريق بالشدة الأولى . دفع البيالة إلى عبد الرحمن ، ولكنه رفض قائلاً : " السجائر أقصى ما يمكن أن أصل إليه " فتجرع هشام بقية البيالة ، دون أن يحس بأي حريق هذه المرة ، وأخذ ينظر إلى رقية . لقد كانت في غاية الجمال والفتنة ، بل كان كل شيء في غاية الجمال . ذهب الذنب وأحاسيسه المؤلمة ، وانتفى الخجل ، وكان وجه أمه يبدو له واضحاً ، ولكنه كان ينظر إليها ببلادة ولا مبالاة ، وكان يود لو كان قادراً علىصفعها ، لكنه يشعر بمغص في الداخل ، فيزيح صورتها ويغرق في رقية)[3]!!

فهل يقول عاقل عن أمه ـ ولو كان على سبيل القصص ـ مثل هذا الكلام البذيء الذي يدل على تمردٍ دفين في نفس الكاتب على كل من يستحق (الطاعة) ولو كان أمه !؟

---

(1) العدامة (ص 254).
(2) العدامة (ص258) .
(3) الشميسي (ص42) .

نسأل الله العافية .

أوجه التشابه بين ثلاثية تركي الحمد

و

ثلاثية نجيب محفوظ

عندما تطلق (الثلاثية) في الرواية العربية فإنها تنصرف حتماً إلى ثلاثية نجيب محفوظ المشهور (بين القصرين ـ قصر الشوق ـ السكرية) فقد أصبحت علماً عليها ، وهي ـ تقريباً ـ التي شهرته على مستوى العالم ، وعرفتهم به ، نظراً لتفردها وتميزها عن رواياته الأولى .

وعندما أصدر تركي الحمد ثلاثيته انصرفت الأنظار والأذهان إلى المقارنة بين الثلاثيتين لمعرفة أوجه التشابه والتمايز بينهما . وكنت أحد هؤلاء الذين اهتموا بهذا الأمر عند دراستي لفكر تركي الحمد ، فعدت إلى أوراقي القديمة التي دونت فيها الخطوط الرئيسة لثلاثية نجيب محفوظ لمقارنتها بثلاثية الحمد ، لمعرفة هل جاء بجديد عليها ، أم أنه يقول مكرراً من القول ؟

فاتضح لي بالمقارنة أن الحمد قد سار في ثلاثيته مقتفياً أثر نجيب محفوظ في أمور رئيسة وجزئية من الثلاثية ، نظراً لتشابه فكريهما ـ كما سيأتي ـ ومما أكد لي هذا أن الحمد قد أكثر من ذكر قصص نجيب محفوظ في ثلاثيته ، وجعلها جزءً من ثقافة هشام العابر .. فمن ذلك :

1ـ أنه ذكر ثلاثية نجيب محفوظ نفسها في قوله عن أحلام هشام : (يأتيه صوت سي السيد أحمد عبد الجواد زاجراً وزبيدة تقهقه أمامه ، وكمال يرقص بينهما ، فيما ياسين يعض أرداف زنوبه)[1] .

ومعلوم أن هذه الأسماء هي الشخصيات الرئيسة لثلاثية محفوظ .

2ـ قوله عن هشام : (هو الفتى المثقف الذي يقرأ لماركس وماوتسي تونغ ودوستوفيسكي ونجيب محفوظ ...)[1] .

---

(1) العدامة (ص90) .

3ـ قوله عن هشام : (كان يذاكر ذات يوم هو وعدنان كعادتهما كل عام قبل الامتحانات بفترة ، ويختلس بعض اللحظات ليقرأ فيها رواية نجيب محفوظ الجديدة " أولاد حارتنا ") [2].

4ـ قوله عن هشام عند سفره إلى الدمام : (وعندما تحرك القطار أخيراً ، كان بدأ في قراءة " الطريق " لنجيب محفوظ)[3] .

5ـ قوله عن هشام في السجن : (أخذ ينظر إلى حركة الأشباح من حوله وهو يفكر ولا يفكر . وطاف بذهنه جحيم دانتي وأبي العلاء . وباربوس ، وغريب كامو ، وذباب سارتر ، وشحاذ محفوظ) [4]

ولكي نعرف مدى التشابه بين الثلاثيتين وكيفية استفادة الحمد من محفوظ لابد من عرض موجز لأحداث ثلاثية نجيب محفوظ ، ثم ذكر نقاط التشابه بينهما، لكي يتضح أن الحمد قد صاغ ثلاثية محفوظ بنفس مناسب لبلادنا ـ كما سيأتي ـ .

أحداث ثلاثية نجيب محفوظ .

1- بين القصرين :

-يعيش أحمد عبد الجواد في بيته بشخصية قوية متسلطة ـ كما سبق ـ أمام زوجته الضعيفة (أمينة) وأولاده ، ولكنه خارج البيت يمارس أنواع المحرمات من شرب خمر وزنا دون أن يعلم أولاده ، بحيث تبقى هيبته بينهم . يذهب أحمد عبدالجواد لدكانه الذي يشرف عليه وكيله (الحمزاوي) فيأتيه الشيخ الصوفي ! (متولي عبد الصمد

---

(1) العدامة (ص106).
(2) العدامة (224) .
(3) الشميسي (ص122).
(4) الكراديب (ص181) .

) صاحب الكرامات !! الذي يعمل الحجب والتمائم للناس ، لينصحه عن ولعه بالنساء .
ـ كمال يدرس ويحب درس (الديانة) الذي يشارك فيه لأنه يراجع الدروس مع أمه ، الذي يلتقي معها في حب (الحسين) .
ـ فهمي يحب بنت الجيران (مريم)، يتفرج عليها من السطح .
ـ ياسين يدور في الشوارع ويلتهم النساء بنظراته الشهوانية يتفرج على العالمة زبيدة وربيبتها زنوبة ويتأمل محاسنها ويتذكر خيانة أمه لأبيه مع (الفاكهاني) !
ـ أحمد عبد الجواد يتأمل جسد (زبيدة) العالمة عندما جاءته إلى الدكان . يحاول استدراجها ،ثم لا يدعها تدفع (الحساب) وفي المساء ذهب لزيارتها مع رفاقه .
ـ أحمد عبد الجواد يخبر ابنه ياسين بأن أمه ـ أي أم ياسين ـ ستتزوج من صاحب مخبز صغير السن . يغضب ياسين ، لأنه يطمع في فلوسها ، ذهب ياسين إليها ولامها وغضب عليها .
ـ فهمي يريد الزواج من (مريم) لكن والده يرفض بشدة .
ـ عائشة تغازل أحد الضباط من النافذة فتراها خديجة ، فتطلب منها عائشة أن لا تخبر أحدًا .
ـ (حسن أفندى) ضابط الجمالية يخطب عائشة ، فيرفض الأب !
ـ سافر أحمد عبد الجواد إلى (بور سعيد) في مهمة عمل ، فاستغل أهل البيت الفرصة ليتمتعوا بالحرية قليلاً ، خرجوا بأمهم لزيارة (الحسين) الذي تهيم به ، صدمتها سيارة ، فعادوا بها .
ـ عندما عاد أحمد عبد الجواد اعترفت له زوجته بما حصل بعد أن ألح عليها فطردها من المنزل ، فذهبت لبيت أمها .
ـ أم مريم تقوم بزيارة العائلة لتتشفع في إرجاع (أمينه) ، فيشعر أحمد عبد الجواد بأنها تهواه وتستدرجه لإقامة علاقة معها .
ـ حرم (شوكت) تزور أحمد عبد الجواد وتخطب عائشة لابنها ، فيوافق .
ـ عادت (أمينة) إلى البيت بعد أن عفا عنها زوجها .

ـ ياسين يقيم علاقة (غير شرعية) مع (زنوبة) فلما دخل عندها أخبرته بأن هناك رجلاً مع (زبيدة) هو أحمد عبد الجواد ! فتفاجأ ياسين لهذا الخبر ، وقد كان عهده بأبيه أنه جاد وصارم .
ـ ذهبت العائلة إلى بيت (آل شوكت) لزواج عائشة. (جليلة) العالمة تحضر الحفل وتسلم على أحمد عبد الجواد مع تضايقه منها خشية انكشاف علاقته السابقة بها . ياسين يخبر فهمي بحال أبيه ، فيندهش فهمي .
ـ ياسين يحاول اغتصاب (أم حنفي) الشغالة وهو سكران، فيغضب أبوه عليه، ثم يقرر أن يزوجه .
ـ زواج ياسين من (زينب)
ـ آل شوكت يخطبون (خديجة) لابنهم (إبراهيم) فيوافق أحمد عبد الجواد.
ـ مات (محمد رضوان) والد (مريم) فعزاهم أحمد عبد الجواد .
ـ أحمد عبد الجواد يتحدث مع رفاقه في الدكان عن (سعد زغلول) زعيم الأمة ! وجهوده ضد الاحتلال .
ـ ياسين يعود للخمر والنساء .
ـ أم مريم تزور أحمد عبد الجواد في الدكان لتستشيره .
ـ فهمي يشارك في (المظاهرات) ضد الانجليز المحتلين لمصر .
ـ ياسين يقيم علاقة (غير شرعية) مع الخادمة السوداء (نور) ! التي تعمل عند زوجته . فتكتشفهما الزوجة وتغضب وتهجره .
ـ أحمد عبد الجواد ينصح فهمي بعدم الاشتراك في المظاهرات ، أو توزيع المنشورات . خوفاً عليه .
ـ أم ياسين تتوفى .
ـ أحمد عبد الجواد يعود من بيت (أم مريم) فيوقفه جندي انجليزي فيجعله يساعد المصريين المسخرين لردم الحفر التي يحفرها المتظاهرون ، فتكون إهانة قاسية له .
ـ عائشة تنجب .
ـ فهمي يشارك في مظاهرة (سلمية) ، ولكنه يقتل برصاص الانجليز .

بهذا الحدث ، وهو موت فهمي انتهت أحداث الحلقة الأولى من حلقات ثلاثية نجيب محفوظ .

2ـ قصر الشوق [1]:

ـ كمال يصاحب (فؤاد الحمزاوي) ابن وكيل والده ، مع شعوره بالاستعلاء عليه .

ـ كمال يقيم علاقة غيرشرعية مع (قمر) ابنة (أبو سريع) صاحب المقلى ! مع شعوره بتأنيب الضمير .

ـ أحمد عبد الجواد يعود إلى اللهو بعد موت ابنه (فهمي) ، ويقيم علاقة مع (زنوبة) التي تستعلي عليه .

ـ ياسين يقرر الزواج من (مريم) .

ياسين يقيم علاقة غير شرعية مع أم مريم !!

ـ الحمزاوي ينصح أحمد عبد الجواد بعدم تبذير أمواله على اللهو .

ـ كمال يحب (عايدة) أخت زميله (حسين شداد) وهي من طبقة عالية متحررة ، ويغلو في حبها إلى حد العبادة !

ـ ياسين يتزوج مريم .

ـ (بهيجة) تتزوج (بيومي الشربتلي) ، ثم تموت بعد أسبوع !

ـ خديجة تسبب مشاكل لأهل زوجها ، فيصلح بينهم أحمد عبد الجواد .

ـ عائشة تنساق مع حياة زوجها المتحررة ، فتدخن .

ـ (عايدة) يخطبها أحد زملاء أخيها (حسين) واسمه (حسن) فيتفاجأ كمال بهذا الخبر !

ـ ياسين يطلق (مريم) بعد أن اكتشفت علاقته بزنوبة .

ـ زنوبة تطلب الزواج من أحمد عبد الجواد ، فيرفض أن يتزوج من عاهرة !

ـ كمال يحضر حفل زواج عايدة .

ـ ياسين يتزوج زنوبة ، فيطلب منه أبوه أن يطلقها .

ـ كمال يغرق في الخمر والنساء .

---

(1) وهو اسم الشارع الذي يسكنه ياسين بعد زواجه .

ـ أحمد عبد الجواد يحاول اقناع ياسين بطلاق زنوبة فيخبره ياسين بأنها حامل منه .
ـ زوج عائشة وولدها يصيبهم المرض .
ـ موت سعد زغلول .
وبهذا الحدث انتهت الحلقة الثانية من ثلاثية نجيب محفوظ .

3ـ السكرية [1] :

ـ كمال يحب القراءة في الفلسفة ، ومجتهد في دروسه .
ـ الحمزاوي يطلب اعفاءه من العمل مع أحمد عبد الجواد لأنه تعب .
ـ زبيدة تدمن الكوكايين ، وتفتقر بعد العز !
ـ متولي عبد الصمد يصبح شيخاً رثاً وسخاً يدور على الناس .
ـ فؤاد يرغب الزواج من نعيمة ابنة عائشة .
ـ أحمد عبد الجواد هجر الخمر بسبب نصيحة الطبيب .
ـ شداد أفلس ثم انتحر .
ـ ياسين مستمر على عادته في الخمر والنساء .
ـ احمد ابن خديجة يعتنق الماركسية، وأما أخوه عبد المنعم فهو من جماعة (الإخوان المسلمين) ! وتحصل بينهما مناقشات ومشادات . برغم أنهما جميعاً لا يحبان (الطغاة!) .
ـ عبد المنعم (الإخواني !) يقع في الزنا بجارته !!
ـ أحمد يشارك في تحرير مجلة (الإنسان الجديد) ، ويحب السكرتيرة في المجلة (سوسن حماد)
ـ أحمد يتعرف على الكاتب (رياض قلدس) الذي يوافقه في الميول .
ـ كمال مستمر في الشهوات .
ـ عبد المنعم يتزوج نعيمة ابنة عائشة .
ـ حوارات فكرية وسياسية بين أحمد وخاله كمال ، لتوافقهما في الهوى !

---

(1) وهو اسم الشارع الذي يسكنه آل شوكت .

ـ أحمد عبد الجواد يبيع دكانه .
ـ حوارات فكرية بين كمال وقلدس .
ـ نعيمة تموت .
ـ احمد يخطب (علوية صبري) فتطالبة بمصروف يومي ، فيرفض مشروع الخطبة .
ـ رفاق أحمد عبد الجواد يموتون واحداً إثر الآخر ، وهو يتفكر في حال الدنيا .
ـ موت أحمد عبد الجواد .
ـ عبد المنعم يخطب كريمة ابنة ياسين مع معارضة والدته خديجة لأن كريمة تكون ابنة زنوبة .
ـ زبيدة تتحول إلى شحاذة ، بعد العز !
ـ أحمد يتزوج سكرتيرة المجلة (سوسن حماد) .
ـ عبد المنعم يتزوج كريمة ويجعل من بيته بيتاً إسلامياً .
ـ كمال يعلم بموت (عايدة) .
ـ القبض على أحمد (الماركسي) ، واخوه عبد المنعم (الإخواني) ووضعهم في السجن بتهمة المعارضة .
ـ أمينة تصاب بالشلل فتنتظر الوفاة .

وبهذا الحدث انتهت الحقلة الثالثة من ثلاثية نجيب محفوظ .

شخصيات ثلاثية نجيب محفوظ :

1ـ احمد عبد الجواد : أحد أفراد الطبقة المتوسطة يتميز بشخصية متسلطة داخل بيته ، ويد حديدية يحكم بها أسرته . مع تدين تقليدي يحافظ من خلاله على أداء الصلوات في (البيت !) ، دون أن يؤثر هذا (التدين !) على سلوكه الخارجي ، أو أن ينهى زوجته عن الانجراف وراء البدع والشركيات ـ كما سيأتي ـ .

وهو في الجانب الآخر ، أي خارج بيته ، يتصف بصفة أوصفات أخرى تختلف عن تلك الأولى ، فهو يحب اللهو والشهوات ، والسهرة مع الغواني والمومسات ، في جلسات طرب وأنس .

ولكن هذا التناقض وإخفاء الشخصية الأخرى عن أولاده سرعان ما انكشف ، ولكنه لم يؤثر في سقوط هيبته الأولى .

أسرة (أحمد عبد الجواد) تتكون من :

1- زوجته (أمينه) الخاضعة له ، التي هي على النقيض من زوجها ، حيث تتميز بالسماحة والطيبة مع أولادها ، ولكنها غارقة حتى أذنيها في البدع والشركيات التي تعتقدها ديناً ! ، حيث أدمنت على زيارة قبر الحسين (المزعوم!) في القاهرة [1] ودعائه من دون الله [2] ، بل والطواف بقبره [3]!!

وقولها لابنتها عائشة : (تعالي معي إلى الحسين ، ضعي يدك على الضريح واتلي الفاتحة ، تتحول نارك إلى برد وسلام كنار سيدنا إبراهيم) [4]!!

وكانت تلقن كل هذا ابنها الصغير (كمال) بطل الرواية .

وأما أبناؤه فهم :

1- ياسين : وهو الابن الأكبر من زوجة سابقة ، انتقل إلى العيش مع أبيه وزوجة أبيه (أمينة) ، وقد ورث عن أبيه ولعه بالملذات والشهوات ، ولكنه لم يستطع أن يكون كأبيه يعب من تلك الملذات ويحظى باحترام الناس !! مثلما كان أبوه .

2 - فهمي : الابن الأوسط لأحمد عبدالجواد ، وهو طالب بمدرسة الحقوق ، يجمع بين خصال أمه من رقة ومودة ورحمة لذويه ، إلى جانب وطنيته وثوريته ، التي انتهت به إلى الموت في مظاهرة وطنية .

3 - عائشة : الابنة الصغرى لأحمد عبدالجواد ، تتميز بجمال ورقة ومودة ، مما حببها إلى ذويها . بعد زواجها انساقت مع حياة زوجها المتحررة ، وبعد وفاة زوجها وابنيها ساءت أحوالها وأصبحت تُكثر من الاعتراض على القدر .

فمن ذلك : قولها عند وفاة ابنتها (نعيمة) : (ما هذا يا ربي ؟ ما هذا الذي تفعله ؟ لماذا ؟ لماذا ؟ أريد أن أفهم)[5].

---

(1) بين القصرين (ص36) .
(2) بين القصرين (ص162) .
(3) السكرية (ص11) .
(4) السكرية (ص197).
(5) السكرية (ص159) .

أو قولها عندما تذكرت أولادها : (الرحمة ! أين الرحمة أين؟)[1].

4 ـ خديجة : الابنة الكبرى لأحمد عبدالجواد ، وكان حظها من الجمال ضئيلاً، وقد ورثت عن أبيها سلاطة لسانه وقوة شخصيته . كثيرة المتاعب مع زوجها ، وكان لأولادها نصيبهم الأكبر من أحداث الرواية .

5 ـ كمال : وهو (بطل الثلاثية) ، الابن الأصغر لأحمد عبدالجواد ، عاش في أحضان أمه ، التي لقنته البدع والخرافات والشركيات منذ صغره ، حيث لم يتعرف على الدين إلا من خلال أحاديثها وقصصها ، فانطبع الدين في ذهنه بتلك الخرافات .

فهو ـ مثلاً ـ يقول عن ضريح الحسن : (كم وقف حيال الضريح حالماً مفكراً ، ويود لو ينفذ ببصره إلى الأعماق ليطلع على الوجه الجميل الذي أكدت له أمه أنه قاوم غِيَر الدهر بسره الإلهي ، فاحتفظ بنضارته ورونقه ، حيث يضيء ظلمة المثوى بنور غرته ، ولما يجد إلى تحقيق أمنيته سبيلاً قنع بمناجاته في وقفات طويلة ، مفصحاً عن حبه ، شاكياً إليه متاعبه الناشئة من تصوراته عن العفاريت وخوفه من تهديد أبيه ، مستنجداً به على الامتحانات التي تلاحقه كل ثلاثة أشهر ، ثم خاتماً مناجاته عادة بالتوسل إليه أن يكرمه بالزيارة في منامه)[2]!!

نشأ كمال متحيراً كثير الاضطراب الفكري ، لم يستقر على قرار ثابت ، كان وفدياً[3] ثم ما لبث أن مال ميلاً شديد إلى (الماركسية) التي تقتلع الطبقات التي أبغضها عندما أحب (عايدة) التي تنتمي إلى طبقة عليا .

---

(1) السكرية (ص197) .

(2) بين القصرين (ص49) .

(3) حزب الوفد الذي أنشأه سعد زغلول ، حزب علماني لا يقوم على الإسلام ، يدعو إلى مساواة المسلم بالكافر، والدعوة إلى انسياق البلاد الإسلامية نحو تقليد الغرب الكافر (في كل شيء) ، وخاصة في مجال (تحرير المرأة)، انظر (الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة) للندوة العالمية للشباب الإسلامي (1/ 454) .

تكثر في أحاديثه الشكوك والطعن في الدين وعبارات الإلحاد والادعاء بأن (العلم) سوف يحل مشاكلنا جميعاً . ولهذا كان من أقرب الناس إلى ابن أخته (أحمد) الذي كان (ماركسياً) متحمساً .

فمن أقواله ـ على سبيل المثال ـ :

ـ (إن مطلبي الأول الحقيقة : ما الله ؟ ما الإنسان ؟ ما الروح ؟ ما المادة؟ الفلسفة هي التي تجمع كل أولئك في وحدة منطقية مضيئة كما عرفت أخيراً)[1].

قوله : (لفه شعور بأنه ضحية اعتداء منكر تآمر به عليه القدر وقانون الوراثة ونظام الطبقات)[2].

(طالما نازعته النفس إلى النقيضين وكر الشهوات والتصوف ، ولكنه لم يكن ليطيق حياة خالصة للدعة والشهوات ، ومن ناحية أخرى كان ثمة شيء في أعماقه ينفر من فكرة السلبية والهروب)[3].

6ـ عبد المنعم ابن خديجة :

من جماعة الإخوان المسلمين ، يحمل أفكارهم وينافح عنها أمام أخيه أحمد (الماركسي) ولكنه يتسم بالعنف في الجدال !! وهكذا أراد له نجيب محفوظ أن يكون !! فمن ذلك أنه قال لأخيه : (صه يازنديق)[4] !! وقال له أيضاً (يا عدو الله)[5].

ولكنه برغم هذا (الإيمان) و (الحماس) يقيم ـ كما سبق علاقة غير شرعية مع بنت الجيران !! وهذا من التناقض المفتعل لتشويه جماعة الإخوان المسلمين من نجيب محفوظ ـ هداه الله ـ .

7ـ أحمد ابن خديجة :

شاب متحمس للماركسية ، يدخل مع أخوه (الإخواني) عبد المنعم في مجادلات متتالية دون نتيجه .

من أقواله التي تدل على توجهه :

---

(1) قصر الشوق (ص242) .
(2) قصر الشوق (ص369) .
(3) السكرية (ص194) .
(4) السكرية (ص32) .
(5) السكرية (ص 76) .

ـ أنه بعد أن تزوج سأله خاله كمال هازئاً : (هل تزوجت على سنة الله ورسوله ؟) قال : (طبعاً ، الزواج والدفن على سنن ديننا القديم ، أما الحياة فعلى دين ماركس)[1]!!

ـ قوله في التحقيق : (إني اشتراكي) [2].

أوجه التشابه بين الثلاثيتين :

1ـ أن الثلاثيتين كلتيهما تتكونان من ثلاثة أجزاء أو حلقات بأسماء مختلفة (بين القصرين ـ قصر الشوق ـ السكرية) ،(العدامة ـ الشميسي ـ الكراديب).

2ـ أن البطل في الثلاثية شخص واحد تدور الأحداث من حوله .ففي ثلاثية محفوظ تدور الأحداث حول (كمال) وفي ثلاثية الحمد تدور حول (هشام) .

3ـ أن (كمال عبد الجواد) هو نفسه مؤلف الثلاثية ، أي هو نجيب محفوظ ، وهذا أمر لا ينكره نجيب محفوظ ، الذي يردد دائماً : "أنا كمال عبد الجواد في الثلاثية"[3] ويقول : "الأزمة الخاصة بكمال هي أزمتي" [4].

أما تركي الحمد فقد اعترف بهذا في مقابلة له مع جريدة اليوم [5] عندما قال عن ثلاثيته بأنها " فيها الكثير مني ... فالبطل أنا من صنعه وأنا من وضع له العواطف والتجارب " .

وقد أكد الدكتور غازي القصيبي أستاذ الحمد في الجامعة ! هذه الحقيقة . فقال في كتابه (حياة في الإدارة) : (كان المفكر السعودي البارز (!!) الدكتور تركي الحمد أحد طلبتي . وعلى الذين يرغبون أن يعرفوا رأي الطلبة فيَّ أن يعودوا إلى رواية تركي (الشميسي)، ماكتبه عن (الدكتور محارب الخيزراني)[6]

فهذا تأكيد من غازي أن هشام العابر لم يكن إلا تركي الحمد .

---

(1) السكرية (ص271).

(2) السكرية (ص320) .

(3) المنتمي ، للنصراني ! غالي شكري (ص17) .

(4) أتحدث إليكم ، نجيب محفوظ (ص34) .

(5) بتاريخ 8/ 8/ 1419هـ.

(6) ص (53) من الطبعة الثانية : وعند عودتنا لكلام تركي في (الدكتور محارب) وجدناه يكيل له المديح ، فعلمنا سر هذه الإحالة !

وليس معنى أن كمال عبد الجواد هو نجيب محفوظ وأن هشام العابر هو تركي الحمد أن يكون كلاً منهما قد نقل (جميع) تفاصيل حياته بجميع أشخاصها إلى القراء دون نقص أو زيادة ، فهذا مالا يقوله عاقل ، بل المقصود أن كلاً منهما كان يحكي عن ماضيه ، وتفكيره ، وتطلعاته ، وآماله ، وآلامه ، وبعضاً ممن عاصروه في اختلاف توجهاتهم . ولكن تبقى الفكرة الرئيسة التي تدور حولها الثلاثية هي ما كانت تقلق بال مؤلفها في فترة مضت ، أولا زالت!، كالحيرة والاضطراب ، أو اعلاء شأن الماركسية ، وهكذا .

4ـ أن كلاً من (كمال عبد الجواد) و (هشام العابر) ماركسي التوجه ، أو يميل إليها على أقل تقدير ـ .

5ـ أن كلاً منهما ـ برغم هذا الميل ـ متردد ، متحير ، مذبذب. يقول رياض قلدس أحد أصدقاء كمال في الثلاثية عن كمال بأنه : (الذي دار حول نفسه كثيراً حتى أصابه الدوار) [1].

ويقول هشام العابر عن نفسه بعد أن ذكر توجهات زملاء السجن : (أما هشام فلم يعد يدري ما هو) [2].

6 ـ تكثر الطعون في الله ـ عز وجل ـ وملائكته وكتبه ورسله وعباده الصالحين في كلا الثلاثيتين، ولعل للتوجه الماركسي لصاحبيها دوراً في ذلك ، حيث لا ترى الماركسية في الأديان والمقدسات إلا أفيوناً للشعوب يجب أن يهدم، وإن لم نستطع الهدم فلا أقل من اللمز والسخرية وإسقاط هيبة الدين ومحتوياته (أي الإسلام !) من نفوس الناس . ولا حول ولا قوة إلا بالله .

أما طعون الحمد فقد قرأناها سابقاً ، وأما طعون نجيب محفوظ ، فإليك شيئاً منها بالأرقام ، لكي لا أطيل ولكي لا أتهم بالتجني عليه : (بين القصرين : ص 122، 227) (قصر الشوق : 90، 91، 119، 153، 216، 229، 236، 260، 294، 314، 428، 434) (السكرية : 88 ،253 ، 260، 275، 280) .

---

(1) السكرية (ص191) .

(2) الكراديب (ص 180) .

7ـ تكثر في الثلاثيتين ألفاظ ومعاني الاعتراض على القدر ، واتهام الحياة والموت والقدر بالعبث .

أما في ثلاثية الحمد فقد علمنا ذلك سابقاً ، وأما في ثلاثية نجيب محفوظ ، فهذه بعض المواقف والعبارات تؤكد هذا :

ـ اعتراض خديجة على زواج عائشة قبلها: (إني أحافظ على الصلاة أما هي فلم تُطق المحافظة عليها ...) [1] أي : لماذا تتزوج قبلي ؟

ـ اعتراض عائشة على وفاة زوجها وأبنائها . وقولها ـ مثلاً ـ : (ما هذا يا ربي ؟ ما هذا الذي تفعله ؟) [2]

ـ قول كمال عن نفسه : (لفه شعور بأنه ضحية اعتداء منكر تآمر به عليه القدر)[3] .

ـ قوله : (هذا الموت عبث) [4].

8ـ تكثر في الثلاثيتين المواقف الجنسية بكافة أنواعها ! أما الحمد فقد علمنا شيئاً من مواقفه (البطولية !!).

وأما نجيب محفوظ فيكفينا من ثلاثيته شخصية أحمد عبد الجود ، والغواني، وشخصية ياسين .

وهاهنا ملاحظة : هي أن تركي الحمد اقتصر في مواقفه الجنسية على (الزنا) وتوابعه ، أما نجيب محفوظ فقد تجاوز ذلك إلى (اللواط)!!

كما في علاقة (رضوان بن ياسين) مع عبد الرحمن باشا عيسى[5] .

وسبب ذلك ـ والله أعلم ـ أن محفوظاً تميز في ثلاثيته بالجرأة أكثر من الحمد ، الذي لا زال يحمل بقية من الحياء !

9ـ أن المتمسكين بأحكام الإسلام في الثلاثيتين :

---

(1) بين القصرين (ص 230) .
(2) السكرية (ص159).
(3) قصر الشوق (ص369).
(4) قصر الشوق (ص485).
(5) السكرية (ص 66) .

إما مخرف ساذج ، أو من الاخوان المسلمين ،ولا ثالث لهما .

فالدين عند محفوظ : إما أن يتمثل في شخصية (متولي عبد الصمد) الصوفي ، المخرف ، الوسخ ! ، صاحب البدع والشركيات ، أو في شخصية (عبد المنعم) الإخواني .

والدين عند الحمد :

إما أن يتمثل في شخصية خال هشام المتدين الساذج الذي يقول عنه ابنه :

(خالك لا يشك بوجود الخمر أصلاً في هذا البلد ، فكيف في بيته وابنه .. حتى لو رأى حمد مترنحاً فهو لن يشك بمثل هذه الأمور)[1] .

ويقول عنه هشام : (يالله من رجل طيب تخدعه المظاهر)[2].

ولم يجعله الحمد مخرفاً كمتولي عبدالصمد لأنه يعلم أن لامكان للخرافة في بلاد التوحيد ـ ولله الحمد ـ .

أو في شخصية (لقمان) الإخواني [3].

فإن كان محفوظ معذوراً في تجسيد شخصية (الإخواني) التي كان يعج بها مجتمع مصر تلك الأيام ، فكانت آراؤهم مطروحة في الساحة المصرية ، ولم تكن خافية على أحد .

فالحمد لا يعذر في تجسيده لهذه الشخصية الغريبة على مجتمعنا ، إلا أن تكون ـ وهو ما أراه ـ تقليداً لمحفوظ ، كما تعودنا من الحمد !

قد تقول : ولكن الاخوان موجودون في السعودية ، وقد وفدوها بعد اضطهادهم في دولهم .

فأقول : نعم هم موجودون ، وقد يكون قلائل من السعوديين تأثروا بهم ، ولكن هذا لا يجيز للحمد أن يصور بلادنا بهذه الصورة الحزبية التي عرفتها مصر وغيرها من الدول العربية .

---

(1) العدامة (ص 99).

(2) الشميسي (ص51).

(3) وزاد الحمد نوعية ثالثة للملتزمين وهي شخصية أصدقاء زميله عدنان ، حيث اللحى غير المسرحة والرؤس المحلوقة!!

ثم يجعل (الاخوان) هم الممثلين للتيار الإسلامي ! وكأننا في بلد علماني النزعة لايمثلنا فيه سوى الإخوان !!

فهل نسي الحمد أننا ـ بحمد الله ـ نعيش في دولة إسلامية سلفية منذ نشأتها [1]، لم تعرف الأحزاب يوماً ما ؟ وهل من العقل أن يُجْعل أفراد قلائل مستخفون هم الممثلين للتيار الإسلامي ؟! وننسى الكثرة الغالبة من أهل البلاد الذين لا يعرفون سوى الإسلام ديناً لهم ، على تفاوت بينهم في الالتزام به .

أقول: إن كان محفوظ معذوراً ، فالحمد لايعذر في هذا ، لأنه كثر القليل وقلل الكثير .

وأنا لا أقول هذا بخساً لجهود جماعة الإخوان المسلمين في العالم العربي والإسلامي ، فهي جماعة قد اجتهدت في الدعوة إلى الإسلام ، ولكن شاب جهودها شيء من الأخطاء ، منها :

1ـ أنها جماعة تعنى بالتجميع كيفما كان ، فتجد فيها البدعي والسني جنباً إلى جنب .

2ـ وهي جماعة لا تحرص على نشر عقيدة السلف الصالح بل تجد من أفرادها الكثير ممن يعتقد عقيدة الأشاعرة ، ويزعم انها عقيدة السلف !

3ـ وهي جماعة حرصت على الدولة أكثر من حرصها على التربية والدعوة .

4ـ وهي جماعة يقل فيها الالتزام بالسنن النبوية الظاهرة .

5ـ وهي جماعة لا تراجع نفسها ، بل ظلت مأسورة في شخصية (حسن البنا) ـ رحمه الله ـ الذي كانت شخصيته تطغى على غيره من الإخوان ، ولا زالت!

6ـ أخيراً : هي جماعة لا مبرر لقيامها في بلادنا (السعودية) لأننا ـ ولله الحمد ـ مسلمون قبل قيامها ، فالذي نحتاجه هو الجد في نشر الدعوة ، والالتزام الصادق بالإسلام[2] .

---

(1) والكمال لله وحده ، وكل تقصير يزول بالتناصح .

(2) انظر لبيان هذا : (الدعوة إلى الله في جزيرة العرب) للشيخ الحصين و(حكم الانتماء) للشيخ بكر أبو زيد .

إذن : أخطأ الحمد خطأ فاحشاً عندما لم ير في الملتزمين بالإسلام سوى :

1- الرجل الساذج .

2- الاخواني .

3- المتشدد .

وبقي صنف رابع لم يذكره ، أو لم يرد أن يذكره ! ، وهو الشاب المسلم الملتزم بدينه ، صاحب العقيدة السلفية ، والخلق الحسن في التعامل ، والمبرز في دراسته الشرعية أو العلمية ، قاصداً خدمة بلاده الإسلامية ورفعتها من هذا التخلف الذي تعيش فيه .

فبالعقيدة السلفية نرفع التخلف (الديني) - بدعاً وشركيات - الذي يعج في أوطاننا ، ويفرق بيننا ويضيع كثيراً من طاقاتنا .

وبالعلم الدنيوي النافع نرفع من شأن بلاد الإسلام ونجعلها تنافس الآخرين، بل تفوقهم ، وما ذلك على الله بعزيز .

كنت أود للحمد لكي يكون عادلاً أن يذكر هذا الصنف في ثلاثيته ، ولكن (وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا) [1].

10 - يبرز في الثلاثيتين جانب خبيث؛ هو محاولة إفحام الدين ، أو التشكيك في بعض مسائله بأسلوب ماكر ، كما في تحير هشام في مسألة : كيف يموت الموت؟

أما نجيب محفوظ فقد صاغ تشكيكه وتحيره على هيئة سؤال وجهه كمال إلى مدرسه ، حيث يقول عن الجن (وسألت الشيخ : هل يدخل المسلمون منهم الجنة ؟ فقال : نعم . فسألته مرة أخرى : كيف يدخلونها بأجسام من نار !؟ فأجابني بحدة قائلاً : أن الله قادر على كل شيء) [2] ولا حظ قوله (بحدة)! تفهم مقصده . مع أن جواب شيخه مقنع ، وهو أن الذي خلقهم - سبحانه - قادر على أن يجعل مسلميهم يدخلون الجنة ،إما بطبيعتهم أو بطبيعة أخرى ، كما أنه سبحانه قد أخبر عن النار بأن فيها شجرة الزقوم ، فهل يقول :

---

(1) سورة البقرة ، الآية : 148 .

(2) بين القصرين (ص64) .

كيف لا تحرقها النار ؟ فهل هذا إلا سؤال متعنت، يحاكم ربه بعقله القاصر . كما كان مشركو الجاهلية يفعلون مع محمدε .

ولهذا جعل الله ـ سبحانه ـ الإيمان بالغيب أحد الصفات الرئيسة للمؤمنين فقال : (آلم(1)ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ(2)الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ) [1].

لأنه سبحانه يعلم أن مسائل الغيب قد لايستوعبها عقل الإنسان في الدنيا، فلهذا جعل الفارق بين المؤمنين والمذبذبين المرتابين هو الإيمان بالغيب، فعلى المسلم إذا جاءه الدليل من القرآن أوالسنة الصحيحة بأمر من أمور الغيب أن يؤمن ويسلم دون اعتراض أوتشكيك كما فعل (تركي) أو (نجيب) !

11ـ يكثر الحلف بغير الله في الروايتين ، أما في ثلاثية تركي فقد مضي التدليل عليه . وأما ثلاثية محفوظ فإليك المثال :

ـ (ورسول الله) (بين القصرين ص 253) .
ـ (ورأس أمي) (بين القصرين ص 257) .
ـ (حلفتك بالحسين) (بين القصرين ص257) .
ـ (وحياة أمك) (بين القصرين ص 268) .
ـ (وحياتك) (بين القصرين ص 435) .
ـ (والنبي) (بين القصرين ص 439) .

أخيراً : ما سبق هو أبرز المتشابهات في ثلاثيتي (محفوظ والحمد) وهي تبين أن الحمد قد بنى ثلاثيته على أعمدة سابقة كان قد أقامها نجيب محفوظ ، فلم يكن له في ثلاثيته سوى صياغتها لتناسب طبيعة وظروف الشاب السعودي بدلاً من المصري .

وإلا فإنهما قد اجتمعا على :

ـ الماركسية .
ـ والاجتراء على الله ـ عز وجل ـ وملائكته وكتبه ورسله وعباده الصالحين .

---

(1) سورة البقرة ، الآية : 1-3.

ـ والاعتراض على القدر ، وتصويره في صورة العدو المتربص أو العابث .
ـ والنظر إلى الحياة والموت بنظرة عباثة .
ـ والإغراق في الجنس .
ـ والشك والحيرة والاضطراب .

فكلاهما ـ ثلاثية محفوظ والحمد ـ مجرد رواية (هدم) لا (بناء)، و (تشكيك) لا (يقين) ، فمن قرأها ثم فرغ منها لم يحصل سوى الحيرة التي لا تقود إلى ثبات واطمئنان .

ثم يكتشف أن راويها لم يقدم له أي بديل لما قد تم هدمه في هذه الثلاثية . فهي شبيهة بأدب الحداثيين الذين حملوا معاولهم لهدم الإسلام والمعاني السامية دون أن يقدموا لها بديلاً سوى الحيرة والشكوك والبؤس والشقاء ، زاعمين أنهم سوف يقدمون لبني قومهم كل جميل ، وكل مبهج، ولكن بعد أن يفرغوا من هدمهم !

قال تعالى : (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ) [1]، وقال سبحانه : (وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا) [2].

وقد أصلح الله بلادنا بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله ـ التي ناصرها آل سعود ، فلا مستقر فيها لكل مفسد هادم مهما غلَّف هدمه ذاك بشعارات (التطور) و(التحضر) و(التقدم) ... الخ زخارف الشيطان :

وليتق الله ربه وليتب من (هدمه) ، وليشارك إخوانه في (البناء) فإن خير الخطآئين التوابون .

(يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ) [3].

---

(1) سورة البقرة ، الآية 11.
(2)سورة الأعراف ، الآية : 56 .
(3) سورة التوبة ، الآية : 119 .

خاتمة موجزة

بعد هذه الجولة العجلى في أبرز مؤلفات تركي الحمد وفي ثلاثيته يتبين لنا:

1 ـ أن الحمد يدعو إلى " الشك " و " الريبة " في كل شيء ، ولو كان نصاً من الكتاب أو السنة الصحيحة [1]، وهو لم يبين لقرائه ما هو الميزان الذي سيحتكم إليه بعد أن " يشك " و " يرتاب " ليقضي لنا بصحة القضية المطروحة أو بطلانها ، هل هو " عقله " ام " عقلي " أم " عقل فلان من البشر " أم ماذا ؟ كما سبق .

2ـ أنه عندما " شك " و " ارتاب " ودعا المسلمين إلى هذا ، لم يقدم لهم أي بديل واقعي (واضح) يأخذون به بعد أن يهدموا (كل شيء حولهم) بالشك والريب . ففكر الحمد (هدمي) ليس (بنائياً) ـ كما سبق ـ لأنه يهدم ويهدم ويهدم تحت دعوى (الشك) و(الارتياب) الذي يدعو إليه ، دون أن نجد عنده ما يبنى أو يشيد لنفع أمته[2].

3ـ أن الحمد يتظاهر في كتبه (بالعقلانية) التي تخفي وراءها نفساً طافحة بالشهوات الحقيرة ـ كما رأينا ذلك في ثلاثيته التي تعبر عن شخصه[3] ـ

4 ـ أن شخصية الحمد ـ كما يظهر من مؤلفاته وثلاثيته ـ شخصية قلقة مضطربة لا تريد أن تركن إلى شيء يسندها في هذه الحياة ، وهي شخصية (شاكة) (مرتابه) تحقد على كل من لم يكن مثلها في شكها وحيرتها وارتيابها ، كما قد رأينا في حقده وحمله الظغينة على رسل الله ـ عليهم السلام ـ وعباده الصالحين ، وبلاد التوحيد (السعودية) . . . الخ .

5 ـ أن الحمد يدعو إلى عدم ثبات الحق ، فما كان بالأمس حقاً قد يصبح اليوم باطلاً، وما يحمله فلان من الحق قد ينقلب باطلاً في

---

(1) وهو لا يستطيع التصريح بهذا (بحرفية) كما قد يتوهم حسنو الذية ، فكتاباته الماضية خير شاهد لهذا عند عقلاء الناس.

(2) بل لنفع نفسه التي أشرفت على الرحيل

(3) وراء (الفكر) و (العقلنة) .

حق فلان . . . في دائرة لا تنتهي ، تهرباً من قيام الحجة عليه ، أو توهمه أنه بهذه الدعوى يُفحم أهل الحق .

6 ـ أن الحمد يدعو إلى مساواة (الإسلام) بغير من الأديان والثقافات الأخرى، بل هو يُفضلها عليه ـ والعياذ بالله ـ، وهذا من أعظم (الكفر) الذي يُستتاب صاحبه ، فإن تاب وإلا ضُربت عنقه[1].

7 ـ أنه من دعاة (تحرير)[2] المرأة في بلادنا ، وذلك بدعوته إلى سفرها ، واختلاطها بالرجال في الدراسة والعمل ، وقيادتها للسيارة . . . الخ جزئيات هذه الدعوة التي تجرعت مرارتها المجتمعات الإسلامية الأخرى ، فنبتت عندنا نابتة ـ من ضمنهم الحمد ـ يرددون في بلادنا ما ردده شياطين هذه الفكرة الغربية في البلاد الأخرى في مقالات وكلمات متكررة بين الحين والآخر من دعاة وداعيات (الشهوة) و(نبذ حكم الإسلام) .

فنسأل الله أن يقضي على هذه الفتنة في مهدها ، كما قد قضى على غيرها ، وأن يسلط ولاة أمر هذه البلاد لا جتثاث عروق الفساد من وسائل إعلامنا لكي لا تتجذر هذه الدعوة المفسدة في بلاد التوحيد .

8 ـ أنه عدو لدود للحكم السعودي الذي قام على تحكيم شرع الله ، والدفاع عنه ضد أعدائه من أصحاب التيارات (الكافرة) من ديمقراطيين وشيوعيين ومنحلين . وقد سبق نقل ما يُكنه صدره ضد ولاة أمرنا .

9 ـ أنه يسرق جُلَّ أفكاره من كتابات وجهود الآخرين عرباً كانوا أم عجماً . كما في ثلاثيته التي بناها على ثلاثية نجيب محفوظ ، وكما في (عقلانيته) التي اكتسب أفكارها من الجابري والعروي .

10ـ أنه بعد هذا البيان عن الفكر (الهدمي) للدين والدولة من هذا الرجل ؛ فإنه لا يجوز شرعاً لوسائل إعلامنا أن تحتفي به ، أو أن

---

(1) كما نص على ذلك علماء الإسلام فيمن لم يكفر الكافر أو شك في كفره أو فضل دينه على دين الإسلام، انظر : مجلة البحوث (العدد 49، ص126).

(2) بل تدمير المرأة ، وقد صرَّح بذلك ـ على حذر ـ في مقابلته مع قناة (اقرأ)، وفي مقاله الشهير "وخلق الله المرأة".

تُسهل له مهمة بث هذا الهدم بين المسلمين ، عبر مقالات أو برامج مسموعة أو مرئية ؛ لأن الشريعة قد جاءت بالحجر على السفهاء، فكيف بمن يكيدون لدين الله وللفضائل ولهذه الدولة المسلمة !؟

ختاماً : أسأل الله أن يحمي بلادنا من شرور الحاسدين والحاقدين الذين لا يرتضون لها أن ترفع راية لا إلة إلا الله محمد رسول الله في هذا الزمان ، والذين يتربصون بها الدوائر ممن ارتضوا ما في زبالات الغرب بديلاً للهدى والنور الذي جاءهم به خير الرسل محمد ε، وأسأله تعالى أن يُعجل بكبتهم وتشريدهم وتمزيقهم كلَّ ممزق ، وأن يوفق ولاة أمرنا للقضاء عليهم كما هو دأب حكام المسلمين على مرّ الأزمان [1] ، فإن الله قال في هذه الشرذمة من رجال ونساء (هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ)[2].

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .

---

(1) اقرأ إن شئت سيرة من رفع الله ذكرهم من حكام المسلمين ؛ كهارون الرشيد أو المعتصم أو المتوكل أو محمود بن سبكتكين أو يوسف بن تاشفين وابنه أو المهدي العباسي الذي جعل رجلاً مسؤلاً عن أمر الزنادقة يتتبعهم ويقوم بتنفيذ حكم الله فيهم ، تعظيماً لشرع الله ، وحفاظاً على وحدة المسلمين و((أمنهم الفكري)) . . . لتعلم كيف كانت سيرة ولاة الأمور مع (الزنادقة) و (مبغضي) شرع الله .

(2) سورة المنافقون ، الآية : 4 .